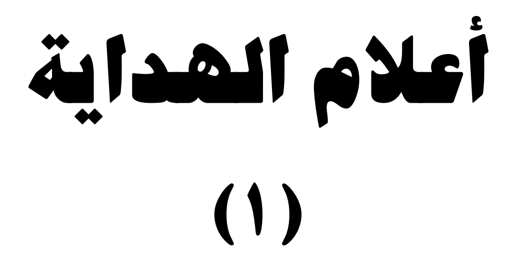

بسم الله الرحمن الرحيم



محمّد المصطفى (صلى الله عليه وآله)
« خاتم الأنبياء »

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ـ قم



اسم الكتاب: أعلام الهداية (١) / محمّد المصطفى خاتم الأنبياء

المؤلف: لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: سيرة وتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الخامسة المحققة ـ مزيدة ومنقّحة

المطبعة: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ

ردمك: ISBN: 978-964-529-344-2

ردمك الدورة: 978-964-529-358-9

www.ahl-ul-bayt.org

E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

فهرس إجمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المجمع

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل الأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري (العقل) و(الإرادة)، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض عليه معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم[1]، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به[2]، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها[3]، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها[4].

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ،كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ. وبذلك قدم اطروحته الكاملة فيما يخص نظرية الهداية و نظامها.

---

(١) العلق (٩٦): ٥

(٢) الفاتحة (١): ٦ ـ ٧.

(٣) النجم (٥٣): ٤٢، والذاريات (٥١): ٥٦.

(٤) الملك (٦٧): ٢.

معالم مبدأ الهداية الربانية

قال الله تعالى مبيّناً حقيقة الهداية و مبدئها وطريقها ورموزها ونتائجها:

١ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(١).

٢ ـ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾(٢).

٣ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣).

٤ ـ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤).

٥ ـ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(٥).

٦ ـ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللَّهِ﴾(٦).

٧ ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٧).

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم. ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال، ثمّ

---

(١) الأحزاب (٣٣) : ٤

(٢) الأنعام (٦) : ٧١ .

(٣) البقرة (٢): ٢١٣ .

(٤) آل عمران (٣) : ١٠١ .

(٥) سبأ (٣٤) : ٦ .

(٦) القصص (٢٨) : ٥٠ .

(٧) يونس (١٠) : ٣٥ .

مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة،كانت المعرفة والعبادة الطريق الأوحد و الهدف اللائق والغاية الموصلة إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الإنسان بغريزتي (الغضب) و(الشهوة) ليحقّق له وقود الحركة الدائبة نحو الكمال؛ أصبح مهيّئاً لسيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما .

ومن هنا إحتاج الإنسان ـ بالإضافة إلى نور عقله وسائر أدوات المعرفة وأنوارها ـ ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛كي يتسنّىٰ له الوصول المضمون إلى الهدف اللائق به و بذالك تتمّ عليه الحجّة من خالقه حيث تكمل له نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، دون طريق الشرّ والشقاء وذلك بملء إرادته وإختياره .

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية العامة لكل الكائنات أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال القنوات الأمينة المتمثلة في القادة الهداة الذين اختارهم الله لتولِّي مسؤولية رعاية وهداية العباد وذلك من خلال توفير المعرفة اللازمة وإعطاء الارشادات التي تتطلّبهاكلّ مرافق الحياة .

مسيرة الهداية الربّانية

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم المهديّون مشعل الهداية الربّانية منذ فجر

(١) الذاريات (٥١): ٥٦ .

تاريخ الإنسان وعلى مدىٰ العصور والأجيال .

ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيءٍ، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقول ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه[١]، لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل[٢] فالحجّة «قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»، «ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة»[٣]، وقد صرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[٤].

مهامّ القادة الهداة

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص فيما يلي:

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهو تعبير عن الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح الذكر الحكيم قائلاً : ﴿**ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[٥] و ﴿**ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ**﴾[٦].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى من أُرسلوا إليه من البشرية، ويتوّقف الإبلاغ

---

(١) الكافي ١: ١٧٨، باب إن الأرض لا تخلو من حجة، الإمامة والتبصرة لابن بابويه : ٢٥، باب ٢.

(٢) النساء (٤): ١٦٥.

(٣) بصائر الدرجات: ٥٠٧ ـ ٥٠٨ / ح٣، باب ١١، كتاب الغيبة للنعماني: ١٣٩ / ب ٩.

(٤) الرعد (١٣) : ٧ .

(٥) الأنعام (٦) : ١٢٤ .

(٦) آل عمران (٣) : ١٧٩ .

على الكفاءة التامّة التي هي حصيلة «الإستيعاب والإحاطة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الضلال ويتمثل في الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾[1]. و قال أيضاً: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2] .

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3] والتزكية هي التربية السليمة باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال،كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾[4].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية. التي تتناسب مع هذه المهمة العظيمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس أبناء المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ

---

(١) البقرة (٢) : ٢١٣ .
(٢) سورة ص (٣٨):٨٢- ٨٣ .
(٣) الجمعة (٦٢): ٢ .
(٤) الأحزاب (٣٣) : ٢١ .

يتولّىٰ إدارة شؤون الاُمة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية والعملية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، والعصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية تصون القيادة الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الاُمة لها بحيث يتنافىٰ مع أهداف الرسالة وأغراضها. فالعصمة ركن أركان هذه الكفاءة النفسية.

جهاد الأنبياء الدامي(صلوات الله عليهم أجمعين)

وقد سلك الأنبياء وأوصياؤهم المصطفون على الأجيال طريق الهداية الدامي، واقتحموا العقبات في سبيل التربية المطلوبة، وتحمّلوا كلّ صعب، في سبيل أداء المهامّ الرسالية وقدّموا كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

إنجازات خاتم النبيّين وسيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله)

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد سار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشةً، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ

ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهادهالمبارك وكدحه الدائب خلال أكثر من عشرين سنة ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين أُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالله ربّاً وبالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (صلى الله عليه وآله) .

متطلبات الرسالة الخاتمة

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية بأمرٍ من الله سبحانه وصيانةٍ للرسالة الإلهية –

التي كتب الله لها الخلود ـ من تحريف الضّالين وكيد الخائنين، وتربية الأجيال على قيم الله ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها للبشرية على مرّ العصور، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّىٰ هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**»[١].

وكان أئمة أهل البيت ـ صلوات الله عليهم أجمعين - هم العترة وهم خير من عرّفهم النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) وذلك بأمر من الله تعالى ذلك بأمر من الله تعالى. وكانت سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل بحقّ المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله).

ضرورة دراسة تاريخ وسيرة أهل بيت الرسالة(عليهم السلام)

ودراسة حياتهم بشكلٍ تفصيلي مستوعبٍ تكشف لنا صورة شاملة لحركة الإسلام المحمّديّ الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأُمة رغم مضاعفات فقدان الرسول (صلى الله عليه وآله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) ـ رغم محاولات تغييبهم وإبعادهم عن الساحة ـ يعملون على توعية الأُمة وتفجير طاقاتها باتجاه تصعيد الوعي الرساليّ لديها بالنسبة للشريعة ولحركة الرسول(صلى الله عليه وآله) وثورته الربّانية المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك المجتعات الإنسانية جمعاء.

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٩/٤٣٣ ب ١٧، دعائم الإسلام للمغربي ١: ٢٨، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ١٥، مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٤ و١٧، العمدة لابن البطريق: ٧١ / ح٨٧، المستدرك للحاكم النيسابوري٣: ١٤٨. وقد ورد الحديث في كتب الفريقين بألفاظٍ وطرقٍ مختلفة.

وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين في الثبات على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم بالتدريج ـ برغم كلّ الألغام والعقبات التي زرعت في هذا الطريق ـ والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح تنير الدرب للسالكين طريق الحقّ وللمؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر علىٰ طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء بهم حتّىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصمود والتضحية لتنفيذ أحكام الله تعالىٰ، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ، على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبيرٍ.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة بعد محاولات التغييب ولم يدّعِ أحد دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من حياتهم، وومضاتٍ من سيرتهم وسلوكهم ولقطاتٍ من مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون أو استطعنا إكتشافها من خلال مصادرنا التاريخية مع محاولة تقديم نظرة شمولية قدر المستطاع، عسىٰ الله أن ينفع بها من يشاء أن ينتفع إنّه وليّ التوفيق.

موسوعة أعلام الهداية خُطوة علىٰ الطريق

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله وقسطه، وهي محاولة

لدراسة حياتهم ضمن منهج شمولي قرآني[١] .

ويختص هذا الكتاب بدراسة **حياة الرسول المصطفى محمد بن عبدالله**(صلى الله عليه وآله) الذي جسّد الإسلام بكل أبعاده، في جميع مرافق حياته: الفردية والاجتماعية، وفي ظروف اجتماعية وسياسية عصيبة فأرسىٰ قواعد القيم الإسلامية المُثلىٰ في واقع الفكر والعقيدة وفي اُفق الخلق والسلوك وأصبح نبراساً ـ على مدى العصور ـ يشعّ بالإيمان والطهر والبهاء للعالمين.

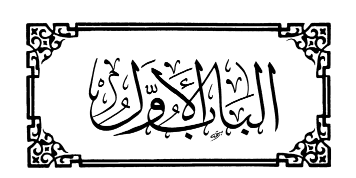
في الختام نتقدم بجزيل الشكر للمؤلف فضيلة الأخ السيّد منذر الحكيم ومساعده في التأليف الأخ الفاضل عدي الغريباوي .

وفضيلة السيّد يونس عگلة الموسوي حيث قام بمراجعة وثائق الكتاب من جديد وإكمالها لهذه الطبعة والأخ قاسم البغدادي حيث قام بالصف الالكتروني الدقيق والأخوين الفاضلين حسين الصالحي وجواد الطاهر لقيامهما بمقابلة الكتاب في طبعته المحقّقة هذه. فلهم جميعاً من الله حسن القبول ودوام التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

(١) انظر مدخل الباب الأوّل من هذا الكتاب : المنهج القرآني في دراسة التاريخ والسيرة .



الباب الأوّل

فيه فصول :

المدخل :

المنهج القرآني في دراسة التاريخ والسيرة

الفصل الأوّل :

النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) في سطور

الفصل الثاني :

سنّة البشارة على مدىٰ العصور

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصية خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)

المدخل:

المنهج القرآني في دراسة التأريخ والسيرة

للقرآن الكريم عناية فائقة بسيرة الانبياء الهداة وله نهج خاص في عرض سيرتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

والمنهج القرآني يقوم على مجموعة من الأُسس والاصول العلمية في كيفية عرضه لسيرة الهداة المصطفين.

دور الهداية الربّانية في حركة التاريخ

إنّ القرآن الكريم ينطلق من عنصر الهداية وهو عنصر ترشيد حركة الإنسان نحو الكمال اللائق به فيختار أهدافاً عُليا لمجموعة من الحوادث التاريخية التي تشكّل منعطفاً مهمّاً في حياة الأفراد والأُمم وتكون مفتاحاً للدخول الى ابواب واسعة من العلوم والمعارف التي تخدم حركة الإنسان التكاملية.

أهداف الاهتمام بالتاريخ الإنساني

والقرآن الكريم ـ للوصول الى تلك الأهداف المُثلى ـ يخاطب العقل

والعقلاء ويفتح أمام الفكر الإنساني آفاقاً جديدة حيث يقول:

١ ـ ﴿فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

٢ ـ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾(٢).

فـ(التفكر) و (الاعتبار) في حوادث التأريخ والسيرة (تاريخ الأُمم وسيرة القادة الهُداة) يشكّلان هدفين أساسيّين في المنهج القرآني في مجال عرض ودراسة التاريخ.

ولا تقتصر الأهداف على هذين بل تتعدّاهما الى أهداف رسالية أُخرى تتجلى في قوله تعالى:

٣ ـ ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

٤ ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

حيث تضمّنت كلّ آية أربعة أهداف رسالية لاستعراض أنباء المرسلين والتحدّث عن قصصهم.

مبادئ وأُصول المنهج القرآني

ويعتمد القرآن الكريم في منهجه التاريخي الذي يتفرّد به علىٰ الأُصول والمبادئ التالية:

---

(١) الأعراف (٧) : ١٧٦.

(٢) يوسف (١٢) : ١١١.

(٣) يوسف (١٢) : ١١١.

(٤) هود (١١) : ١٢٠.

١ ـ مبدأ إكتشاف الحقّ واتّباعِهِ.
٢ ـ مبدأ إتباع العلم وتجنّب الظنون والأوهام.
٣ ـ مبدأ المعاصرة للأحداث.
٤ ـ مبدأ الإحاطة بها.

فلا يدع مجالاً للريب والافتراء فيما يحدّث عنه ويقصّه ويستعرضه من ظواهر تأريخية وحوادث إجتماعية سابقة أو معاصرة للتنزيل. ما دام يعتمد الحق والعلم دون الخرافة والخيال.

وقد أكّد هذين الأصلين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ... ﴾[١] وبقوله أيضاً في مطلع سورة الأعراف: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾[٢] وفيه تصريح بعنصر المعاصرة للأحداث التي يقوم بعرضها .

منهج القرآن العلمي

وللقرآن الكريم بعد ذلك كله منهج علمي في التحليل والاستنتاج الى جانب اعتماده على الإستقراء تارة وعلى الإستدلال تارة أُخرى.

وحين يستعرض القرآن حياة الرسل بشكل عام يذكر خطوطاً عريضة تجعلهم في صفٍ واحدٍ وخندقٍ واحدٍ وخطٍ واحدٍ هو خط الإسلام العام،كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللّٰهِ ٱلإِسْلاَمُ ﴾[٣] .

ثم إنه يغور في أعماق سيرة كل واحد من أُولي العزم من الرسل ليحيط المتلقي بأهم مفاصل سيرتهم وزواياها وليربط بينها وبين ما سبقها وما يلحقها من حوادث تتعلق بالخط الرسالي المستمر باستمرار الحياة.

(١) آل عمران (٣) : ٦٢.
(٢) الأعراف (٧) : ٧.
(٣) آل عمران (٣):١٩ .

موقف القرآن من التحريف التاريخي

إنّ من طبيعة البحث التاريخي أن تناله يد التحريف وقد يغطيه الإبهام والغموض وقد تستره سحب داكنة ريثما تتكشف الحقيقة بالتدريج وينمو الانكشاف حتى يبلغ حدّاً لا يستسيغ المجتمع الانساني التغافل عنه وتجاوز الحقائق فيه.

وتشير الآية المباركة السابقة من سورة يوسف، إلى إمكان الإفتراء والتلاعب بحقائق التاريخ أو المبالغة والبحث عن غير علم وسدل الستار على الحق الذي لابدّ أن يظهر.

ومن هنا؛كان على المدرسة القرآنية أن تسلّح الباحث عن الحقيقة بسلاح موضوعي قادر على اكتشاف الحقيقة بشكل كامل.

نظرية الثوابت في القرآن وعند الإنسان

لقد طرح القرآن الكريم نظرية الثوابت التي لا يمكن للفكر الإنساني أن يتجاوزها في حال من الاحوال وسمّاها بالمحكمات وأُم الكتاب. وهي الحقائق الثابتة والبينة للفكر الإنساني، وهي لا تقبل الريب أو الترديد أو التشكيك بحال من الأحوال.

والثوابت دائماً تشكّل الخطوط العريضة والمعالم الأساسية للفكر الإنساني الذي يستوعب ما لا يستوعبه عالم المادة، ولكنه لا يستسيغ أن يقف مكتوف اليدين أمام المبهمات وما يختلف فيه أبناء آدم (عليه السلام).

ويسوق القرآن الكريم للقارئ الواعي موقفين وأُسلوبين من التعامل مع المبهمات أو ما يختلف فيه بنو آدم، ويحاكم هذين الأسلوبين ليخرج الى

نتيجة بيّنة تصبح معياراً وتقدم قاعدة عامة للتعامل مع كل خبر يرد على الفكر الانساني.

ويعود كل نوع من أنواع التعامل إلى جذور نفسية واضحة تنسحب على نوع التعامل وتنعكس في أُسلوب المواجهة مع كل حديث ينقل الى الإنسان ويراد من الفكر الإنساني أن يتخذ منه الموقف المناسب والجدير به.

قال تعالى بعد أن أشار إلى أن القرآن هو الفرقان الذي أنزله الله على رسوله الأمين:

﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـبَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرَ مُتَشَابِهاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلأَلْبَابِ* رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(١).

إن سلامة النفس من الزيغ تحول بين الإنسان وبين ابتغاء الفتنة. ومن هنا يتوقف الإنسان الذي يتحرّى الحقيقة عن اتّباع المتشابه من الآيات، بل يُرجع الأمر الى ربّه.

دور العقل في كشف الحقائق والأخطاء

فالعقل يقف حائلاً بينه وبين أيّ تفسير غير علمي أو غير مستند الى دليل صحيح وحقائق ثابتة، بل العقل هو الذي يرشده إلى الركون إلى المحكمات والالتزام بأم الكتاب حيث يشكّل ذلك الاطار العام والخطوط الثابتة التي لا يمكن تجاوزها بحال من الاحوال، وحينئذ من الطبيعي أن

(١) آل عمران (٣) : ٧ ـ ٨.

نلاحظ الآيات الأخرى في ظل هذه الثوابت وهذه المعالم التي لا يمكن تجاوزها.

وهنا تتفتح آفاق النفس لآفاق الفكر لتتأمل فيما لا يكون صريحاً أو واضحاً في بداية الامر. وبهذا سوف يضمن العاقل الذى آمن بربّه عدم الزيغ وعدم التسرّع في تفسير وتحليل ما يشاهده من الآيات المتشابهة، بل يقف منها موقف اللبيب الحكيم، وإن لم يفلح في اكتشاف الحقيقة فإنه لا ينكرها ولا يستنكرها، وإنّما يرجع الأمر إلى مصدره ويوكل الأمر إلى ربه الذي نزّل الآيات هذه ويستفهم منه ما يبتغيه، طالباً منه استمرار الهداية ونزول الرحمة.

إنّه الموقف السليم الذي يمثل النضج والتعامل المنطقي مع النصوص إذ لا يتسرع العاقل في التوجيه والتحليل.

ومن هنا: قد نفهم الوجه في قوله تعالى في مطلع سورة هود: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[1] فإن التفصيل إنما يكون بعد الإحكام وبعد أن تتعين الآيات التي هي أُم الكتاب، والتي تعدّ هي الأُسس والخطوط الثابتة كما أفصحت بذلك الآية السابعة من سورة آل عمران ﴿ **مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتابِ** ﴾[2].

والآية (٣٩) من سورة الرعد تلقي بظلالها على هذه النقطة أيضاً إذ تقول: ﴿ **يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ** ﴾[3] فإن ما لا يتعرض للمحو والتغيير هو أم الكتاب. وما دونه قد يتعرض للمحو والتغيير تبعاً لاختلاف الظروف والحالات والطوارىء.

---

(١) هود (١١) : ١.

(٢) آل عمران (٣) : ٧ .

(٣) الرعد (١٣): ٣٩.

وتكفي هذه الآيات لرسم المنهج العام الذي يسير عليه القرآن الكـريم في تعامله مع وقائع التاريخ، فإنّ الاختلاف في التفاصيل لايسمح لنا بـإنكار الأصل والتغافل عنه وإدانة ما ثبت لدينا وتحققنا من وجوده.

عرض كتب السيرة على كتاب الله ومنهجه

وفي ضوء هذا يمكن تقويم كل ما ورد في كتب السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي أو تاريخ ما قبل الإسلام مما يرتبط بالإنبياء وأُممهم ؛ فإنّ الثوابت التاريخية هي محطّات الإشعاع وهي المحكمات التي لايمكن تجاوزها بحال من الأحوال وإليها نحتكم في تفسير أو قبول أو ردّ ما أثبتته كتب التأريخ من نصوص تحتوي على الصحيح والخطأ .

إذن؛ حقل التاريخ ـ وهو حقل اختلاط الحقائق بالأباطيل ـ يـتطلب مـنا استعمال أدوات تسعفنا لكشف تمام الحقيقة الثابتة.

وثوابت التاريخ ـالتي أيّدتها محكمات العقل والنقل ـ هي المنطلق لأي تفسير أو تأويل أو محاكمة أو إدانة.

تطبيقات المنهج القرآني في القرآن

وقد طبّق القرآن الكريم هذا المنهج على سيرة الأنبياء وأُممهم بـالذات حـينما رسـم لنـا صـورة واضـحة يشـترك فـيها كـل الأنـبياء واعـتبر النـبوّة والإصطفاء ناشئَينِ من مواصفاتٍ أساسية ـ في شخصية كل نبيّ ـ، أهّلته لأن يختاره الله نبيّاً لِهداية الخلق على يديه، وهذه المواصفات هي : اكتمال العقل والوعي والصلاح والصبر والعبودية التامّة لله القائمة على الوعـي والبـصيرة،

قال تعالى مخاطباً نبيّه: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي ... ﴾[١]، كما قال له: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي... ﴾[٢].

هذا هو المنطق القرآني الذي يمثّل الإحكام والثبات... فكيف يبعث الله نبيّاً لا يعي ولا يدرك أنه مبعوث أو مرسَل من ربه ولا يطمأن الى ما يراه من آيات ربه إلّا أن يطمأنه الآخرون؟! فلا يعقل أن يُبعث ويهيّأ للنبوة وهو لا يعلم أنه نبي ومبعوث من الله الى الخلق، أو يتردد أو يشك في مهمّته، فضلاً عن تصوّره أنه يستلهم الحقيقة ممّن يراد منه هدايته. قال تعالىٰ مُشيراً الى هذه الحقيقة : ﴿... أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٣].

إن الصورة الواضحة التى يرسمها القرآن الكريم عن شخصية أنبياء الله والتي تؤيّدها محكمات العقل هي التي تصبح موئلاً ومرجعاً محكماً وثابتاً لمحاكمة كل صورة تسرّبت من التوراة والانجيل أو جاءت فيما سمّي بالصحاح أو عامّة كتب التأريخ التي وردت فيها بعض القصص عن أنبياء الله، سواء كان ذلك النبيّ هو إبراهيم (عليه السلام) أو موسى (عليه السلام) أو عيسى(عليه السلام) أو محمد(صلى الله عليه وآله)، وسواء كان الناقل لهذه الصورة بعض اُمّهات المؤمنين، أو بعض الصحابة، أو من يَمُتُّ الى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بصلة من قريب أو بعيد.

* * *

(١) الانعام (٦) : ٥٧.

(٢) يوسف (١٢) : ١٠٨.

(٣) يونس (١٠): ٣٥.

الفَصلُ الأَوّلُ

النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) في سطور

من الولادة الى البعثة

ولد خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب (صلى الله عليه وآله) في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل من عام الفيل[1] .بعد أن فقد أباه.

ثم استرضع في بني سعد ، ورُدّ الى اُمّه وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره.

وقد توفّيت اُمّه حين بلغ السادسة من عمره فكفله جدّه واختص به وبقي معه سنتين ثمّ ودّع الحياة بعد أن أوكل أمر رعايته الى عمّه الحنون أبي طالب حيث بقي مع عمّه الى حين زواجه.

وسافر مع عمّه الى الشام وهو في الثانية عشرة من عمره والتقىٰ ببحيرىٰ الراهب في الطريق فعرفه بحيرى وحذّر أبا طالب من التفريط به وكشف له عن تربص اليهود به الدوائر.

وحضر النبيّ (صلى الله عليه وآله) حلف الفضول بعد العشرين من عمره وكان يفتخر بذلك فيما بعد، وسافر الى الشام مضارباً بأموال خديجة وتزوجها وهو في الخامسة والعشرين وفي ريعان شبابه ، بعد أن كان قد عُرف بالصادق الأمين،

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٢ (باب نسب رسول الله (صلى الله عليه وآله) و تاريخ مولده)، مسار الشيعة للمفيد: ٥٠ (أعمال ربيع الأوّل)، إعلام الورىٰ ١: ٤٢ / ب١/ ف ١.

وقد ارتضته القبائل المتنازعة لنصب الحجر الأسود لحل نزاعها فأبدىٰ حنكةً وابداعاً رائعاً أرضىٰ به جميع المتنازعين.

من البعثة الى الهجرة

وبُعث وهو في الأربعين وأخذ يدعو الى الله وهو على بصيرة من أمره ويجمع الإتباع والأنصار من المؤمنين السابقين(١).

وبعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بداية الدعوة الى الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصدع بالرسالة ويدعو إلى الإسلام علانية ليدخل من أحبّ الإسلام في سلك المسلمين والمؤمنين.

ومن ذلك الحين أخذت قريش تزرع الموانع أمام حركة الرسول(صلى الله عليه وآله) وتحاول أن تمنع من انتشار الرسالة صادّةً بذلك عن سبيل الله . وعمل النبيّ(صلى الله عليه وآله) إلى فتح نافذة جديدة للدعوة خارج مكّة فارسل عدّة مجاميع من المسلمين الى الحبشة بعد أن حظَوا باستقبال ملكها (النجاشي) وترحيبه بقدومهم فاستقروا فيها بقيادة جعفر بن أبي طالب ولم يتركها جعفر الاّ في السنة السابعة بعد الهجرة.

ولم تفلح قريش في تأليب النجاشي على المسلمين ، فبدأت بخطّة جديدة تمثّلت في فرض الحصار الأقتصادي والأجتماعي والسياسي والذي استمرّ لمدة ثلاث سنوات ـ فلمّا أيسَتْ من إخضاع النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأبي طالب وسائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار ولكن النبيّ(صلى الله عليه وآله) وعشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين أُمتُحِنوا بوفاة أبي طالب وخديجة ـ سلام الله

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٧٣- ٢٧٨، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١: ١٠٠- ١٩٠ وقد ذكرناه ملخّصاً.

عليهما ـ في السنة العاشرة من البعثة وكان وقع الحادثين ثقيلاً على النبيّ (ﷺ) لأنّه فقد بذلك أقوى ناصرَينِ في عام واحد.

وهنا رجّح بعض المؤرّخين تحقق حادثة الاسراء والمعراج والنبيّ في أوج هذا الحزن والضغط النفسي على النبيّ(ﷺ) وهو يرىٰ صدود قريش ووقوفها بكل ثقلها أمام رسالته ففتح الله له آفاق المستقبل بما أراه من آياته الكبرىٰ فكانت بركات (المعراج) عظيمة للنبي وللمؤمنين جميعاً.

وهاجر الرسول(ﷺ) الى الطائف ليبحث عن قاعدة جديدة ولكنه لم يكسب فتحاً جديداً من هذه البلدة المجاورة لمكة والمتأثرة بأجوائها، فرجع الى مكّة بعد أن اختار جوار مطعم بن عدي فدخلها، وبدأ نشاطاً جديداً لنشر الرسالة وفي مواسم الحج حيث أخذ يعرض نفسه علىٰ القبائل القاصدة للبيت الحرام لأداء مناسك الحج وللإتّجار في سوق عكاظ ففتح الله له أبواب النصر بعد التقائه بأهل يثرب، واستمرّت دعوته الى الله وانتشر الإسلام في يثرب حتى قرّر الهجرة اليها بنفسه بعد أن أخبره الله تعالى بكيد قريش حين أجمعت بطونها على قتله والتخلّص منه نهائيّاً، فأمر عليّاً عليه السلام بالمبيت في فراشه وهاجر هو الى يثرب بكل حيطة وحذر، ودخلها وأهل يثرب على أتمّ الاستعداد لاستقباله، فوصل (قبا) في غرّة ربيع الأوّل وأصبحت هجرته المباركة مبدأ للتأريخ الاسلامي بأمرٍ منه(ﷺ).

من الهجرة الى الفتح

وأسّس النبيّ الخاتم (ﷺ) أوّل دولةٍ إسلاميةٍ أرسىٰ قواعدها طيلة السنة الأُولىٰ بعد الهجرة بدءاً بكسر الأصنام وبناء المسجد النبوي الذي أعدّه مركزاً لنشاطه ودعوته وحكومته وبالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليقيم بذلك

قاعدة شعبية صلبة يقوم عليها بناء الدولة الجديدة، هذا مضافاً إلى كتابة الصحيفة التي نظم فيها علاقة القبائل بعضها مع بعض والمعاهدة التي أمضاها مع بطون اليهود حيث كانت تشتمل على الخطوط العامة لأوّل نظام إداري وحكومي إسلامي.

ولقد واجهت الدولة الإسلامية الفتية وكذا الدعوة الإسلامية مواجهة شرسة من جانب قريش التي عزمت على اكتساح الدعوة والدولة الإسلاميتين فشنّت الحرب بعد الحرب على المسلمين وكان لابدّ للنبي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والمسلمين من الدفاع.

وبدأت سنوات الدفاع عن هذه الدولة الفتية وقد افتتحها بأوّل سريّة بقيادة عمّه حمزة في الشهر السابع بعد الهجرة وجهّز ثلاث سرايا الى نهاية العام الأوّل من الهجرة. ونزلت في هذا العام آيات كثيرة من سورة البقرة لترسم للنبي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ودولته وأمّته أحكاماً خالدة وتفضح خطط المنافقين وتكشف مؤامرات اليهود ضدّ خاتم المرسلين ودولته العالمية الجديدة.

لقد استهدفت قريش النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ودولته من خارج المدينة، واستهدف اليهود هذه الدولة من داخل المدينة فرصد النبيّ تحركاتهم جميعاً، وتتابعت ثمان غزواتٍ وسريّتان طيلة العام الثاني بمافيها غزوة بدر الكبرىٰ في رمضان المبارك حيث افترضت فريضة الصيام وتمّ تحويل القبلة كلُّ ذلك أعطى لاستقلال الأُمّة المسلمة والدولة الإسلامية بُعداً جديداً.

وحفل العام الثاني بمزيد من الانتصارات العسكرية من جانب ونزول التشريعات السياسية والاجتماعية من جانب آخر ومنيت قريش واليهود

بأوّل هزيمة فاضحة كما تمّ إجلاء بني قينقاع وهم أول طوائف اليهود التي اتّخذت المدينة وطناً بعد أن نكثوا عهدهم مع الرسول(صلى الله عليه وآله) عقيب انتصار المسلمين في بدر الكبرى.

واستمرت محاولات قريش العسكريّة ضد الإسلام والمسلمين من خارج المدينة ونكثت قبائل اليهود عهودها مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) عدّة مرّاتٍ خلال ثلاث سنوات متتابعة، فكانت خمس غزوات ، وهي : أُحد وبنو النضير والأحزاب وبنوقريظة وبنو المصطلق ـ ذات ثقل باهض على عاتق النبيّ(صلى الله عليه وآله) والمسلمين جميعاً خلال هذه السنين الثلاث.

من الفتح الى حجّة الوداع

وردّ الله كيد الأحزاب واليهود معاً في العام الخامس بعد أن أبلى المسلمون بلاءاً حسناً ومهّد الله بذلك للفتح المبين بعد أن أيسَتْ قريش من القضاء على شوكة المسلمين وانطلق النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعد صلح الحديبية يتحالف مع القبائل المحيطة به ويستقطبها ليجعل منها قوة واحدة أمام قوىٰ الشرك والإلحاد جميعاً حتى فتح الله له مكّة في العام الثامن ومكّنه من تصفية قواعد الشرك في شبه الجزيرة بعد أن أخضع عتاة قريش لدولته وسياسته المباركة.

ثمّ كانت السنة التاسعة عامرة بوفود القبائل التي أخذت تدخل في دين الله أفواجاً.

وكان العام العاشر عام حجة الوداع وهي آخر سنة قضاها النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع أُمّته وكان يمهّد لدولته العالمية ولأُمّته الشاهدة على سائر الأُمم[١].

(١) راجع الطبقات الكبرىٰ ١: ١٩٠ ومابعدها ومروج الذهب ٢: ٢٨١ـ ٢٩٣ ملخّصاً .

الرحيل والانجازات الكبرىٰ للرسول(صلى الله عليه وآله)

وتوفّي النبيّ القائد(صلى الله عليه وآله) في الثامن والعشرين من صفر المظفر سنة احدىٰ عشرة هجرية[١]، بعد أن أحكم دعائم دولته الإسلامية حيث عيّن لها القيادة المعصومة التي تخلفه وتترسّم خطاه متمثّلة في شخص علي بن أبي طالب(عليه السلام)[٢] ذلك الإنسان الكامل الذي ربّاه الرسول الكريم بيديه الكريمتين منذ أن ولد ورعاه أحسن رعاية طيلة حياته، وجسّد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كل قيم الإسلام في فكره وسلوكه وخلقه وضرب مثلاً أعلى في الانقياد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأوامره ونواهيه فكان جديراً بوسام الولاية الكبرى والوصاية النبوية والخلافة الإلهية حيث رشّحه عمق وجوده في كيان الرسالة الإسلامية والثورة الإلٰهيّة والدولة النبوية ليكون النائب الأوّل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) حين غيابه عن مسرح الحياة بأمر من الله سبحانه وتعالى.

وقد لبّىٰ الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) نداء ربّه بعد أن أتمَّ تبليغ الرسالة بنصب عليٍّ (عليه السلام) هادياً وإماماً للمسلمين على الرغم من حراجة الظروف وصعوبتها. وهكذا ضرب الرسول(صلى الله عليه وآله) المثل الأعلى لطاعة الله والانقياد لأوامره حيث بلّغ أمر الله أحسن تبليغ وأتمّ الحجة بأبلغ بيان.

تلك نظرة سريعة إلى شخصية وحياة خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) وهلمّ معنا بعد هذا العرض الموجز إلى دراسةٍ تفصيليةٍ في هذا المجال.

* * *

(١) الكافي ١: ٤٣٩ (باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله)، إعلام الورىٰ ١: ٥٣، كشف الغمة ١: ١٦.

(٢) راجع الكافي ١:٢٩٢ (باب الإشارة والنص على أميرالمؤمنين)، إعلام الورىٰ ١: ٣١٥ (الباب الثاني من الركن الثاني).

الفصل الثاني

سُنّة البشارة في تاريخ الرسالات الإلهية

ظاهرة النبوة في الحياة البشرية

لقد صرّح القرآن الكريم بأن العهد التاريخي للبشرية قد بدأ بظاهرة وجود النبوّات وبعث الأنبياء وإرسال الرسل. الذين مضوا يقودون مجتمعاتهم نحو حياة أفضل ووجود إنساني أكمل؛ مما يمكن أن نستنتج منه أنّ إشراق النبوّة وظهور الأنبياء في المجتمعات البشريّة يعتبر بداية العصر التاريخي للبشرية .

قال تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(1).

مضمون الظاهرة الربّانية والإنسانية

لقد قضت حكمة الله ورحمته بإرسال الأنبياء حاملين الى الإنسانية منهاج هدايتها الذي يخرجها من عهد الغريزة الى عهد العقل، ومن منطق الصراع الذي مرجعه الغريزة والقوّة الى منطق النظام ومرجعه القانون..

---

(١) البقرة (٢) : ٢١٣ .

وخرج المجتمع البشري بالنبوّات عن كونه تكويناً حيوانياً بيولوجيّاً الى كونه ظاهرة عقلية روحية وحققت النبوّات للإنسان مشروع وحدة أرقى من وحدته الدموية البيولوجية ... وهي الوحدة القائمة على أساس المعتقد، وبذلك تطوّرت العلاقات الإنسانية مرتفعة من علاقات المادة الى علاقات المعاني . والإختلافات التي نشأت في النوع الإنساني بعد إشراق عهد النبوّات غدت اختلافات في المعنى، واختلافات في الدين والمعتقد؛ فإنّ أسباب الصراع لم تُلغ بالدين الذي جاءت به النبوّات بل استمرّت وتنوّعت، ولكن المرجع لم يعد الغريزة بل غدا القانون مرجعاً في هذا المضمار . والقانون الذي يتضمنه الدين يكون قاعدة ثابتة لوحدة الإنسانية وتعاونها وتكاملها[١].

خطّ الهداة الربّانية خطّ حركة الإنسان

وأوضح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الخطبة الأُولىٰ من نهج البلاغة ـ بعد أن استعرض تاريخ خلق العالم وتاريخ خلق آدم (عليه السلام) وإسكانه في الأرض ـ أن إشراق النبوّة وتسلسلها على مدى العصور هو المحور في تاريخ الإنسان وحركته نحو الكمال كما صرّح به القرآن الكريم موضحاً منهجه في التعامل مع التاريخ.

قال (عليه السلام) «**... واصطفى سُبحانه من ولد (آدم) أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم[٢]، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله اليهم[٣]، فجهلوا حقّه، واتّخذوا**

(١) حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) : ٧١ ـ ٧٣ .

(٢) أخذ عليهم الميثاق أن يبلّغوا ما أوحي إليهم ، أو أخذ عليهم أن لا يشرّعوا للناس إلّا ما يوحى إليهم.

(٣) عهد الله الى الناس : هو ما يعبر عنه بميثاق الفطرة.

الأنداد معه[١]، واجتالتهم الشياطين عن معرفته[٢]، واقتطعتهم عن عبادته ..

فبعث فيهم رُسُله ، وواتر إليهم أنبياءه؛ ليستأدُوهم ميثاق فطرته[٣]، ويذكّروهم مَنسيَّ نعمته، ويحْتجّوا عليهم بالتّبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول[٤]، ويُروهم آيات المقدرة: من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع ، ومعايش تُحْييهم ، وآجال تُفنيهم، وأوصاب تُهرمهم[٥]، وأحداث تتابع عليهم.

ولم يُخْلِ الله سبحانه خلقه من نبيٍّ مرسل ، أو كتاب مُنْزل ، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة[٦].

رُسلٌ لا تقصِّرُ بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكذّبين لهم : من سابق سُمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله[٧] .

على ذلك نسلت القرون[٨]، ومضت الدهور ، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء .

الى أن بعث الله سبحانه مُحمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لإنجاز عدته[٩]، وإتمام نبوّته.

---

(١) الأنداد: المعبودين من دونه سبحانه وتعالى .

(٢) اجتالتهم : صرفتهم عن قصدهم الذي وُجّهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم .

(٣) كأن الله تعالى بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى، قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق .

(٤) دفائن العقول : أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات ، وترتفع به الى الإيقان بصانع الموجودات، وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال، فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة، وإبراز تلك الأسرار الباطنة.

(٥) السقف المرفوع : السماء. والمهاد الموضوع : الأرض . والأوصاب : المتاعب .

(٦) المحجة : الطريق القويمة الواضحة .

(٧) من سابق بيان للرسل ، وكثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم،كما ترى ذلك في التوراة . والغابر : الذي يأتي بعد أن يشير به السابق جاء معروفاً بتعريف من قبله .

(٨) مضت متتابعة .

(٩) الضمير في عدته لله تعالى : لأن الله وعد بإرسال محمد (صلى الله عليه وآله) على لسان أنبيائه السابقين. وكذلك الضمير في نبوته : لأنّ الله تعالى أنبأ به، وأنّه سيبعث وحياً لأنبيائه. فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة. ولما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوة إليه .

مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورة سماته[١]، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذٍ مللٌ متفرّقة وأهواءٌ منتشرة، وطوائف متشتّتة، بين مشبّه لله بخلقه، أو مُلحدٍ في إسمه، أو مشير الى غيره[٢].

فهداهم به من الضّلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة.

ثم اختار سبحانه لمحمّد (صلى الله عليه وآله) لقاءَهُ، ورضي له ما عنده ، وأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقام البلوىٰ، فقبضه اليه كريماً (صلى الله عليه وآله) ، وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أُممها إذْ لم يتْرُكوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم[٣]»[٤].

ظاهرة البشائر وفلسفتها

إنّ بشائر الأنبياء السابقين بنبوّة الأنبياء اللاحقين تنفع الأجيال المعاصرة لهم وكذا الأجيال اللاحقة؛ إذ تفتح عيونهم وتجعلهم على أهبة الإستقبال للنبيّ المبشَّر بنبّوته أوّلاً، كما أنّها تزيل عنهم الريب وتعطيهم مزيداً من الثقة والاطمئنان ثانياً.

وثالثاً: إن اليأس من الاصلاح إذا ملأ القلب يجعل الإنسان يفكر بطرق أبواب الشّر والخيانة، فالبشائر بمجئ الأنبياء المصلحين تزيل اليأس من النفوس التي تنتظر الاصلاح وتوجّهها الى حبّ الحياة وقرع أبواب الخير.

---

(١) سماته : علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشّروا به .

(٢) الملحد في إسم الله : الذي يميل به عن حقيقة مسمّاه فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها. والمشير الى غيره، الذي يشرك معه في التصرّف إلهاً آخر فيعبده ويستعين به.

(٣) أي أنّ الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم، وقد كان من محمد (صلى الله عليه وآله) مثل ما كان منهم، فإنّه خلّف في أمته كتاب الله تعالى حاوياً لجميع ما يحتاجون إليه في دينهم، كما خلّف أهل بيته المعصومين وجعلهم قرناء للكتاب المجيد كما صرّح بذلك في حديث الثقلين الذي تواتر عنه (صلى الله عليه وآله) ورواه جمع غفير من المحدثين.

(٤) نهج البلاغة: ١٩ ـ ٢١ / خ ١٠ .

ورابعها: تزيد البشائر إيمان المؤمنين بنبوّة نبيّهم، وتجعل الكافرين في شكٍّ من كفرهم، فيضعف صمودهم أمام دعوة النبيّ الى الحقّ ممّا يمهّد لقبولهم الدعوة.

وخامساً: إذا أدّت البشارة إلىٰ حصول الثقة فقد لا تُطلب المعجزة من النبيّ المبعوث الى أُمّته .

وهكذاكما تكون النبوّة المحفوفة بالبشارة أنفذ الى القلوب وأقرب الى الإذعان بها. على أ نّها تبعّد الناس عن وطأة المفاجأة أمام واقع غير منتظر، وتخرج دعوة النبيّ عن الغرابة في نفوس الناس(١).

إنّ الأنبياء جميعاً يشكّلون خطاً رساليّاً واحداً، فالسابق منهم يبشّر باللاحق به، واللاحق منهم يؤمن ويصدّق بالسابق عليه.

وقد تكفّلت الآية (٨١) من سورة آل عمران بالتصريح بسنّة البشائر هذه. فضلاً عن الشواهد والتطبيقات التي سوف نلاحظها في البحث الآتي.

بشارات الانبياء برسالة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله)

١ ـ لقد نصّ القرآن الكريم على بشارة إبراهيم الخليل (عليه السلام) برسالة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) باسلوب الدعاء قائلاً ـ بعد الكلام عن بيت الله الحرام في مكّة المكرّمة ورفع القواعد من البيت والدعاء بقبول عمله وعمل إسماعيل(عليه السلام) وطلب تحقيق أُمةٍ مسلمةٍ من ذريتهما ـ: ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾(٢).

---

(١) انظر: محمّد في القرآن : ٣٦ ـ ٣٧ (البشائر بقدوم الأنبياء).
(٢) البقرة (٢) : ١٢٩.

٢ ـ وصرّح القرآن الكريم بأنّ البشارة بنبوّة محمد (ﷺ) الأُمّي كانت موجودة في العهدين القديم (التوراة) والجديد (الانجيل). والعهدان كانا في عصر نزول القرآن الكريم وظهور محمد (ﷺ) ولو لم تكن البشارة موجودة فيهما لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين.

قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّورَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلأَغْلاَلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...** ﴾[١].

٣ ـ وصرّحت الآية السادسة من سورة الصف بأن عيسى (عليه السلام) صدَّقَ التوراة بصراحة وبشّر برسالة نبيّ من بعده اسمه أحمد. وقد خاطب عيسى (عليه السلام) بني اسرائيل جميعاً لا الحواريين فحسب.

أهل الكتاب ينتظرون خاتم النبيّين (ﷺ)

لم يكتفِ الأنبياء السابقون بذكر الأوصاف العامة للنبيّ المبشَّر به، بل ذكروا أيضاً العلائم التي يستطيع المبَشَّرون من خلالها معرفته بشكلٍ دقيقٍ، مثل: محل ولادته، ومحل هجرته وخصائص زمن بعثته، وعلائم جسمية خاصة وخصائص يتفردّ بها في سلوكه وشريعته.. ولهذا قال القرآن عن بني إسرائيل بأنهم كانوا يعرفون رسول الإسلام المبشَّر به في العهدين كما يعرفون أبناءَهم[٢].

بل رتبوا على ذلك آثاراً عملية فاكتشفوا محل هجرته ودولته فاستقروا

(١) الأعراف (٧) : ١٥٧.

(٢) راجع الأنعام (٦) : ٢٠.

فيها وأخذوا يستفتحون برسالته على الذين كفروا ويستنصرون برسول الله(ﷺ) على الأوس والخزرج[١] وتسرّبت هذه الأخبار الى غيرهم عن طريق رهبانهم وعلمائهم فانتشرت في المدينة وتسرّبت الى مكّة[٢].

وذهب وفد من قريش بعد إعلان الرسالة إلى اليهود في المدينة للتَثبّت من صحة دعوىٰ النبيّ (ﷺ) النبوّة وحصلوا على معلومات اختبروا بها النبيّ (ﷺ)[٣] واتّضح لهم من خلالها صدق دعواه.

وقد آمن جمع من أهل الكتاب وغيرهم بالنبيّ محمّد (ﷺ) على أساس هذه العلائم التي عرفوها من دون أن يطلبوا منه معجزةً خاصةً[٤]، وهذه البشائر تحتفظ بها لحد الآن بعض نسخ التوراة والإنجيل[٥].

وهكذا تسلسلت البشائر بنبوة خاتم النبيين محمد (ﷺ) من قبل ولادته، وخلال فترة حياته قبل بعثته، وقد عرف واشتهر منها إخبار بحيرىٰ الراهب وغيره إبّان البعثة المباركة[٦].

وقد شهد عليٌّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الحقيقة التاريخية حين قال في

---

(١) تفسير العياشي١:٤٩ – ٥٠/ح ٦٩ (في تفسير الآية ٨٩ في سورة البقرة)، الكافي ٨: ٢٥٧/ ح ٤٨١ (في تفسير الآية)، مجمع البيان ١: ٢٩٩ـ ٣٠٠ (في تفسير الآية)، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١١ – ٢١٢ (إنذار اليهود بهﷺ).

(٢) إعلام الورىٰ ١: ٥٨ و مابعدها، (في معجزات النبيﷺ) قبل المبعث) .

(٣) راجع ما جاء في شأن نزول سورة الكهف.

(٤) راجع المائدة (٥): ٨٣ .

(٥) سيرة رسول الله وأهل بيته : ١ / ٣٩ ، انجيل يوحنّا واشعة البيت النبوي : ١ / ٧٠ ، عن التوراة وراجع: بشارات عهدين، والبشارات والمقارنات.

(٦) إعلام الورىٰ ١: ٦٥ (في ذكر آياته و معجزاته قبل المبعث)، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١: ١٥٣ (ذكر علامات النبوة قبل أن يوحىٰ إليه)، تاريخ الطبري٢:٣٢ (ذكر رسول الله و أنسابه) و غيرها كثير من كتب السيرة في مضانها.

إحدىٰ خطبه: «**... الى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإنجاز عِدَتِه وإتمام نبوّتِه، مأخوذاً على النبيين ميثاقه مشهورةً سِماتُه..**»[١].

وقد جاء في طبقات ابن سعد عن سهل مولى عتيبة أنّه كان نصرانياً من أهل حريس، وأنه كان يتيماً في حجر أُمّه وعمّه وأنه كان يقرأ الإنجيل، قال: «... فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتّى مرّت بي ورقة فانكرت كتابتها حين مرّت بي ومسستها بيدي، قال: فنظرت؛ فاذا فصول الورقة ملصق بغراء ، قال: ففتقتها فوجدت فيها نعت محمّد (صلى الله عليه وآله): **إنّه لا قصير ولا طويل، أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر وهو يفعل ذلك، وهو من ذرّية إسماعيل، إسمه أحمد.** قال سهل: فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد (صلى الله عليه وآله) جاء عمّي فلّما رأىٰ الورقة ضربني وقال: مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها! فقلت: فيها نعت النبيّ أحمد، فقال: إنّه لم يأتِ بَعدُ[٢] .

* * *

(١) نهج البلاغه: ٢٠/ خ ١

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٦٣/١ (ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة والإنجيل).

الفصل الثالث

مظاهر من شخصية خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)

١ ـ العالِم الأُميّ :

لقد تميّز خاتم النبيين بأنه لم يتعلّم القراءة والكتابة عند أيّ معلّم بشريٍّ[١] ولم ينشأ في بيئة علم وإنّما نشأ في مجتمعٍ جاهليٍّ، ولم يكذّب أحد هذه الحقيقة التي نادىٰ بها القرآن[٢].

وقد ترعرع ونما في قوم هم من أشد الأقوام جهلاً وأبعدهم عن العلوم والمعارف، ولقد سمّىٰ القرآن الذي جاء به محمّد صلى الله عليه وآله ذلك العصر بالعصر الجاهلي ولا يمكن أن تصدر هذه التسمية إلّا من عالمٍ خبيرٍ بالعلم والجهل والعقل والحمق.

أضف الىٰ ذلك أنه قد جاء بكتاب يدعو الى العلم والثقافة والفكر والتعقّل واحتوىٰ على صنوف المعارف والعلوم، وبدأ بتعليم الناس الكتاب والحكمة[٣] وفق منهج بديع حتى أنشأ حضارة فريدةً إخترقت الغرب

---

(١) انظر سورة النحل (١٦) : ١٠٣. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾

(٢) انظر سورة العنكبوت (٢٩): ٤٨. ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ .

(٣) راجع سورةالجمعة(٦٢):٢.﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ ←

والشرق بعلومها ومعارفها ولا زالت تتلألأ بهاءً ونوراً.

فهو أُمي ولكنه يكافح الجهل والجاهلية وعبّاد الأصنام، وبعث بدين قيّم إلى البشرية وبشريعة عالمية تتحدّىٰ البشرية على مدى التاريخ. فهو معجزة بنفسه في علمه ومعارفه وجوامع كلمه ورجاحة عقله وثقافته ومناهج تربيته[١].

ومن هنا قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢] وقال له: ﴿وَأَنْزَلَ ٱللّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[٣].

أجل لقد أوحى الله اليه ما أوحىٰ[٤] وعلّمه الكتاب والحكمة وجعله نوراً وسراجاً منيراً وبرهاناً وشاهداً ورسولاً مبيناً وناصحاً أميناً ومذكّراً ومبشّراً ونذيراً[٥].

ولقد شرح الله له صدره وأعدّه لقبول الوحي والقيام بمهمة الإرشاد في مجتمع تسيطر عليه العصبية والأنانية الجاهلية فكان أسمىٰ قائدٍ عرفته البشرية في مجال الدعوة والتربية والتعليم.

إنها نقلة كبيرة أن يصبح المجتمع الجاهلي في بضع سنين حارساً أميناً

← ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ .

(١) انظر فصل معالم الرسالة ونماذج من تراثه صلى الله عليه وآله في آخر الكتاب .

(٢) الأعراف (٧) : ١٥٨.

(٣) النساء (٤) : ١١٣.

(٤) انظر مطلع سورة النجم لا سيّما قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ* وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ* عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ .

(٥) راجع السور والآيات السابقة : المائدة (٥) : ١٥ و١٩ ، الأحزاب (٣٣) : ٤٦ ، النساء (٤): ١٧٤ ، الفتح (٤٨): ٨ ، الزخرف (٤٣): ٢٩ ، الأعراف (٧) : ٦٨ ، الغاشية (٨٨) : ٢١ ، الإسراء (١٧) : ١٠٥ .

ومدافعاً قوياً لكتاب الهداية ومشعل العلم ويقف أمام محاولات التشويه والتحريف، إنها معجزة هذا الكتاب الخالد وذلك الرسول الأُمي الرائد، والذي كان أبعد الناس ـ في ذلك المجتمع الجاهلي ـ عن الخرافات والأساطير.

إنّه نور البصيرة الربّانية التي أحاطت به بكل جوانب وجوده.

٢ ـ أوّل المسلمين العابدين :

إنّ الخضوع المطلق لله خالق الكون ومبدع الوجود، والتسليم التام لعظيم قدرته ونفاذ حكمته، والعبودية الاختيارية الكاملة تجاه الإله الأحد الفرد الصمد هي القمة الاولى التي لابد لكل إنسانٍ أن يجتازها كي يتهيّأ للإجتباء والإصطفاء الإلهي. وقد شهد القرآن الكريم بذلك لهذا النبيّ العظيم حين قال عنه : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

إنّه وسام الكمال الذي حازه هذا العبد المسلم وفاق في عبوديته مَن سواه على الإطلاق وتجلّت هذه العبودية المثلىٰ في قوله وسلوكه حتى قال(صلى الله عليه وآله): «**قرّة عيني في الصلاة**»[٢] فهو ينتظر وقت الصلاة ويشتد شوقه للوقوف بين يدي الله ويقول لمؤذّنه بلال: **أرحنا يا بلال**[٣] وقد كان يحدّث أهله ويحدّثونه فإذا دخل وقت الصلاة فكأنه لم يعرفهم ولم يعرفوه[٤]. وكان إذا صلّى يسمع

(١) الأنعام (٦): ١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) الكافي ٥: ٣٢١ / م ٨ و ٩ (باب حبّ النساء)، الوسائل ٢: ١٤٤، أبواب آداب الحمام، ب ٨٩ح ١٢، سنن النسائي ٧: ٦١و٦٢ (باب حبّ النساء)، المعجم الصغير ١: ٢٦٢، (باب من إسمه الفضل) .

(٣) أسرار الصلاة: ١٢٠ (ضمن رسائل الشهيد الثاني)، الحبل المتين: ١٥٤ (المقصد الثالث)، العلل للدار قطني ٤: ١٢١ (بقية مسند عليّ بن أبي طالب عليه السلام) .

(٤) عدةالداعي: ١٣٩ (فصل في بيان لزوم الخوف)، أسرارالصلاة: ١٢٠ (ضمن رسائل الشهيد الثاني)، شرح←

لصدره أزيزٌ كأزيز المرجل[١]. ويبكي حتى يبلّ مصلّاه خشية من الله عزّ وجلّ[٢]، وكان يصلّي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر؟! فيقول: **أفلا أكون عبداً شكوراً**[٣]؟

وكان يصوم شعبان ورمضان وثلاثة أيام من كل شهر[٤]، وكان اذا دخل شهر رمضان يتغيّر لونه وتكثر صلاته ويبتهل في الدعاء[٥]. واذا دخل العشر الأواخر منه شدّ المئزر واجتنب النساء وأحيىٰ الليل وتفرّغ للعبادة[٦]. وكان يقول عن الدعاء : **«الدعاء مخّ العبادة»**[٧] و **«سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض»**[٨]. وقدكان دائم الاتصال بالله، دائم الانشداد إليه بالضراعة والدعاء في كلّ عملٍ كبيرٍ أو صغير، حتى كان يستغفر الله كل يوم سبعين مرّة ويتوب إليه سبعين مرة من غير ذنب[٩]، ولم يستيقظ من نوم قطّ إلّا خرّ لله ساجداً[١٠] وكان يحمد الله في كل يوم ثلاثمائة وستين مرّة ويقول: **«الحمد لله**

← النهج لابن أبي الحديد ١٠: ٢٠٦.

(١) الخصال: ٢٨٢/ ح٢٧ (باب الخمسة)، بحار الأنوار ٨١: ٢٤٨، مسند أحمد ٤: ٢٥ و٢٦، مستدرك الحاكم ١: ٢٦٤.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ١: ٥٢٨/ ح ١٢٧ (إحتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على بعض اليهود)، بحار الأنوار ١٠: ٤٥/ ح ١، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٢٦ / ح ٣٤.

(٣) الكافي ٢: ٩٥ / ح ٩ (باب الشكر)، أمالي الطوسي: ٦٣٧/ ح ١٣١٤، مسند أحمد ٤: ٢٥٥ وج ٦: ١١٥

(٤) الكافي ٤: ٩١/ ح٧ (باب صوم رسول الله صلى الله عليه وآله)، الوسائل ١٠: ٤٢٣، أبواب الصوم المندوب، ب٧، ح ١٧ .

(٥) إقبال الأعمال ١: ٦٩، ب٤، فصل ٥، الجامع الصغير ٢: ٣٣٣ / ح ٦٦٨١.

(٦) الكافي: ٤ / ١٥٥/ ح ٣ (باب ما يزاد من الصلاة في شهر رمضان)، الوسائل ١٠: ٣١١، أبواب أحكام شهر رمضان، ب ١٨، ح ١٧ .

(٧) المحجة البيضاء: ٢ / ٢٨٢، كتاب الأذكار، الباب الثاني، الوسائل ٧:٢٧، أبواب الدعاء، ب٢، ح ٩ .

(٨) الكافي ٢: ٤٦٨/ ح ١ (باب الدعاء سلاح المؤمن)، المحجة البيضاء: ٢ / ٢٨٤ كتاب الأذكار، الباب الثاني، الوسائل ٧، ٣٨، أبواب الدعاء، ب ٨، ح ٣.

(٩) الكافي ٢:٥٠٥ / ح ٥ (باب الاستغفار)، الوسائل ٧: ١٧٩-١٨٠، أبواب الذكر، ب ٢٥، ح ١.

(١٠) مكارم الأخلاق ١: ٩٤، ب١، ف ٥، ح ١٧٧، بحار الأنوار ١٦: ٢٥٣ ضمن ح ١.

ربّ العالمين كثيراً على كل حال»[١] ولقد كان دؤوباً على قراءة القرآن وشغوفاً به.

ونزل عليه جبرئيل مخفّفاً لمّا أجهد نفسه بالعبادة بقوله تعالى: ﴿**طه* مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾[٢] .

٣ ـ الثقة المطلقة بالله تعالىٰ:

قال الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله): ﴿**أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾[٣]؟

وقال له أيضاً : ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ* ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ**﴾[٤].

وقد كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) كما قال الله تعالى على ثقة مطلقة به سبحانه.

جاء عن جابر أنه قال :كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذات الرقاع فإذاً أتينا على شجرةٍ ظليلة تركناها لرسول الله، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) معلق بالشجرة فاخترطه وقال: تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك منّي؟ قال: الله. فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله السيف فقال: من يمنعك منّي؟ فقال:كن خير آخذ. فقال: تشهد أن لا اله الّا الله وأني رسول الله؟ قال: لا ولكني أعاهدك أن لا أُقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّىٰ سبيله فأتىٰ أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس[٥].

---

(١) الكافي : ٢ / ٥٠٣ /ح ٣ (باب التحميد)، الوسائل ٧: ١٧١، أبواب الذكر، ب ١٨، ح٢.
(٢) طه (٢٠) : ١ ـ ٢ .
(٣) الزمر (٣٩): ٣٦.
(٤) الشعراء (٢٦): ٢١٧ ـ ٢١٩.
(٥) مسند أحمد٣: ٣٦٤-٣٦٥ (ما أسند عن جابر)، رياض الصالحين (للنووي): ١٠٠ ـ ١٠١ / ح ٧٨ (باب اليقين والتوكل)، السيرة النبوية لابن كثير ٣: ١٦٤-١٦٣ (قصة غورث) .

٤ ـ الشجاعة الفائقة :

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّـذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ ٱللَّـهِ وَيَـخْشَوْنَهُ وَلاَ يَـخْشَوْنَ أَحَـداً إِلّا الله﴾(١) .

وجاء عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ الذي طأطأ له فرسان العرب ـ أ نّه: **كنّا إذا احمرّ البأس ولقيَ القومُ القومَ اتّقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فما يكون أحدٌ أدنىٰ من القوم منه**(٢).

ووصف المقداد ثبات رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم اُحـدٍ بـعد أن تـفرّق النـاس وتركوا رسـول الله (صلى الله عليه وآله) وحـده فـقال: والذي بـعثه بـالحق إن رأيت رسـول الله (صلى الله عليه وآله) زال شبراً واحداً. إنّه لفي وجه العدوّ تثوب اليه طـائفة مـن أصـحابه مرّة وتتفرّق عنه مرّة، فربّما رأيته قائماً يرمي عـن قـوسه أويـرمي بـالحجر حتىٰ تحاجروا(٣).

٥ ـ زهدٌ منقطع النظير :

قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(٤).

---

(١) الاحزاب (٣٣): ٣٩.

(٢) مسند أحمد ١: ١٥٦ (ما أسند عن علي عليه السلام)، مسند ابن الجعد: ٣٧٢، تهذيب الكمال ١:٢٢٩ (فصل في شجاعة النبيّ صلى الله عليه وآله)، نظم دررالسمطين : ٦٢ (شجاعته).

(٣) مغازي الواقدي: ١ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠ (غزوة أُحد)، تـاريخ مـدينة دمشـق ٥٥:٢٦٧ (تـرجـمة مـحمّد مسـلمة الأنصاري) .

(٤) طه (٢٠): ١٣١.

وعن أبي أُمامة عن النبيّ (ﷺ): أنه قال: **عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكّة ذهباً، قلت: لا يا ربّ ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً.. فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتُك وحمدتُك**[١].

ونام علىٰ حصيرٍ فقام وقد أثّر في جنبه، فقيل له: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءاً فقال: **ما لي وما للدنيا؟! ما أنا في الدنيا الّا كراكبٍ استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها**[٢].

وقال ابن عباس: كان رسول الله يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءاً وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[٣].

وقالت عائشة: ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلّا إحداهما تمر[٤].

وقالت: تُوفي رسول الله (ﷺ) ودرعه مرهونةٌ عند يهوديٍّ بثلاثين صاعاً من شعير[٥].

وعن أنس بن مالك أنّ فاطمة جاءت بكسرة خبز الى النبيّ (ﷺ) فقال: **ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبز، فلم تطب نفسي حتىٰ أتيتك بهذه الكسرة. فقال: أما إنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام**[٦].

---

(١) مسند أحمد ٥: ٢٥٤ (ما أسند عن أبي أُمامة) سنن الترمذي ٤: ٦، ب٢٣، كتاب الزهد، ح٢٤٥١، الجامع الصغير ٢: ١٥٢/ ح٥٤١٧.

(٢) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٧٦/ ح ٤١٠٩، كتاب الزهد، ب ٣، سنن الترمذي ٤: ١٧، ب ٣٢، كتاب الزهد ح٢٤٨٣٦ .

(٣) سنن الترمذي ٤: ١٠، ب ٢٦، كتاب الزهد، ح ٢٤٦٥، رياض الصالحين للنووي: ٢٨٠ /ح ٥١٤ (باب فضل الجوع و خشونة العيش) الجامع الصغير ٢: ٣٦٩ / ح ٦٩٦٠.

(٤) صحيح البخاري:٨: ٤٦٨، ب ٧٨٨، كتاب الرقاق، ح ١٣٢٠.

(٥) مسند أحمد ٦: ٢٣٧ (ما أسند عن عائشة)، صحيح البخاري ٤: ٤٤٨، ب ٧٣١، كتاب الجهاد والسير، ح١١٠٥، السيرة النبوية (لابن كثير) ٤: ٥٦٢ (باب إنّ النبيّ ﷺ لم يترك ديناراً و لا درهماً) .

(٦) الطبقات لابن سعد:١/ ٤٠٠ (ذكر شدة العيش)، التاريخ الكبير للبخاري ١: ١٢٨/ ح ٣٨١ (باب ٤)، ←

وعن قتادة قال: كنّا عند أنس وعنده خبّاز له فقال: ما أكل النبيّ (صلى الله عليه وآله) خبزاً مرقّقاً ولا شاةً مسموطةً حتى لقي الله(١).

٦ ـ جودٌ وحلمٌ عظيمان :

قال ابن عبّاس: كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان.. إنّ جبريل كان يلقاه في كل سنة من رمضان.. فإذا لقيه جبريل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أجود بالخير من الريح المرسلة(٢).

وقال جابر: ما سُئل النبيّ (صلى الله عليه وآله) شيئاً قطّ فقال لا(٣).

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتىٰ صاحب بزٍّ فاشترىٰ منه قميصاً بأربعة دراهم فخرج وهو عليه، فإذا رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله أكسني قميصاً كساك الله من ثياب الجنة فنزع القميص فكساه إيّاه، ثم رجع الى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم وبقي معه درهمان فاذا هو بجارية في الطريق تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله دفع اليَّ أهلي درهمين اشتري بهما دقيقاً فهلكا، فدفع النبيّ (صلى الله عليه وآله) إليها الدرهمين فقالت: أخاف أن يضربوني فمشىٰ معها الى أهلها فسلّم فعرفوا صوته، ثمّ عاد

← تاريخ مدينة دمشق ٤: ١٢٢ (باب ذكر تقلله وزهده صلى الله عليه وآله).

(١) صحيح البخاري ٧: ١٣٢، ب ٢٠٠، كتاب الأطعمة، ح٢٩٨، فتح الباري ٩: ٤٣٧، كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق.

(٢) مسند أحمد ١: ٢٨٨ و٣٦٣ (ما أسند عن ابن عبّاس)، صحيح البخاري ٦: ٥٨٦، ب ٥٧٦، كتاب فضائل القرآن)، صحيح المسلم ٤: ٧٣، كتاب الفضائل، (باب كان النبيّ صلى الله عليه وآله أجود الناس بالخير) .

(٣) صحيح مسلم ٧: ٧٤، كتاب الفضائل، (باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً)، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١: ٣٦٨ (صفة أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله).

فسلّم، ثمّ عاد فثلّث، فردّوا، فقال: أسمعتم أوّل السلام؟ فقالوا: نعم ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام. فما أشخصك بأبينا وأُمّنا؟ قال: أشفقت هذه الجارية أن تضربوها، قال صاحبها: هي حرّة لوجه الله لممشاك معها. فبشّرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخير وبالجنّة؛ وقال: **لقد بارك الله في العشرة كسا الله نبيّه قميصاً ورجلاً من الأنصار قميصاً وأعتق منها رقبة، وأحمد الله هو الذي رزقنا هذا بقدرته**[١].

وكان إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائلٍ[٢].

وعن عائشة: أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما انتقم لنفسه شيئاً يؤتى إليه إلّا أن تنتهك حرمات الله. ولا ضرب بيده شيئاً قط الّا أن يضرب بها في سبيل الله ولا سُئل شيئاً قط فمنعه إلّا أن يُسألَ مأثماً فإنه كان أبعد الناس منه[٣].

وعن عبيد بن عمير: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما أُتي في غير حدٍّ إلّا عفا عنه[٤].

وقال أنس: خدمت رسول الله عشر سنين. فما قال لي أُفٍّ قطّ، وما قال لشئ صنعتهُ: لِم صنَعْتَه؟ ولا لشيء تركتُه: لِمَ تركتَه؟[٥].

وجاءه أعرابيٌّ فجذب رداءه بشدّة حتى أثرت حاشية الرداء على عاتق النبيّ(صلى الله عليه وآله) ثم قال له: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء[٦].

---

(١) المعجم الكبير (الطبراني) : ١٢ / ٣٣٧، الحديث ١٣٦٠٧، البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٤٥ (ذكر أخلاقه وشمائله، مجمع الزوائد ٩: ١٣-١٤ (باب في وجوده صلى الله عليه وآله) .

(٢) أمالي الصدوق: ١١٤/ح ٩٣، مجلس ١٤، الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٧٧ (ذكر حسن خلقه صلى الله عليه وآله).

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٦٧ (ذكر صفة أخلاقه صلى الله عليه وآله).

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٦٨ (ذكر صفة أخلاقه صلى الله عليه وآله).

(٥) سنن الترمذي٣:٢٤٨، ب ٦٨،كتاب البر والصلة، ح ٢٠٨٤،كتاب السنّة: ١٥٦، ب ٧٧، ح ٣٥٢.

(٦) مكارم الأخلاق للطبرسي ١: ٤٩ – ٥٠/ ح ١٤، ب١، فصل٢، الطبقات الكبرىٰ ١: ٤٥٨ (ذكر أصناف ←

لقد عُرف (صلى الله عليه وآله) بالعفو والسماحة طيلة حياته... فقد عفا عن وحشي قاتل عمه حمزة[١]...كما عفا عن المرأة اليهودية التي قدمت له شاةً مسمومةً[٢].

وعفا عن أبي سفيان وجعل الدخول الى داره أماناً من القتل[٣]. وعفا عن قريش التي عتت عن أمر ربّها وحاربته بكل ما لديها.. وهو في ذروة القدرة والعزّة قائلاً لهم: «**اللهم اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون**[٤].. **اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[٥].

لقد أفصح القرآن عن عظمة حلم الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾[٦]، ووصف مدىٰ رأفته ورحمته بقوله تعالىٰ: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[٧].

← لباسه(صلى الله عليه وآله)، تاريخ مدينة دمشق ٣:٣٦٨ (باب صفة خلقه و معرفة خلقه)، رياض الصالحين للنووي: ٣٢٩/ ح ٦٤٥، ب ٧٥.

(١) سعد السعود: ٢١١ محادثة النبيّ(صلى الله عليه وآله) مع وحشي قاتل حمزة(رضي الله عنه)، أُسد الغاية لابن الأثير ٥: ٨٤ (ترجمة وحشي الحبشي)، البداية و النهاية لابن كثير ٤: ٢١ (فصل فى مقتل حمزة(رضي الله عنه)) .

(٢) مسند أحمد ١: ٣٠٥ (ما أسند عن ابن عبّاس)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٢٠٠ (ذكر ما سمّ به رسول الله)، البداية و النهاية لابن كثير ٤: ٢٣٧ (قصة الشاة المسمومة) .

(٣) الخصال: ٢٧٦، باب الخمسة، ح ١٨، تهذيب الأحكام ٤: ١١٦/ ح ٣٣٦، باب ذكر أهل الجزية، مسند أحمد ٢: ٢٩٢ (ما أسند عن أبي هريرة)، صحيح مسلم ٥: ١٧١، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكّة .

(٤) الخرائج والجرائح ١: ١٦٤/ح ٢٥٢، باب ١، فصل في معجزاته(صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢١: ١١٩/ ح ١٧، تاريخ مدينة دمشق ٦٢: ٢٤٧ (ترجمة النبيّ نوح(عليه السلام))، الدر المنثور ٢: ٢٩٨ (في تفسير سورة المائدة) .

(٥) الكافي ٣:٥١٣/ح ٢ (باب أقل ما يجب فيه الزكاة)، بحار الأنوار ١٩: ١٨١/ح ٢٩، تاريخ الطبري ٢: ٣٣٧ (حوادث السنة الثامنة من الهجرة)، البداية و النهاية لابن كثير ٤:٣٤٤ (فصل صفة دخول مكّة)

(٦) آل عمران (٣): ١٥٩.

(٧) التوبة (٩): ١٢٨.

٧ ـ حياؤه وتواضعه :

عن أبي سعيدٍ الخدريّ: كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) أشدّ حياءاً من العذراء في خدرها وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه[١].

وعن علي (عليه السلام): كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذا سُئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم وإذا أراد أن لا يفعل سكت، وكان لا يقول لشيء لا[٢].

وعن يحيىٰ بن أبي كثير أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: **آكُل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد. فإنّما أنا عبد**[٣]. كما اشتهر عنه أنه كان يسلّم على الصبيان[٤].

وكلّم النبيُّ (صلى الله عليه وآله) رجلاً فأرعد. فقال: **هَوِّن عليك فإني لستُ بملِك إنّما أنا ابن إمرأةٍ تأكل القديد**[٥].

وعن أبي أمامة: خرج علينا رسول الله متوكّئاً على عصا، فقمنا إليه فقال: **«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً»**[٦].

وكان يداعب أصحابه ولا يقول إلّا حقّاً[٧]. ولقد شارك أصحابه في بناء

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي ١:٥٠، باب ١، فصل ٢، ح ١٦، بحار الأنوار ١٦:٢٣٠/ح ٣٥، مسند أحمد٣:١ (ما أسند عن أبي سعيد)، صحيح البخاري ٨: ٣٥٣، ب ٥٩٤،كتاب الأدب، ح ٩٧٩.

(٢) الدعوات للراوندي: ٤٠/ح ١٠٠، ب ١، فصل ٢، بحار الأنوار ٢٢: ٢٩٤/ ح ٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٩:١٣ (باب في جوده صلى الله عليه وآله).

(٣) المصنف للصنعاني ١: ٤١٧/ح ١٩٥٥٤ (باب الأكل من بين يديه)، الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٧١ (ذكر صفة أخلاقه صلى الله عليه وآله).

(٤) المصنف ابن أبي شيبة٦:١٤٤،كتاب الأدب، ب ٧٠ التسليم على الصبيان، الأدب المفرد للبخاري:٢٢٣، باب التسليم على الصبيان.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ١: ٢٣ (ذكر من إنتهىٰ إليهم صلى الله عليه وآله)، سنن ابن ماجة ٢: ١١٠١، باب القديد رقم ٣٠، ح٣٣١٢.

(٦) مسند أحمد ٥: ٢٥٣ (ما أسند عن أبي أمامة)، المصنف لابن شيبة ٦:١٢٠،كتاب الأدب، ب٣٣، ح ١.

(٧) مناقب الإمام عليّ(عليه السلام) للكوفي ١: ١١٣، باب ١٦، ح ٦١، بحار الأنوار ١٦: ١١٦/ ح ٤٣، سنن الترمذي٣:٢٤٠ – ٢٤١،كتاب البرّ الصلة، باب ٥٦ ما جاء في المزاح و فيه أربعة أحاديث، مجمع الزوائد ٨: ٨٩ (باب ما جاء في المزاح).

المسجد[١] وحفر الخندق[٢] وكان يكثر من مشاورة أصحابه بالرغم من أنّه كان أرجح الناس عقلاً[٣].

وكان يقول : **«اللهم أحيني مسكيناً وتوفّني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين وإنّ أشقىٰ الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»**[٤].

هذه صورة موجزة جدّاً عن بعض ملامح شخصيته (صلى الله عليه وآله) وبعض جوانب سلوكه الفردي والاجتماعي. وهناك صورٌ رائعةٌ وكثيرةٌ عن سلوكه وسيرته الإدارية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والأُسريّة التي تستحق الدراسة المعمّقة للتأسي بها والاستلهام منها، نتركها الى الفصول اللاحقة.

* * *

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١: ١٤٠ (ذكر بناء المسجد بالمدينة)، صحيح البخاري ٥: ١٥١، ب ١٠٨، كتاب مناقب الأنصار، ح ٤٣٣ البداية و النهاية لابن كثير٣:٢٢٩ (باب هجرة الرسول صلى الله عليه وآله).

(٢) تفسير القمي٢: ١٧٧ – ١٧٨ (تفسير سورة الأحزاب)، مجمع البيان ٨: ١٢٦ (تفسير سورة الأحزاب)، مسند أحمد ٤: ٢٨٢ (ما أسند عن البرّاء)، صحيح البخاري ٥: ٢١٣، ب ١٤٦، كتاب المغازي، ح ٥٨٨.

(٣) راجع تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ١: ٤٢٩ (تفسير سورة آل عمران)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ١٩٦.

(٤) مستدرك الحاكم ٤: ٣٢٢، كتاب الرقاق، باب أشقىٰ الأشقياء، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧: ١٩– ٢٠، ب ١١، كتاب قسم الصدقات، ح ١٣١٥٤.



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

دور الولادة والنشأة

الفصل الثاني :

دور الفتوّة والشباب

الفصل الثالث :

من الزوج الى البعثة

الفَصْلُ الأَوَّلُ
دور الولادة والنشأة

١ ـ ملامح إنهيار المجتمع الوثني:

إستحكم الفساد والظلم في مجتمع الجزيرة في الفترة التي سبقت البعثة النبوية فلم تعد كتلة المجتمع واحدة ولم تكن الخصائص الاجتماعية والثقافية التي أوجدتها طبيعة الحياة في الصحراء كافية لإيقاف حالة الانهيار التي بدت ملامحها على المجتمع في الجزيرة العربية. وما الأحلاف التي نشأت إلا تعبير عن ظاهرةٍ اجتماعيةٍ لمقاومة ذلك التحلل ولكنها في تعددها دليل على انعدام القوة المركزية في المجتمع.

وليس من حركةٍ إصلاحية تغييرية يذكرها لنا التاريخ تكون قد سعت للنهوض بالمجتمع والارتقاء به نحو الحياة الفضلى سوى حركة بعض الأفراد التي تعبر عن حالة الرفض لهذا التفسخ والظلم الإجتماعي متمثلة في حالة التحنّث التي أبداها عدد قليل من أبناء الجزيرة العربية ولم ترتقِ الى مستوى النظرية أو الحركة التغييرية الفاعلة في المجتمع...[١] وتفكك المجتمع القرشي قد نلاحظه أيضاً في ظاهرة اختلافهم حول بناء الكعبة في الوقت

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ١:٢٢٢- ٢٢٧ (ذكر أسماء من نبذوا ديانات الأصنام وعبادة قريش لها) .

الذي كانت قريش من أعز القبائل العربية وأشدها تماسكاً. ويمكن لنا أن نستدل على تمادي المجتمع في الفساد من خلال الإنذارات المتكررة من اليهود القاطنين في الجزيرة العربية واستفتاحهم على أهالي الجزيرة بظهور المصلح المنقذ للبشرية برسالته السماوية وكانوا يقولون لهم: ليخرجنَّ نبيٌّ فليكسرنَّ أصنامكم[١].

٢ ـ إيمان آباء النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

ولد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وترعرع في عائلة تدين بالتوحيد وتتمتع بسمو الأخلاق وعلو المنزلة. فإيمان جدّه عبد المطلب نلمسه من كلامه ودعائه عند هجوم أبرهة الحبشي لهدم الكعبة إذ لم يلتجئ الى الأصنام بل توكل على الله لحماية الكعبة[٢]. بل يمكن أن نقول إن عبد المطلب كان عارفاً بشأن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومستقبله المرتبط بالسماء من خلال الأخبار التي أكدت ذلك. وتجلّت اهتماماته به في الاستسقاء بالنبي(صلى الله عليه وآله) وهو رضيع، وما ذلك إلّا لما كان يعلمه من مكانته عند الله المنعم الرازق[٣]، والشاهد الآخر هو تحذيره لأُم أيمن من الغفلة عنه عندما كان صغيراً[٤].

---

(١) الكافي ٨: ٢٥٧/ ح ٤٨١ (في تفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة)، بحار الأنوار ١٥: ٢٣١/ ح ٥٣، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١١- ٢١٢ (إنذار اليهود به صلى الله عليه وآله).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٥٠ (عبدالمطلب يستنصِرُ بالله)، مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٠٤- ١٠٥ (قصة أصحاب الفيل)، البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٢١٥ - ٢١٤ (سبب قصد أبرهة بالفيل) .

(٣) بحار الأنوار ١٥: ٤٠٥/ ح ٩، تاريخ مدينة دمشق ٥٧: ١٥٠-١٤٩ (ترجمة مخرمة بن نوفل، رقم ٧٢٧٤)، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٢٧٦-٢٧٥ (حوادث السنة السابعة من مولده صلى الله عليه وآله)، شرح النهج لابن أبي الحديد ٧: ٢٧٢ - ٢٧١.

(٤) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١: ١١٨ (ذكر ضم عبدالمطلب له صلى الله عليه وآله)، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٢٧٤ (حوادث السنة السابعة من مولده صلى الله عليه وآله).

وكذلك حال عمه أبي طالب الذي استمر في رعاية النبيّ (ﷺ) ودعمه لأجل تبليغ الرسالة والصدع بها حتىٰ آخر لحظات عمره المبارك متحملاً في ذلك أذىٰ قريش وقطيعتهم وحصارهم له في الشعب. ونلمس هذا في ما روي عن أبي طالب(عليه السلام) في عدة مواقف ترتبط بحرصه على سلامة حياة النبيّ(ﷺ)(١).

وأما والدا النبيّ (ﷺ) فالروايات دالّة علىٰ نبذهما للشرك والأوثان ويكفي دليلاً قول الرسول (ﷺ): «**لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات**» وفيه إيعاز الىٰ طهارة آبائه وأُمهاته من كلِّ دنسٍ وشركٍ(٢).

٣ ـ مولد الرسول (ﷺ):

ما إن استنفذت الديانة النصرانية أغراضها في المجتمع البشري ولم تعد لها فاعلية تذكر حتىٰ حلّت في الدنيا كلّ مظاهر التّيه والزّيغ، وأمسى الناس كافة ضُلّال فتنٍ وحيرةٍ، استخفّتهم الجاهلية الجهلاء، ولم تكن أوضاع الروم بأقل سوءاً من أوضاع منافسيهم في فارس، وماكانت جزيرة العرب أفضل وضعاً من الاثنين. والكل علىٰ شفا حفرة من النّار.

وقد وصف القرآن بصورة بليغة جانباً مأساوياً من حياة البشر آنذاك،كما وصف سيد أهل بيت النبوة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذلك الوضع المأساوي

---

(١) راجع السيرة النبوية ١: ٢٦٤– ٢٦٩ و٣٥٠–٣٥٣، الطبقات الكبرىٰ ١: ١١٩ – ١٢٥ و٢٠١ – ٢٠٣، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٣٦٨– ٣٧٠ (حوادث السنة الرابعة من النبوّة). و هناك مصادر كثيرة بهذا الخصوص.

(٢) كفاية الأثر للخزّاز القمي: ٧١–٧٢ (ما جاء عن أنس)، مجمع البيان للطبرسي ٤: ٩٠ (في تفسير سورة الأنعام)، السيرة النبوية (أحمد زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ١: ٥٩ (باب وفاة أُمه ﷺ).

وصفاً دقيقاًعن حسٍ ومعايشة في عدّة خطب، منها قوله في وصف حال المجتمع الذي بُعث فيه النبيّ (صلى الله عليه وآله):

«أرسله علىٰ حين فترةٍ من الرسل وطول هجعةٍ من الأُمم وإعتزامٍ من الفتن، وانتشارٍ من الأُمور وتلظٍّ من الحروب، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منار الهدىٰ، وظهرت أعلام الردىٰ، فهي متجهمةٌ لأهلها، عابسةٌ في وجه طالبها، ثمرها الفتنة،وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف»[1].

في مثل هذا الظرف العصيب الذي كانت تمر به البشرية سطع النور الإلهي فأضاء العباد والبلاد مبشراً بالحياة الكريمة والسعادة الأبدية. وذلك عندما بوركت أرض الحجاز بمولد النبيّ الأكرم محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) في عام الفيل سنة (٥٧٠ ميلادية) وفي شهر ربيع الأوّل على ما هو عليه أكثر المحدثين والمؤرخين[2].

وأما عن يوم ميلاده (صلى الله عليه وآله)، فقد حدّده أهل بيته (عليهم السلام) ـ وهم أدرىٰ بما في البيت ـ فقالوا: هو يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل بعد طلوع الفجر، كما هو المشهور بين الإمامية[3]، وعند غيرهم أنّه (صلى الله عليه وآله) ولد في يوم الاثنين الثاني عشر من الشهر نفسه[4].

---

(١) نهج البلاغة: ١١٩/خ ٨٩.

(٢) مسار الشيعة للمفيد: ٥٠ (أعمال ربيع الأوّل)، روضة الواعظين: ٧٠ (مجلس في مولده صلى الله عليه وآله)، السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٥٨ (ولادة الرسول صلى الله عليه وآله)، الطبقات الكبرىٰ ١: ١٠٠ (ذكر مولد الرسول صلى الله عليه وآله).

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٢ (باب نسب رسول الله صلى الله عليه وآله)، إعلام الورىٰ ١: ٤٢، (الباب الأوّل، ذكر مولد ونسب الرسول صلى الله عليه وآله)، كشف الغمة ١: ١٤ (فصل ذكر مولده صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩، باب ٣.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٥٨ (باب مولده صلى الله عليه وآله)، البداية و النهاية لابن كثير ٢: ٣٢٠ (باب مولد الرسول صلى الله عليه وآله)، إمتاع الأسماع ١: ٦ (باب مولده صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ١: ٥٧ (باب مولده صلى الله عليه وآله)، سمط النجوم العوالي ١: ٢٩٢ (الباب الأوّل من المقصد الثاني) .

وتتحدث جملة من المصادر التاريخية والحديثية عن وقوع حوادث عجيبة يوم ولادته مثل: انطفاء نار فارس، وزلزال أصاب الناس حتّىٰ تهدّمت الكنائس والبيَع وزال كلّ شيءٍ يُعبد من دون الله عزّ وجل عن موضعه، وتساقط الأصنام المنصوبة في الكعبة على وجوهها حتّىٰ عُمّيت علىٰ السحرة والكهّان أُمورهم، وطلوع نجوم لم تُرَ من قبل[1].

هذا وقد ولد (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «**الله أكبر، والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرةً وأصيلاً**»[2].

واشتهر النبيُّ(صلى الله عليه وآله) بـ : اسمين: «محمّد» و«أحمد» وقد ذكرهما القرآن الكريم، وروىٰ المؤرخون أنّ جدّه عبد المطلب قد سمّاه «محمداً»، وأجاب من سأله عن سبب التسمية قائلاً: أردت أن يحمد في السماء والأرض[3].كما أنَّ أُمه آمنة سمّته قبل جده بـ: «أحمد»[4].

وقد بشّر به الإنجيل على لسان عيسىٰ (عليه السلام) ـ كما أخبر القرآن الكريم بذلك وصدّقه علماء أهل الكتاب[5] ـ وقد حكاه قوله تعالى: ﴿ومبشّراً برسولٍ

---

(١) إنظر كمال الدين و تمام النعمة: ١٩١-١٩٧، باب ١٧، ١٨، ٣٨، ٣٩، إعلام الورىٰ ١: ٥٥، (الباب الثاني ذكر آياته الباهرات)، كشف الغمة ١: ٢٠-٢١، (فصل في ذكر آياته ومعجزاته)، تاريخ اليعقوبي ١: ٣٢٨ – ٣٢٩ (باب مولد رسول الله صلى الله عليه وآله)، سمط النجوم ١: ٣٠١-٢٩٩، (الباب الأوّل من المقصد الثاني).

(٢) السيرة الحلبية ١: ٧٦ (باب ذكر مولده صلى الله عليه وآله).

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٣: ٨١ (ذكر مولده صلى الله عليه وآله)، البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٣٢٥ (صفة مولده صلى الله عليه وآله)، فتح الباري لابن حجر ٧: ١٢٤باب مبعث النبيّ (صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ١: ٧٨ (باب تسميته صلى الله عليه وآله).

(٤) إعلام الورىٰ ١: ٥٥ (باب ذكر آياته صلى الله عليه وآله)، كشف الغمة ١: ٢٠ (فصل في معجزاته صلى الله عليه وآله)، الطبقات الكبرىٰ ١: ١٠٤ (ذكر أسمائه صلى الله عليه وآله)، دلائل النبوة للبيهقي ١: ٨٢ (باب ذكر مولد المصطفىٰ صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ١: ٧٨ (باب تسمية الرسول صلى الله عليه وآله).

(٥) بصائر الدرجات: ٤٨٩، ح ٤، ب ٢٢، تفسير القمي ٢: ٣٦٥ (في تفسير سورة الصف)، المستدرك للحاكم النيشابوري ٢: ٣١٠ (قصة إسلام النجاشي).

يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[١]. ولا مانع من أن يعرف الشخص باسمين ولقبين وكنيتين في عرف الجزيرة العربية وغيرها.

٤ ـ رضاعه الميمون :

أصبح محمد(صلى الله عليه وآله) الشغل الشاغل لجدّه عبد المطلب الذي فقد إبنه عبدالله ـ وهو أعزّ أبنائه ـ في وقت مبكّر جداً. من هنا أوكل جدّه رضاعه إلى «ثويبة» وهي جارية لأبي لهبٍ[٢] .

كي يتسنىٰ لهم إرساله إلى بادية بني سعد ليرتضع هناك وينشأ في بيئة نقيّة بعيداً عن الأوبئة التي كانت تهدد الاطفال في مكّة ويترعرع بين أبناء البادية كما هي عادة أشراف مكّة في إعطاء أطفالهم الرضّع الىٰ المراضع وكانت مراضع قبيلة بني سعد من المشهورات بهذا الأمر، وكانت تسكن حوالي مكّة ونواحي الحرم وكانت نساؤهم يأتين إلى مكّة في موسم خاص من كل عام يلتمسْنَ الرضعاء خصوصاً عام ولادة النبيّ (صلى الله عليه وآله) حيث كانت سنة جدبٍ وقحطٍ فكنّ بحاجة إلى مساعدة أشراف مكّة[٣].

وزعم بعض المؤرخين: أنه لم تقبل أية واحدةٍ من تلك المراضع أن تأخذ «محمداً» بسبب يتمه، وأوشكت قافلة المراضع أن ترجع ومع كل واحدة رضيع إلّا حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فقد أعرضت عن

---

(١) الصف (٦١): ٦ .

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١: ١٠٨ (ذكر من أرضع رسول الله صلى الله عليه وآله)، إمتاع الأسماع ١: ٩ ـ ١٠ (رضاعه صلى الله عليه وآله).

(٣) راجع السيرة الحلبية ١: ٨٩ (باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وآله).

النبيّ(ﷺ) أوّل الأمر كغيرها من المرضعات وحين لم تجد رضيعاً قالت لزوجها: والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنَّهُ. ورجح لها زوجها ذلك فرجعت إليه واحتضنته والأمل يملأ نفسها في أن تجد بسببه الخير والبركة[١].

ويردّ هذا الزعم مكانة البيت الهاشمي الرفيعة وشخصية جدّه الذي عرف بالجود والإحسان ومساعدة المحتاجين والمحرومين.

على أن بعض المؤرخين قد ذكر أن أباه قد توفي بعد ولادته بعدة أشهرٍ[٢].

كما روي أنّه (ﷺ) لم يقبل إلّا ثديَ «حليمة»[٣].

قالت حليمة: استقبلني عبد المطلب فقال: من أنت؟ فقلت: أنا امرأة من بني سعد. قال ما اسمك ؟ قلت: حليمة. فتبسم عبد المطّلب وقال: بخٍ بخٍ سعدٌ وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعزّ الأبد[٤].

ولم يخب ظنّ حليمة في نيل البركة وزيادة الخير بأخذ يتيم عبد المطلب فقد روي أن ثدي حليمة كان خالياً من اللبن فلما ارتضع النبيّ (ﷺ)منه امتلأ ودرّ لبناً.

وتقول حليمة: عندما أخذنا رسول الله (ﷺ) عرفنا الخير والزيادة في

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١: ١١٠-١١١ (ذكر من أرضع رسول الله ﷺ)، المنتظم ٢: ٢٦٢-٢٦١ (حديث حليمة).

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١:١٠٠ (ذكر وفاة عبدالله)، المنتظم ٢:٢٤٥ (ذكر وفاة عبدالله) .

(٣) الفضائل لشاذان: ٢٥ و ٢٨ (باب مولد النبيّ ﷺ)، بحار الأنوار ١٥: ٣٤٢-٣٤٥، ضمن ح ١٣.

(٤) بحار الأنوار ١٥: ٢٥٤/٣٨٨، السيرة الحلبية ١: ٨٩ (باب ذكر رضاعه ﷺ).

معاشنا ورياشنا حتىٰ أثرينا بعد الجدب والجهد[١].

وأمضى وليد «عبد المطلب» في أحضان حليمة وزوجها في مرابع بني سعد ما يقارب خمس سنوات رجعت به خلالها إلى أهله عند فطامه بعد أن أتم السنتين علىٰ كرهٍ منها؛ لما وجدت فيه من السعادة والخير، كما أن أُمّه أرادت أن يشتد عود ابنها بعيداً عن مكّة، خوفاً عليه من الأمراض فرجعت به مسرورة[٢].

وروي أنها جاءت به ثانيةً الى مكّة خوفاً عليه من أيادي السوء عندما شاهدت جماعة من نصارى الحبشة القادمين الى الحجاز قد أصرّوا على أخذه معهم إلى الحبشة لأنهم وجدوا فيه علائم النبيّ الموعود، لينالوا بذلك شرف احتضانه وبلوغ المجد باتّباعه[٣].

٥ ـ الاستسقاء بالنبيّ (صلى الله عليه وآله):

أشار المؤرخون إلى ظاهرة الإستسقاء برسول الله (صلى الله عليه وآله) التي حدثت أكثر من مرة في حياته، حين كان رضيعاً وحين كان غلاماً في حياة جدّه وعمّه أبي طالب. فالمرة الأُولىٰ: لمّا أصاب أهل مكّة من الجدب العظيم، وأمسك السحاب عنهم سنتين، أمر عبد المطلب إبنه أبا طالب أن يحضر حفيده محمداً (صلى الله عليه وآله) فأحضره ـ وهو رضيعٌ في قماط ـ فوضعه علىٰ يديه واستقبل

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١:٣٣ (فصل في منشأه صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ١٥:٣٣٣ / ح ٢، السيرة الحلبية ١:٩٠ (باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وآله).

(٢) السيرة الحلبية ١: ٩٢ (باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وآله).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ١٦٧ (افتقاد حليمة له صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ١: ٩٦ (باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وآله).

الكعبة وقدّمه إلى السماء، وقال: يا ربِّ بحق هذا الغلام، وجعل يكـرّر قـوله ويدعو: إسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هطلاً، فلم يلبث ساعة حتىٰ أطبقت الغيوم وجه السماء وهطل المطر منهمراً حتى خافوا من شدته علىٰ المسجد أن ينهدم(١).

وتكرر الاستسقاء ثانياً بعد مدة وكان النبيّ(ﷺ) في هـذه المـرة غـلاماً حين خرج به عبد المطلب الى جبل أبي قبيس ومعه وجوه قريش يـرجـون الاستجابة ببركة النبيّ(ﷺ)(٢)، وقد أشار أبو طالب إلى هذه الواقـعة بـقصيدة أولها:

أبونا شفيع الناس حينَ سـقوا بـه ... من الغيث رجّاس العشـير بكـور
ونحن ـ سني المحل ـ قام شفيعنا ... بــمكّة يــدعو والمــياه تــغور

ونقل المؤرّخون أن قريشاً طلبت من أبي طالب أن يستسقي لهم فخرج أبو طالب الى المسجدالحرام وبيده النبيّ (ﷺ) ـ وهو غلام ـ كأنه شمس دجىً تجلّت عنها غمامة ـ فدعا الله بالنبي(ﷺ) فأقبلت السحاب في السماء وهطل المطر فسالت به الأودية وسُرَّ الجميع وقد ذكر أبو طالب هذه الكرامة أيضاً عندما تمادت قريش في عدائها للنبيّ (ﷺ) ورسالته المباركة فقال:

وأبيضُ يستسقىٰ الغـمام بـوجهه ... ربــيع اليـتامىٰ عـصمةٌ للأرامـل
تـلوذُ بـه الهـلّاك مـن آل هـاشم ... فهم عنده في نعمةٍ وفـواضـل(٣)

وكلّ هذا يعرب لنا عن توحيد كفيلَي رسول الله (ﷺ) الخالص وإيمانهما

(١) الغدير ٧: ٤٦٦ (في إيمان أبي‌طالب)، الملل والنحل ٢: ٤٦٩.
(٢) بحار الأنوار ١٥: ٤٠٤/ ح ٢٩،الطبقات الكبرىٰ ١: ٩٠ (ذكر نذر عبدالمطلب)، دلائل النـبوّة ٢: ١٥-١٦ (إستسقاء عبدالمطلب بهﷺ).
(٣) مختصر تاريخ مدينة دمشق ٢:١٦١-١٦٢، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ١٣٧ (في إستسقاء أبي طالب بهﷺ).

بالله تعالى، ولو لم يكن لهما إلّا هذان الموقفان لكفاهما فخراً واعتزازاً. وهذا يدل أيضاً علىٰ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد نشأ في بيتٍ كانت الديانة السائدة فيه هي الحنيفية وتوحيد الله تعالى.

٦ ـ مع اُمّه آمنة :

لم يتمتع النبيّ (صلى الله عليه وآله) بطول رعاية أُمه الحنون التي عاشت بعد أبيه وهي تنتظر أن يشبَّ يتيم عبدالله ليكون لها سلوةً عن فقد زوجها الحبيب ولكن الموت لم يمهلها طويلاً. فقد روي أن حليمة السعدية جاءت بالنبي (صلى الله عليه وآله) الى أهله وقد بلغ خمس سنين. وأرادت أُمه آمنة أن تحمله معها وتزور قبر زوجها العزيز ويزور محمد(صلى الله عليه وآله) أخواله من بني النجار في يثرب فيتعرف في هذه السفرة عليهم ولكن هذه الرحلة لم تترك على النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلّا حزناً آخر حيث فقد أُمه في طريق العودة في منطقة تدعىٰ بالأبواء بعد أن زار الدار التي توفيّ ودفن فيها أبوه، وكأنَّ تلاحق الأحزان علىٰ قلب النبيّ(صلى الله عليه وآله) في طفولته كانت خطوات إعدادٍ إلهي لتتكامل نفسه الشريفة.

وواصلت أُم أيمن رحلتها نحو مكّة وهي تصطحب النبيَّ(صلى الله عليه وآله) لتسلمه الى جدّه عبد المطلب الذي ازداد تعلّقاً بحفيده محمّد (صلى الله عليه وآله)[١].

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١: ١١٦ (ذكر وفاة آمنة)، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ١٢٠ (ذكر وفاة أُمه آمنة)، السيرة الحلبية: ١ / ١٠٥ (باب وفاة أُمه صلى الله عليه وآله).

٧ ـ مع جدّه عبد المطّلب :

بلغ محمد (ﷺ) في قلب عبد المطلب مكانة لم يبلغها أحد من بنيه وأحفاده وهم سادات بطحاء مكّة، فقد روي أن عبد المطلب كان يجلس في فناء الكعبة علىٰ بساط كان يُمد له وحوله وجوه قريش وساداتها وأولاده، فإذا وقعت عيناه على حفيده «محمد» (ﷺ) أمر بأن يفرج له حتىٰ يتقدم نحوه ثمّ يجلسه إلى جنبه على ذلك البساط الخاص به[١]. وهذه العناية من سيد قريش قد عزّزت من مكانة محمد (ﷺ) في نفوس قريش إضافةً إلى سمو أخلاقه منذ نعومة أظفاره.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى فترة اليتم هذه التي اجتازها النبيّ(ﷺ)تحت رعاية ربه بقوله تعالى: ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى**﴾[٢] إن فترة اليتم عادة تصب في صياغة الإنسان وإعداده للنضج والاعتماد على النفس في تحمّل الصعاب والمكاره عند مواجهتها والصبر عليها. وهكذا تولّىٰ الله إعداد نبيّه المختار ليكون قادراً على تحمل مهام المستقبل وحمل الرسالة الكبرى التي كانت تنتظر نضجه وكماله. وقد أشار النبيّ(ﷺ) الى هذه الحقيقة بقوله: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[٣].

ولم يمضِ من عمر النبيّ (ﷺ) أكثر من ثمان سنواتٍ حتى مُني بمحنةٍ

---

(١) السيرة النبوية: ١ / ١٦٨ (باب إكرام جدّه له ﷺ)، الطبقات الكبرىٰ ١:١١٨ (ذكر ضمّ أبي طالب له ﷺ).

(٢) الضحىٰ (٩٣):٦.

(٣) مجمع البيان ١٠:٨٦ (في تفسير سورة القلم)، بحار الأنوار ١٦: ٢١٠ (باب مكارم أخلاقه ﷺ)، النهاية في غريب الحديث ١: ٨، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ٩٣ (باب في فصاحته ﷺ).

ثالثةٍ وهي فقد جدّه العظيم «عبد المطلب»، وقد حزن محمد(صلى الله عليه وآله) لموت جدّه حزناً لايقل عن حزنه لموت أُمه حتىٰ أ نّه بكىٰ بكاءاً شديداً وهو يتبع نعشه إلىٰ مقرّه الأخير[١].

ولم ينسَ ذكره أبداً، إذ كان يرعاه خير رعاية وكان عارفاً بنبوّته فقد روي أنّه قال ـ لمن أراد أن ينحّي عنه محمّداً(صلى الله عليه وآله) عندما كان طفلاً يدرج ـ: دع إبني فإنّ الملك قد أتاه[٢].

* * *

(١) الطبقات الكبرىٰ ١: ١١٩ (ذكر ضمّ عبدالمطلب له صلى الله عليه وآله)، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٢٨٢ (ذكر حوادث السنة الثامنة من عمره صلى الله عليه وآله).
(٢) الكافي ١: ٤٤٨/ح ٢٦ (باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ١٥: ١٥٩/ح ٨٨.

الفصل الثاني

دور الفتوّة والشباب

١ ـ كفالة أبي طالب للنبي (صلى الله عليه وآله) :

لقد استمرت رعاية عبد المطلب لحفيده «محمد» (صلى الله عليه وآله) حين أوكل أمره إلى ولده أبي طالب لما كان يعلم من أن أبا طالب سيقوم برعاية ابن أخيه خير قيام وهو وإن كان فقيراً لكنّه كان أنبل إخوته وأكرمهم في قريش مكانةً واحتراماً. على أنّ أبا طالب كان شقيق عبدالله لأُمه وأبيه وهو مما يزيد أواصر التلاحم مع «محمد» (صلى الله عليه وآله) والحنان والعطف عليه.

وتقبّل أبو طالب هذه المسؤولية بفخر واعتزاز وكانت تعينه في ذلك زوجته الطيبة فاطمة بنت أسد فكانا يؤثران محمداً بالنفقة والكسوة علىٰ نفسيهما وعلىٰ أولادهما، وقد عبّر النبيّ(صلى الله عليه وآله) عن ذلك حين وفاة فاطمة بنت أسد قائلاً: **اليوم ماتت أُمي**. كما كفّنها بقميصه واضطجع في لحدها[١].

ومنذ وفاة عبد المطلب بدأت مهمة أبي طالب الشاقّة في المحافظة على النبيّ(صلى الله عليه وآله) فكان يقيه بماله ونفسه وجاهه منذ صغره ويدافع عنه وينصره

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١: ٣٣٦ (ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله).

بـيده ولســانه طـوال حـياته حـتىٰ نشأ مـحمّد(صلى الله عليه وآله) وتـلقّىٰ النـبوّة وصـدع بالرسالة[١].

٢ ـ السفرة الأُولى الىٰ الشام :

كان من عادة قريش الخروج الى الشام كل عامٍ مرةً للتجارة إذ كانت هي المصدر الرئيس للكسب. وعزم أبو طالب علىٰ الخروج في هذه الرحـلة ولم يكن يفكر في استصحاب محمد(صلى الله عليه وآله) خوفاً عليه من وعثاء السفر ومـخاطر اجتياز الصحراء، ولكن فـي لحـظة الرحـيل غـيّر أبـو طـالب قـراره إذ وجـد الإصرار لدىٰ ابن أخيه كبيراً حـين اغـرورقت عـيناه بـالدموع لفـراق عـمّه، فكانت الرحلة الأُولىٰ لمحمّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) إلى الشام بصحبة عـمّه. واطّـلع فيها على طبيعة السفر عبر الصحراء وعرف طرق سير القوافل.

وفي هذه الرحلة شاهد بـحيرى الراهب مـحمّداً والتـقى بـه ووجـد فـيه علامات النبيّ الخاتم الذي كان قد بشّر به عيسى(عليه السلام) إذ كان بحيرى ممّن خبر التوراة والإنجيل وغيرهما من المصادر المبشرة بظهور النبيّ الخاتم، فنصح أبا طالب أن يعود به إلىٰ مكّة وأن يحتاط عليه من اليهود لئلّا يغتالوه[٢]. فقفل أبو طالب راجعاً الى مكّة ومعه ابن أخيه محمّد(صلى الله عليه وآله)[٣].

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٣٥، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٤.

(٢) سيرة ابن هشام: ١ / ١٩٤، الصحيح من سيرة النبيّ: ١ / ٩١ ـ ٩٤.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣٨-٣٩ (فصل فـي منشأه صلى الله عليه وآله)، إعـلام الورىٰ ١: ٦٥-٦٧ (بـاب فـي آيـاته ومعجزاته)، السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٨٠-١٨٣ (قصة بحيرى)، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٢٩٢-٢٩٥ (ذكر حوادث سنة ثلاث عشرة من مولده صلى الله عليه وآله).

٣ ـ رعي الغنم :

لم يروَ عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ما ينص علىٰ أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد رعىٰ الأغنام في صباه، نعم روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) حديث يعمّ الأنبياء فيما يخص الرعي وحكمة ذلك إذ جاء فيه: «**ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعيه الغنم، يعلّمه بذلك رعيه للناس**»(١).

كما روي عنه (عليه السلام) في حكمة الحرث والرعي قوله: «**إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ لأنبيائه من الأعمال: الحرث والرعي، لئلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء**»(٢).

وروي أيضاً: **إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما كان أجيراً لأحدٍ قط**(٣).

ويدل هذا النّص علىٰ أنّه لم يكن يرعىٰ الغنم لأهل مكّة بأجرةٍ كما زعم بعض المؤرخين(٤) من أ نّه (صلى الله عليه وآله) قد رعىٰ الغنم لأهل مكّة مستشهداً بحديثٍ جاء في صحيح البخاري(٥).

وإذا ثبت لدينا رعيه (صلى الله عليه وآله) للغنم في صباه أو في عنفوان شبابه أمكن تعليل ذلك بما جاء في النصّ الذي أشرنا إليه من حديث الإمام الصادق(عليه السلام) وهو الإعداد الإلهي له من خلال ممارسة النشاط الذي يؤهله لبلوغ المرتبة السامية من الكمال الذي وصفه الله تعالى به ـ بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ**

---

(١) علل الشرائع ١: ٣٢، ب ٢٩،ح ٢، قصص الأنبياء للراوندي: ٢٧٧/ح ٣٦٦، بحار الأنوار ١١: ٦٤-٦٥ / ح ٧.
(٢) علل الشرائع ١: ٣٢، ب ٢٩، ح ١، بحار الأنوار ١١: ٦٤/ ح ٦.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٣٤١ (تزويج خديجة).
(٤) الطبقات الكبرىٰ ١: ١٢٥ (باب ذكر رعيه للغنم)، دلائل النبوة ٢:٦٥ (ذكر مشغله قبل زواج خديجة) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٣٦٠ (ما كان يشغل به صلى الله عليه وآله).
(٥) صحيح البخاري ٣: ١٨٩، باب ٣٠٣،كتاب الإجارة، ح ٤٩٩.

عَظِيمٍ﴾[١] ـ كمالاً يجعله مستعداً لتحمل أعباء الرسالة الإلٰهية التي تتطلب رعاية الناس وتربيتهم والصبر علىٰ مصاعب هدايتهم وإرشادهم.

٤ ـ حروب الفجار :

كانت للعرب عدّة حروب استُحِلّت فيها حرمة الأشهر الحرم فسُمّيت بحروب الفِجار[٢].

وزعم بعض المؤرخين أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد حضر بعض أيامها، وشارك فيها بنحوٍ من المشاركة[٣]. وقد شكك بعض المحققين في ذلك لأسباب منها:

أوّلاً: أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يتقدّم في العمر وكانت شخصيته تزداد تألّقاً وقد عرف بشجاعته الفائقة كسائر بني هاشم، ولكن هذا لايعني أنهم شاركوا في حربٍ فيها ظلم وفساد. فقد روي أن أحداً من بني هاشم لم يحضر هذه الحروب فإن أبا طالب كان قد منع أن يكون فيها أحد منهم حين قال: هذا ظلمٌ وعدوانٌ، وقطيعة رحمٍ، واستحلال للشهر الحرام، ولا أحضره ولا أحد من أهلي. وانسحب عبدالله بن جدعان وحرب بن أُمية ـ وهو قائد قريش وكنانة حينذاك ـ وقالا: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم[٤].

ثانياً: اختلفت الروايات حول الدور الذي أدّاه النبيّ (صلى الله عليه وآله) في هذه

---

(١) القلم (٦٨): ٤.

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٣٥٣ - ٣٥٤ (شهوده حرب الفِجار) وفيه: الفجار بكسر الفاء، بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة وسمي الفِجار لأن القتال جرى في الشهر الحرام ففروا فيه. السيرة الحلبية ١: ١٢٧ (حضوره حرب الفجار صلى الله عليه وآله).

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١: ١٢٨ (ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وآله حرب الفجار).

(٤) تاريخ اليعقوبي ١: ٣٣٧ (حرب الفجّار).

الحرب، فبعضهم روى: أنّ عمله (ﷺ) كان يقتصر على مناولة النبل لأعمامه والردّ علىٰ نبل عدوهم وحفظ متاعهم[1]. ورویٰ آخر: أنّه قد رمیٰ فيها برمياتٍ، ورویٰ ثالثٌ أنه طعن أبا البراء ملاعب الأسنة فصرعه[2] مع أنه كان غلاماً[3]، ولا ندري هل كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك والحروب[4] ؟

٥ ـ حلف الفضول :

شعرت قريش بعد حرب الفجار بضعفها وتفرّق كلمتها، وخشيت من طمع العرب فيها بعد أن كانت قويةً منيعةً، فدعا الزبير بن عبد المطلب إلى حلف الفضول حيث اجتمعت بنو هاشم وزهرة وتميم وبنو أسد في دار عبد الله بن جدعان، وغمس المتحالفون أيديهم في ماء زمزم وتحالفوا على نصرة المظلوم، والتأسي بالمعاش، والنهي عن المنكر . وكان أشرف حلف في العهد الجاهلي. وقد شارك محمّد(ﷺ) في هذا الحلف وكان يومئذٍ قد جاوز العشرين من عمره وقد أثنى عليه بعد نبوّته وأمضاه. بقوله: **ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»**[5].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٨٦ (شهوده ﷺ حرب الفجّار)، البداية و النهاية لابن كثير ٢: ٣٥٤ (شهوده حرب الفجّار).

(٢) السيرة الحلبية ١: ١٢٧ (شهوده ﷺ حرب الفجّار)، السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ١: ٩٩ (رعايته للغنم و حضوره ﷺ حرب الفجّار).

(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٣٣٧ (حرب الفجّار).

(٤) الصحيح من السيرة (السيّد جعفر العاملي) ٢: ١٣٧- ١٣٩ (فصل ٤ حضوره ﷺ حرب الفجّار).

(٥) راجع تاريخ اليعقوبي ١: ٣٣٨ (حلف الفضول)

وقيل في سبب تسميته بحلف الفضول : أنه قد حضره ثلاثة نفرٍ أسماؤهم مشتقة من مادة «الفضل» وكان السبب في عقد هذا الحلف ما روي من أنه: أتىٰ رجلٌ من زبيد أو من بني أسد بن خزيمة مكّة في شهر ذي القعدة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي وحبس عنه حقه فاستعدىٰ عليه الزبيدي قريشاً فأبت الأحلاف من قريش معونة الزبيدي علىٰ العاص بن وائل وانتهروه فلما رأى الزبيدي الشرّ صعد على جبل أبي قبيس واستغاث فقام الزبير بن عبد المطلب ودعا إلى الحلف المذكور؛ فعقد، ثم مشوا الى العاص وانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه[١].

٦ ـ التجارة بأموال خديجة :

بدأت شخصية محمد (صلى الله عليه وآله) تتلألأ في المجتمع المكي بما كانت تتمتع به من خلقٍ رفيعٍ وعلوّ همةٍ وأمانةٍ وصدقِ حديثٍ فكانت القلوب تنجذب إليه وهو سليل أسرة طاهرة ولكن الفقر الذي كان حليف أبي طالب دفع بالأسرة الكريمة التي كان يعيش فيها محمد(صلى الله عليه وآله) إلى أن يقترح أبو طالب علىٰ ابن أخيه الذي كان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره أن يخرج مضارباً بأموال خديجة بنت خويلد وبادر أبو طالب إلى خديجة وفاتحها بالأمر فرحّبت به على الفور وسُرّت سروراً عظيماً لما كانت تعرفه عن محمد(صلى الله عليه وآله) وقد بذلت له ضعف ما كانت تبذل لغيره ممّن يخرج في تجارتها[٢].

(١) البداية و النهاية لابن كثير ٢: ٣٥٥ - ٣٥٦ (شهوده حلف الفضول صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ١: ١٣١-١٣٢ (حلف الفضول و شهوده صلى الله عليه وآله).

(٢) راجع الخرائج والجرائح ١: ١٣٩/ ح ٢٢٦، بحار الأنوار ١٦: ٤٠٣/ح ٨.

وسافر محمّد (ﷺ) إلى الشام يعينه في رحلته «ميسرة» غلام خديجة واستطاع بجمال شمائله ورقيق عواطفه أن يكسب حبّ ميسرة وإجلاله واستطاع بأمانته وحنكته أن يربح أوفر الربح وظهرت له في سفره بعض الكرامات الباهرة، فلما عادت القافلة الى مكّة أخبر ميسرة خديجة بما شاهد وسمع[1] مما زاد في اهتمام خديجة بمحمّد (ﷺ) وشوّقها الى الاقتران به.

وزعم بعض المؤرخين: أنّ خديجة قد استأجرته في تجارتها، بينما قال اليعقوبي ـ في تاريخه الذي يعدّ من أقدم المصادر المعتمدة ـ: «وإنه ماكان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشيء، ولاكان أجيراً لأحد قط»[2].

وقد ورد النصّ عن الإمام الحسن العسكري، عن أبيه الإمام الهادي(عليهما السلام): «**إنّ رسول الله (ﷺ) كان يسافر الى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد**»[3].

* * *

(١) دلائل النبوة ٢: ٦٨ (ما جاء في تزويج خديجة)، إمتاع الأسماع ١: ١٧ (مخرجه الثاني الى الشامﷺ).
(٢) تاريخ اليعقوبي ١: ٣٤١ (تزويج خديجة «رض»).
(٣) التفسير المنسوب للإمام العسكري(عليه السلام): ١٥٥/ ح ٧٧ (قصة الغمامة)، البحار ١٧: ٣٠٧-٣٠٨/ح ١٤.

الفصل الثالث

من الزواج الى البعثة

١ ـ الزواج المبارك :

كان لابد لمثل شخصية محمد (صلى الله عليه وآله) التى فاقت كلّ شخصيّةٍ من الاقتران بامرأة تناسبه وتتجاوب مع عظيم أهدافه وقيمه تواصل معه رحلة الجهاد والعمل المضنية وتصبر على متاعبه ومصاعبه، ولم يكن يومذاك امرأة تصلح لمحمد(صلى الله عليه وآله) ولهذه المهمة سوىٰ خديجة، وشاء الله ذلك فاتجه قلب خديجة بكلّ عواطفه نحو محمد (صلى الله عليه وآله) وتعلق بشخصه الكريم. ولقد كانت خديجة (رضي الله عنها) من خيرة نساء قريش شرفاً وأكثرهنَّ مالاً وأحسنهنَّ جمالاً، وكانت تدعىٰ في الجاهلية بـ«الطاهرة» و«سيدة قريش»[١]. وكان كل رجال قومها حريصين على الاقتران بها[٢].

وقد خطبها عظماء قريش وبذلوا لها الأموال، فرفضتهم جميعاً لما كانت تملك من عقلٍ راجحٍ يزن الأمور، ولكنّها اختارت محمداً (صلى الله عليه وآله) لما عرفت فيه من النبل والأخلاق الكريمة والسجايا الفاضلة والقيم العالية. فطلبت

(١) السيرة الحلبية ١: ١٣٧ (باب تزوجه(صلى الله عليه وآله) بخديجة)، السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ١: ١٠٦ (باب خروجه(صلى الله عليه وآله) الى الشام).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٨٩ (رغبة خديجة بالزواج منه صلى الله عليه وآله).

النزول في ساحة عظمته، وعرضت نفسها عليه.

وتظافرت النصوص التاريخية على أ نّها هي التي أبدت أوّلاً رغبتها في الاقتران به[١].

فذهب أبو طالب في أهل بيته، ونفرٌ من قريش لخطبتها من وليّها آنذاك وهو عمها عمرو بن أسد[٢] وكان ذلك قبل بعثة النبيّ (ﷺ) بخمس عشرة سنة علىٰ المشهور.

وكان مما قاله أبو طالب في خطبته: «الحمد لربّ هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس،وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ... ثمّ إن ابن أخي هذا ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به ولا يقاس به رجل إلّا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق وإن كان مقلّاً في المال؛ فإن المال رفدٌ جارٍ، وظل زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقدجئناك لنخطبها إليه، برضاها وأمرها والمهر عليَّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله... وله وربّ هذا البيت حظّ عظيم، ودين شائع ورأي كامل».

لكن خديجة (رضي الله عنها) عادت، فضمنت المهر في مالها.. فقال البعض: يا عجباً! المهر على النساء للرجال فغضب أبو طالب، وقال: «إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طُلبت الرجال بأغلىٰ الأثمان وأعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٨٩ (رغبة خديجة بالزواج منهﷺ)، دلائل النبوة للبيهقي٢: ٦٧ (باب ما كان يشتغلﷺ قبل أن يتزوّج).
(٢) السيرة الحلبية: ١ / ١٣٧ (باب تزوجه بخديجةﷺ).

لم يزوجوا إلّا بالمهر الغالي»[١].

وتفيد بعض المصادر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه قد أمهرها[٢]، ولا مانع من ذلك حينما يكون قد أمهرها بواسطة أبي طالب، ومن خطبة أبي طالب يمكننا أن نستشف علو مكانة الرسول (صلى الله عليه وآله) في قلوب الناس، وماكان يتمتع به بنو هاشم من شرف وسؤدد.

خديجة قبل أن يتزوّجها النبيّ(صلى الله عليه وآله):

ولدت خديجة وسط أُسرة عريقة النسب كانت تتمتّع بالذكر الطيب والخلق الكريم وتميل إلىٰ التدين بالحنيفية ـ دين إبراهيم الخليل (عليه السلام) ـ فأبوها خويلد نازع ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود إلى اليمن، ولم ترهبه كثرة أنصاره دفاعاً عن معتقده ومناسك دينه، وأسد بن عبد العزىٰ ـ جد خديجة ـ كان من المبرّزين في حلف الفضول الذي قام على أساس نصرة المظلوم، وقد شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأهمية هذا الحلف وأيّد القيم التي قام عليها[٣]. وابن عمها ورقة بن نوفل كان قد عاشر النصارىٰ واليهود ودرس كتبهم.

إن التاريخ لا يعطينا تفاصيل دقيقة عن حياة خديجة قبل زواجها من النبيّ(صلى الله عليه وآله). فقد روي أنها تزوجت قبله (صلى الله عليه وآله) برجلين وكان لها منهما بعض

(١) الكافي ٥: ٣٧٥-٣٧٤/ ح ٩ (باب خطب النكاح)، بحار الأنوار ١٦: ٦ - ٥ /ح ٩ و ١٤-١٣/ح ١٣، تاريخ اليعقوبي ١: ٣٤١ (باب تزويج خديجة)، السيرة الحلبية ١: ١٣٩-١٣٨ (باب تزويج خديجة).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٩٠ (باب زواجه صلى الله عليه وآله بخديجة).
(٣) راجع البداية و النهاية لابن كثير ٢: ٣٥٧ (فصل فى حلف الفضول).

الأولاد وهما عتيق بن عائد المخزومي وأبو هالة التميمي[١]، في حين تروي مصادر أُخرى أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين تزوج بها كانت بكراً[٢]، وحينئذٍ تكون زينب ورقية ابنتي هالة أخت خديجة قد تبنّتهما خديجة بعد فقدهما لأُمّهما.

واختلف المؤرّخون في تحديد عمر خديجة (رضي الله عنها) حين زواجها مع النبيّ(صلى الله عليه وآله)فهناك من روى أن عمرها كان (٢٥) عاماً وآخر (٢٨) عاماً وثالث (٣٠) عاماً ورابع (٣٥) عاماً وخامس (٤٠) عاماً[٣].

٢ ـ إعادة وضع الحجر الأسود :

كان للكعبة منزلة كبيرة لدىٰ العرب إذ كانوا يعتنون بها ويحجّون إليها في الجاهلية. وقبل البعثة النبوية بخمسة أعوام هدم السيل الكعبة فاجتمعت قريش وقررت بناءها وتوسعتها وباشر أشراف القريشيين والمكيين العمل، ولما تكامل البناء وبلغوا الى موضع الحجر الأسود اختلفوا في مَن يضعه في مكانه؛ فكل قبيلة كانت تريد أن تختص بشرف ذلك واستعدوا للقتال وانضم كل حليف إلى حليفه وتركوا العمل في بنائها ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا واتفقوا على ان يكون أول داخل على الاجتماع هو الحكم بينهم وتعاهدوا على الالتزام بحكمه فكان أول داخل محمد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، وأقدم النبيّ(صلى الله عليه وآله) على حلّ النزاع حين جعل الحجر في ثوب وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثمّ قال: ارفعوا

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٦٤ (باب ذكر أزواجه صلى الله عليه وآله)، فتح الباري لابن حجر ٧: ١٠٠ (باب تزويج النبيّ صلى الله عليه وآله وخديجة) .

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٥٩، فصل في ترتيب أزواجه.

(٣) راجع بحار الأنوار ١٦:١٢-١٣، البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٣٦٠ (باب تزويجه صلى الله عليه وآله بخديجة)، السيرة الحلبية ١:١٤٠ (باب تزوجه صلى الله عليه وآله بخديجه).

جميعاً ففعلوا فلما حاذوا موضعه أخذه بيده الشريفة ووضعه حيث يجب أن يكون، وبعد ذلك أتمّوا بناءها[1].

وروىٰ بعض المؤرخين: أنهم كانوا يتحاكمون إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الجاهلية لأنّه كان لا يداري ولا يماري[2].

لقد كان لهذا الموقف أثر كبير في نفوس تلك القبائل وأعطى الرسول (صلى الله عليه وآله) رصيداً كبيراً وعمقاً جديداً لتثبيت مكانته الاجتماعية ولفت انتباههم إلى قدراته القيادية وكفاءته الإدارية مما ركّز ثقتهم بسموّ حكمته وحنكته وعظيم أمانته.

٣ ـ ولادة عليّ (عليه السلام) وتربية النبيّ (صلى الله عليه وآله) له :

إنّ العلاقة بين محمّد (صلى الله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب(عليه السلام) لا تقتصر على النسب بل تتميّز بأنّها علاقة فكرية وعاطفية عميقة جداً، فما ان خرجت فاطمة بنت أسد تحمل وليدها الذي وضعته في بطن الكعبة[3] حتى تقدّم إليها محمّد المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) وأخذ علياً فضمّه إلى صدره[4] وكانت هذه بداية العناية به والإعداد الخاص له.

ونشأ الوليد في أحضان والديه وابن عمه محمد (صلى الله عليه وآله) الذي كان يتردد

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٩٦-١٩٧ (إختلاف قريش فيمن يضع الحجر)، تاريخ اليعقوبي ١: ٣٣٩- ٣٤٠ (باب بنيان الكعبة)، البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٣٦٦-٣٦٨ (باب تجديد قريش بناء الكعبة).

(٢) السيرة الحلبية: ١ / ١٤٥ (باب بنيان قريش الكعبة).

(٣) قال الحاكم النيسابوري:
«فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة» المستدرك على الصحيحين : ٣ / ٤٨٣.

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٣٠ (الفصل الأوّل في ذكر أميرالمؤمنين(عليه السلام)) .

كثيراً على دار عمّه حتى بعد زواجه من خديجة (رضي الله عنها)، يشمله بفيض خاص من العواطف والاهتمام الفائق يناغيه في يقظته ويحمله على صدره، ويحرك مهده عند نومه. وقد انعكست هذه الرعاية المستمرة لسنوات طويلة ـ وهذا الحنان العظيم الملفت للنظر ـ بآثارها على سلوك عليّ وشعوره حتّىٰ طفح على لسانه وكلامه فأشار الى شدة قربه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله (عليه السلام): **«وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويُمِسُّني جسده ويُشمّني عَرْفه وكان يمضغ الشيء ثم يُلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل، ولقد كنت أتّبعه إتباع الفصيل أثر أُمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به»**[١].

وحين اشتدت الأزمة الاقتصادية على قريش سارع محمد (صلى الله عليه وآله) مقترحاً على عمّيه حمزة والعباس أن يعينا أبا طالب في شدّته فأخذ العباس طالباً وأخذ حمزة جعفراً واستبقىٰ أبو طالب عقيلاً وأخذ محمد (صلى الله عليه وآله) عليّاً وقال لهم: **قد اخترت من اختار الله لي عليكم: علياً**[٢].

وهكذا انتقل عليّ (عليه السلام) إلى دار ابن عمه ورعايته وأخذت تتبلور شخصيته ولم يفارقه حتىٰ آخر لحظات عمر النبيّ (صلى الله عليه وآله). إنّ اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله) بعلي (عليه السلام) لم يقتصر علىٰ فترة الأزمة الاقتصادية وهذا يفيدنا بأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يهدف أمراً آخر هو أن يتربىٰ عليّ (عليه السلام) في حجره (صلى الله عليه وآله) ليعدّه إعداداً خاصاً كي يتسنى له القيام بدور رسالي عظيم في صيانة شريعة الرسول الخاتم التي كان الله قد اختار لها خير خلقه وصفوة عباده.

---

(١) نهج البلاغة: ٣١١/ ضمن خ ١٩٢ الخطبة (القاصعة).

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤١ (في ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام).

وهكـذا هـيأ الله لعـلي (عليه السلام) أن يـعيش مـنذ نـعومة أظـفاره فـي كـنف الرسول (صلى الله عليه وآله) يحظى بمودّته وحنانه، ويقتبس من أخلاقه وعـظيم سـجاياه. هذا وقد عامله النبيّ(صلى الله عليه وآله)كما لو كان ولده الحبيب .. وعاش عـلي (عليه السلام) مـع النبيّ (صلى الله عليه وآله)كلّ التحولات الغيبية التي جرت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ لم يفارقه في كل يومه(١).

إن ما حفظه لنا التاريخ من سيرة الإمام عـلي (عليه السلام) يـجسد لنـا ـ بـعمق وقوة ـ المدىٰ الذي كان الإمام (عليه السلام) قد حظي به في مضمار الإعداد الرسالي على يد الرسول (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة وبعدها وما خصّه به من إعداد روحي ونفسي ممّا جعله جديراً بالمرجعية الفكرية والعلمية فضلاً عن المرجعية السياسية بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله).

٤ ـ ملامح من شخصية خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة :

لقد سطع إسم محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) فـي مـجتمع الجـزيرة العـربية فـي وقت كان الوهن والتفكك قد بدا علىٰ أواصـر ذلك المـجتمع بكـل نـواحـيه وكانت شخصيّة محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) تزداد تألّقاً وسموّاً.

وبـدأت تـظهر اسـتقامة شـخصيته فـي كـل جـوانب سـلوكه وكـمالاته الاخلاقية. الى جانب الأصالة العائلية المتمثلة في كرم المحتد وطهارة المولد يـرفده الإمـداد الغـيبي والتسـديد الإلهـي الذي يـصونه عـن كـلّ المـعاصي والمساوئ.

ولقد كان علي بن أبي طالب أكثر الناس التصاقاً ومعرفة بالرسول(صلى الله عليه وآله)، وكلامه عن الرسول أصدق قول حيث قال: «**ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لَدن أن كان**

(١) نهج البلاغة: ٣١١/ ضمن الخطبة ١٩٢ (الخطبة القاصعة).

فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»[١].

وقد روي عنه (صلى الله عليه وآله) مدىٰ بغضه للأصنام منذ الطفولة ففي قصة سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب نجده يرفض أن يقيم وزناً للأوثان[٢].

لقد اختار محمّد (صلى الله عليه وآله) لنفسه ولبناء شخصيته منهجاً خاصّاً حقّق له حياة زاخرة بالمعنوية والقيم السامية فلم يكن كَلّاً على أحد ولا عاطلاً عن العمل، فقد رعىٰ الأغنام لأهله حين كان فتىً يافعاً[٣] وسافر للتجارة في عنفوان شبابه[٤]؛ وفي جانب آخر من شخصيته الفذّة نلمس جمال الإنسانية متجليّاً في كمال الرحمة وغاية العطف على الضعفاء والفقراء وخير نموذج على ذلك تعامله مع زيد بن حارثة الذي رفض العودة الىٰ أبيه وفضّل الحياة الكريمة مع محمد (صلى الله عليه وآله)[٥].

وهكذا نعرف أن محمداً (صلى الله عليه وآله) كان قبل بعثته رجلاً لبيباً فاضلاً رشيداً طوىٰ سنوات شبابه وهو يملك أسمى مقوّمات التعامل الإنساني والاجتماعي في مجتمع الجزيرة الجاهلي وقد فاق بشخصيته المُثلى جميع من سواه في عامة المجتمع الإنساني آنذاك، وبذلك شهد له التنزيل قائلاً له: ﴿ **وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم** ﴾[٦] .

---

(١) نهج البلاغة: ٣١١/ ضمن الخطبة ١٩٢ (الخطبة القاصعة)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ١٨٢، (قصه بحيرى) الطبقات الكبرى: ١ / ١٥٤ (ذكر علامات النبوّة فيه قبل أن يوحىٰ إليه صلى الله عليه وآله).

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١: ١٢٦ (ذكر رعيه صلى الله عليه وآله للغنم)، السيرة الحلبية ١: ١٢٦ (باب رعيته صلى الله عليه وآله للغنم).

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١: ١٢٩-١٣٠ (ذكر خروجه صلى الله عليه وآله الى الشام ثانيةً)، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٣١٣ (ذكر الحوادث في سنة خمس و عشرين من مولده صلى الله عليه وآله).

(٥) الاستيعاب ٢: ١١٦ - ١١٧ (ترجمة زيد، رقم ٨٤٨)، الوافي بالوفيات ١٥: ٢٨ - ٢٩ (ترجمة زيد رقم ٣٢).

(٦) القلم (٦٨): ٤.



الباب الثالث

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

البعثة النبوية المباركة وإِرهاصاتها

الفصل الثاني :

مراحل حركة الرسالة في العصر المكي

الفصل الثالث :

موقف بني هاشم وأبي طالب من النبيّ (صلى الله عليه وآله)

الفصل الرابع :

سنوات الإنفراج حتى الهجرة

الفَصْلُ الأَوَّلُ

البعثة النبوية المباركة وإرهاصاتها

تمثل نصوص القرآن الكريم أقدم النصوص التاريخية التي تتمتع بالصحة والدقة والمعاصرة لأحداث عصر الرسالة الإسلامية، والمنهج العلمي يفرض علينا أن لا نتجاوز نصوص القرآن الكريم فيما يخص عصر النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذي نزلت فيه الآيات حين بعثته واستمرت بالنزول حتى وفاته.

وإذا عرفنا أن الروايات التاريخية المتمثلة في كتب الحديث والسيرة قد تأخّر تدوينها عن عصر وقوع الحوادث أوّلاً، كما أنّها قريبة من الدس وتطرق التزوير إليها ثانياً؛ كان من الطبيعي والمنطقي أن نعرضها على محكمات الكتاب والسنة والعقل لنأخذ ما يوافقها ونرفض ما يخالفها.

وينبغي أن لا يغيب عنا أن النبوة سفارة ربّانية ومهمة إلهية تتعيّن من قبله سبحانه وتعالى لغرض رفد البشرية بالهداية اللازمة لها على مدى الحياة. وأن الله إنما يصطفي من عباده مَن يتمتّع بخصائص فذة تجعله قادراً على أداء المهامّ الكبرى المرادة منه وتحقيقها بالنحو اللائق.

إذن لابدّ أن يكون المرسَل من قبله تعالى مستوعباً للرسالة وأهدافها

وقادراً على أداء الدور المطلوب منه على مستوى التلقيّ والتبليغ والتبيين والتطبيق والدفاع والصيانة . وكل هذه المستويات من المسؤولية تتطلب العلم والبصيرة (المعرفة) وسلامة النفس وصلاح الضمير والصبر والإستقامة والشجاعة والحلم والإنابة والعبوديّة لله والخشية منه والإخلاص له والعصمة (التسديد الرباني) على طول الخط.

ولم يكن خاتم المرسلين بدعاً من الرسل بل هو أكملهم وأعظمهم فهو أجمع لصفات كمالهم والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ومن أبده القضايا ومن مقتضيات طبائع الأشياء أن يكون المرشَّح لمهمّةٍ ربانيّة كبرىٰ على استعداد تام لتقبّلها وتنفيذها قبل أن يتولّىٰ تلك المهمة أو يرشّح لأدائها. إذن لابد للنبي الخاتم أن يكون قد أحرز كل متطلّبات حمل هذه المسؤولية الإلهية وتوفّر على كل الخصائص اللازمة لتحقيق هذه المهمة الربانية قبل البعثة المباركة. وهذا هو الّذي تؤيده نصوص القرآن الكريم.

١ ـ قال تعالى: ﴿كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

٢ ـ وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾[٢].

٣ ـ وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣].

٤ ـ وقال أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ

---

(١) الشورى (٤٢): ٣.
(٢) يوسف (١٢) : ١٠٩.
(٣) الأنبياء (٢١) : ٢٥.

ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[1].

إذن مصدر الوحي هو الله العزيز الحكيم. والمرسَلون رجالٌ يُوحي اليهم الله سبحانه معالم توحيده وعبادته ويجعلهم أ ئمةً يهدون بأمره كما يوحي إليهم تفاصيل الشريعة من فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهم القدوة لغيرهم في العبادة والتجسيد الحي للاسلام الحقيقي لله سبحانه.

وفيما يخص خاتم النبيين يقول سبحانه وتعالىٰ :

١ ـ ﴿ وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ... ﴾[2].

٢ ـ ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ*... فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

٣ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾[4].

٤ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[5].

٥ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً

---

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٢) الشورى (٤٢): ٧ .

(٣) الشورى (٤٢): ١٣ ـ ١٥.

(٤) الشورى (٤٢): ١٧ .

(٥) الشورى (٤٢): ٢٤.

فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ* وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَاكُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتابُ وَلاَ ٱلإِيمَانُ وَلٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] .

إنّ الذين عاصروا الرسول الكريم قبل بعثته وحتى وفاته لم يقدّموا لنا تصويراً صحيحاً وواضحاً عن الرسول قبل بعثته بل وحين البعثة. ولعلّ أقدم النصوص وأتقنها هو ما جاء عن ربيب الرسول وابن عمه ووصيّه الذي لم يفارقه قبل بعثته وعاشره طيلة حياته، إلى جانب أمانته في النقل ودقته في تصوير هذه الشخصية الفذة. فقد قال عن الفترة التي سبقت البعثة النبوية وهو يتحدّث عن الرسول (صلى الله عليه وآله):

«ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم. ليله ونهاره. ولقد كنت أ تّبعه اتّباع الفصيل أ ثَر أُمّه. يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً. وقد كان يُجَاور في كلِّ سَنَة بحراء فأراه ولا يراه غيري»[2].

ويتوافق هذا النص مع قوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[3]. فقد نزل هذا النص في بداية البعثة. والخُلق ملكة نفسية متجذرة في النفس لا تستحدث خلال أيام، فوصفه بعظمة خُلُقه يكشف عن سبق اتصافه بهذه الصفة قبل البعثة المباركة.

وتتضح بجلاء بعض معالم شخصيته(صلى الله عليه وآله) قبل البعثة من خلال نص

(١) الشورى (٤٢): ٥١ ـ ٥٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣١١ /ضمن الخطبة ١٩٢ (الخطبة القاصعة).

(٣) القلم (٦٨) : ٤ .

حفيده الإمام الصادق(عليه السلام): «**إنّ الله عزّ وجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه فلمّا أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوّض اليه أمر الدين والأُمّة ليسوسَ عباده**»[1].

على أنّ الخلق العظيم جامع لتمام المكارم التي فسّرها النص الوارد عن النبيّ(صلى الله عليه وآله) حيث يقول: «**إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**»[2]. فكيف يراد له تتميم مكارم الاخلاق وهو لم يتصف بها بعدُ؟! اذن لابدّ من القول بأنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله)كان قبل البعثة قد أحرز جميع المكارم ليكون وصفه بالخلق العظيم وصفاً صحيحاً ومنطقياً.

فالرسول قبل بعثته كان مثال الشخصية المتّزنة المتعادلة والواعية المتكاملة والجامعة لمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وحميد الأفعال.

والنصوص القرآنية التي تشير الى ظاهرة الوحي الرسالي وكيفية تلقي الرسول (صلى الله عليه وآله) له تصرّح بشكل لايقبل الترديد بماكان عليه الرسول من الطمأنينة والثبات والاستجابة التامة لأوامر الله تعالى ونواهيه التي كان يتلقّاها قلبه الكريم.

لاحظ ما سقناه اليك من نصوص سورة الشورى، واقرأ أيضاً ما جاء في غيرها مثل قوله تعالى:

١ ـ ﴿**وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ* وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ* عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ* وَهُوَ بِالأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ* مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا**

(١) الكافي ١: ٢٦٦ / ح ٤ (باب التفويض الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله).
(٢) بحار الأنوار ١٦: ٢١٠، مجمع الزوائد ٩: ١٥ (باب في حسن خلقه صلى الله عليه وآله).

رَأَىٰ ﴾[١].

٢ ـ ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي ﴾[٢].

٣ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[٣].

٤ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾[٤].

٥ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[٥].

٦ ـ ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٦].

٧ ـ ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾[٧].

٨ ـ ﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[٨].

واذا عرفت ما جاء في هذه النصوص القرآنية المباركة تستطيع أن تولّي وجهك شطر المصادر الحديثية والتأريخية لتقف على محكماتها ومتشابهاتها.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة أ نّها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبّب اليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه... ثم يرجع الى خديجة فيتزود

(١) النجم (٥٣) : ١ ـ ١١.
(٢) الأنعام (٦): ٥٧.
(٣) الكهف (١٨): ١١٠.
(٤) الأنبياء (٢١): ٤٥.
(٥) الأنبياء (٢١): ١٠٨.
(٦) طه (٢٠) : ١١٤.
(٧) سبأ (٣٤): ٥٠.
(٨) يوسف (١٢): ١٠٨.

لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء».

وليس في بداية هذا النص ما يدعو للإستغراب سوى أن عائشة لم تكن حين بدأ الوحي، والنص لا يفصح أ نّها عمّن استقت هذه المعلومات؟ وهي لم تروه عن رسول الله (ﷺ) مباشرة. ولكن في ذيل النص ما هو مدعاة للاستغراب طبعاً.

قالت: «ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امريءً قد تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربيّة من الإنجيل ـ ما شاء الله أن يكتب ـ وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي! ما ترىٰ؟ فأخبره رسول الله (ﷺ) ما رأى. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى(عليه السلام)، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله: «أَوَمُخرِجيّ هم؟ فقال ورقة: نعم. لم يأت رجل قط بما جئت به إلّا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب[1] ورقة أن توفي»[2].

إن ورقة الذي لم يُسلِم بعد هو عارفٌ بما سيجري على النبيّ فضلاً عن علمه بنبوته! بينما صاحب الدعوة والرسالة نفسه لم يتضح له الامر بعد! وكأنّ ورقة هو الذي يفيض عليه الطمأنينة! والقرآن قد صرّح بأنّ النبيّ(ﷺ) على بيّنة من ربّه، كما عرفت ذلك في أكثر من آية تنصّ على أن الرسل هم

(١) لم ينشب: لم يلبث.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٣٢ – ٢٣٣، (ما أسند عن عائشة).

مصدر الهداية للناس وهم أصحاب البيّنات وليس العكس هو الصحيح، بينما يشير هذا الحديث الى أن ورقة هو الذي عرف رسالة النبيّ قبله فبعث فيه الطمأنينة.

وهذا هو الذي فتح الطريق لأهل الكتاب للغمز في رسالة النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله) إذ قالوا بأن نبيّكم ـ بموجب نصوصكم هذه ـ لم يطمئن الى أنه رسول من الله إلّا بعد تطمين ورقة المسيحي له، وقد تجرأ البعض حتى ادّعى أن محمداً(صلى الله عليه وآله) قسيس من القساوسة الذين ربّاهم ورقة استناداً إلى هذا النص الذي نقلته كتب الحديث وتداوله المؤرخون! وهذه ثغرة حصلت من الإبتعاد عن محكمات العقل والكتاب والسنة جميعاً.

وهل يصدّق بهذا عاقل عرف المنطق القرآني وتعرّف على شخصية الأنبياء في القرآن الكريم؟ وكيف يمكن له أن يؤمن بمضمون هذا النص على أنه حقيقة؛ لمجرد زعم انتسابه إلى عائشة زوجة النبيّ (صلى الله عليه وآله)؟!

وثمة نصّ آخر في تاريخ الطبري هو أكثر فظاعة من هذا وأدعى للريب في محتواه حيث يذكر أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان نائماً وجاءه الملك وعلّمه مطلع سورة العلق.. يقول النص بعد ذلك: «وهببت من نومي وكأنما كتب في قلبي كتاباً. قال: ولم يكن من خلق الله أحدٌ أبغض إليّ من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أن أنظر اليهما، قال: قلت: إن الأبعد ـ يعنى نفسه ـ لشاعر أو مجنون! لا تحدّث بها عني قريش أبداً! لأعمدنّ إلى حالق من الجبل فلأطرحنّ نفسي منه فلأقتلنّها فلأستريحن. قال: فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله

وأنا جبريل»[1].

إن اضطراب النبيّ وخوفه يبلغ به النهاية حتى يريد الانتحار بينما يـريد الله اختياره للنبوة وهداية الناس ودعوتهم إلىٰ الحق، فـهل يـتناسب مـا فـي الرواية مع حقائق الرسالة التي هي من الوضوح بمكان ؟!

وهكـذا نسـتطيع أن نـعرض نـصوص التـاريخ عـلى مـحكمات العـقل والكتاب والسنّة لنخرج بنتائج واضحة تاركين ما لا يصمد أمام النقد العلمي البنّاء.

وبعد ملاحظة النصوص الصريحة من الكتاب العزيز ـ إذا لاحظنا ما ورد في بعض مصادر الحديث والسيرة مما يرتبط باللقاء الأوّل للرسول (صلّى الله عليه وآله) مع الوحي الإلهي وما رافقه من غرائب تأباها النصوص القرآنـية ـ جـاز لنـا أن نطمئن الى تَسرُّب الإسرائيليات إليها.

ويحسن بنا أن نقارن بين هذا النص الروائي وبين نـص آخـر ورد فـي بحار الأنوار للعلّامة المجلسي (رضوان الله تعالى عليه) فيما يخصّ إرهاصات الوحي الرسالي وماتبعه من نـتائج لوحـظت عـلى نـفس الرسـول (صلّى الله عليه وآله) وشـخصيته وسلوكه.

فعن الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام): **أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لمّا ترك التجارة إلى الشام وتصدّق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات كان يغدو كلَّ يوم إلى حراء يصعده وينظر من قُلله الىٰ آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكّر**

(1) تاريخ الطبري ٢: ٤٨-٤٩ (ذكر الخبر عمّا كان من أمرالنبيّ(صلّى الله عليه وآله) عند ابتداء نزول الوحي).

بتلك الآيات، ويعبد الله حقّ عبادته.

فلمّا استكمل أربعين سنة ونظر الله عزّ وجلّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها وأخضعها أذن لأبواب السماء ففتحت ومحمّد ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمّد ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأُنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد وغرّته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوّق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه[1] وهزّه وقال:

يا محمد اقرأ، قال: وما اقرأ ؟ قال يا محمّد ﴿اقرأ باسم ربّك الّذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربّك الأكرم * الّذي علّم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم﴾[2].

ثمّ أوحى إليه ما أوحى إليه ربّه عزّ وجلّ ثمّ صعد إلى العلو.

ونزل محمّد (صلى الله عليه وآله) من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمّى والنافض ... وقد اشتدّ عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره ونسبتهم إيّاه إلى الجنون، وإنّه يعتريه شياطين، وكان من أوّل أمره أعقل خلق الله، وأكرم براياه، وأبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين وأقوالهم، فأراد الله عزّ وجلّ أن يشرح صدره؛ ويشجّع قلبه، فأنطق الله الجبال والصخور والمدر، وكلّما وصل إلى شيء منها ناداه: السلام عليك يا محمّد، السلام عليك يا وليّ الله، السلام عليك يا رسول الله أبشر، فإنّ الله عزّ وجلّ قد فضّلك وجمّلك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأوّلين والآخرين، لا يحزنك أن تقول قريش إنّك مجنون، وعن الدين مفتون، فإنّ الفاضل من فضّله ربّ العالمين، والكريم من كرّمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقنّ صدرك من تكذيب قريش

(١) الضبع: وسط العضد وفي المصدر: بضبعيه. وهزه: حركه.
(٢) العلق (٩٦): ١ ـ ٥.

وعتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربّك أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات، وسوف ينعّم ويفرّح أولياءك بوصيّك عليّ بن أبي طالب، وسوف يبثّ علومك في العباد والبلاد بمفتاحك وباب مدينة حكمتك: علي بن أبي طالب، وسوف يقرّ عينك ببنتك فاطمة، وسوف يخرج منها ومن عليّ : الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وسوف ينشر في البلاد دينك وسوف يعظّم أُجور المحبّين لك ولأخيك، وسوف يضع في يدك لواء الحمد فتضعه في يد أخيك عليّ، فيكون تحته كلّ نبيّ وصدّيق وشهيد، يكون قائدهم أجمعين إلى جنّات النعيم(١).

وحين نقارن بين هذا النص الروائي وما سبقه مما رواه الطبري نلاحظ البون الشاسع والفرق الكبير بين الصورتين عن بداية البعثة وشخصية الرسول(صلى الله عليه وآله). فبينما كانت تصوّره الرواية الأُولىٰ : شاكّاً ومضطرباً ـ اضطراباً ناشئاً عن الجهل بحقيقة ما يجري له! ـ تصوّره الرواية الأخيرة : عالماً مطمئناً متفائلاً بمستقبل رسالته منذ بداية الطريق . وهذه الصورة هي التي تنسجم مع محكمات الكتاب والسنّة والتاريخ .

* * *

(١) بحار الأنوار ١٨: ٢٠٥ ـ ٢٠٨/ ح ٣٦ نقلاً عن التفسير المنسوب الىٰ الإمام العسكري(عليه السلام).

الفَصْلُ الثَّانِي

مراحل حركة الرسالة في العصر المكي

١ ـ بناء الخلية الإيمانية الأُولى :

وبعد اللقاء الأوّل مع وحي النبوّة أخذت تتدرّج الآيات القرآنية بالنزول، ويبدو أنه بعد أن نزلت عليه الآيات الأُولى من سورة المزملّ شرع النبيّ (صلى الله عليه وآله) يهيّئ نفسه للخطوات التالية في طريق نشر الرسالة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامي، وكان عليه أن يعدّ العدّة لمواجهة الصعاب الكثيرة والمشاكل المتوقّعة، وأن يُحكم خطّته وأُسلوبه في العمل.

إنّ أوّل ما بدأ به هو دعوة أهل بيته. أمّا خديجة (رضي الله عنها) فكان من الطبيعي أن تُصدّق النبيّ (صلى الله عليه وآله) حيث عاشرته عمراً طويلاً ووجدت فيه منتهىٰ السموّ الأخلاقي والطهر الروحي والتعلق بالسماء.

ولم يتكلّف النبيّ (صلى الله عليه وآله) جهداً في دعوة ابن عمه وربيبه علي بن أبي طالب(عليه السلام) الذي كان يحمل بين جوانحه قلباً طاهراً لم تلوّثه عبادة الأصنام قطّ، فبادر إلى التصديق به فكان أوّل القوم إسلاماً[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٢٤٥/١ (باب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أوّل ذكر أسلم)، حلية الأولياء ١: ٦١/ (ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام)، رقم ٤.

وكان اختيار النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعلي صائباً وموفّقاً لما كان يملكه عليّ (عليه السلام) من مؤهلات الطاعة والانقياد والقوة والاندفاع في الوقت الذي كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) بأَمسّ الحاجة إلى الناصر والمؤازر، فكان علي (عليه السلام) يمثّل ذراع النبوة في تبليغ الرسالة منذ انطلاقتها والعين الباصرة، ولسان الدعوة الناطق بها.

فأوّل من آمن علي (عليه السلام) حيث كان يرافق النبيّ (صلى الله عليه وآله) في خلواته في حراء ثمّ خديجة وهما أوّل من صلّى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن كانا يوحّدان الله كالنبي(صلى الله عليه وآله) متحدّيَيْنِ معه قوىٰ الشرك والضلالة.[1] ثم التحق بهما زيد بن حارثة فكانوا هم المجموعة الخيّرة والنواة الأولىٰ التي انفلق منها المجتمع الإسلامي.

٢ ـ أدوار العصر المكّي:

لقد مرّ تبليغ الرّسالة الإسلامية على يدي النبيّ العظيم بثلاثة أدوار على الأقل حتى تهيّأت الظروف لتأسيس أوّل دولة إسلامية مباركة وهي كما يلي:

١ ـ دور إعداد القاعدة الأولىٰ للرسالة الإسلامية. واصطلح البعض على هذا الدور بدور الخفاء أو دور الدعوة الخاصة.

٢ ـ دور الدعوة المحدودة بالأقربين والصراع المحدود مع الوثنية.

٣ ـ دور الصراع الشامل.

(١) أُسد الغابة: ٤ / ١٨ (في إسلام علي عليه السلام)، حلية الأولياء: ١ / ٦٦، (ترجمة علي عليه السلام) رقم ٤، شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ٣ / ٢٥٦، مستدرك الحاكم: ٣ / ١١٢ (في إسلام علي عليه السلام).

١/٢ ـ دور إعداد القاعدة الاولى :

تحرك النبيّ (صلى الله عليه وآله) داعياً إلى الإسلام بعد أن أمره الله تعالىٰ بالقيام والانذار[١] ساعياً لبناء كتلة إيمانية تكون بؤرة نور وإشعاع لهداية المجتمع واستمر الحال هكذا حوالي ثلاث سنين مسدّداً بالغيب معصوماً من الزلل.

وكان التحرك الرسالي هذا محفوفاً بالمخاطر والصعوبات ولكنه كان متقناً متكاملاً.

وكان من أُسلوب الرسول(صلى الله عليه وآله) في هذه المرحلة من الدعوة أن ينوّع الاختيار من حيث الانتماء القبلي والموقع الجغرافي والعمر لأتباعه ليوضح شمولية الرسالة ويضمن لها الانتشار في المجتمع الىٰ أقصىٰ ما يمكن؛ فاستجاب له ـ في بداية البعثة ـ المستضعفون والفقراء إذ كانت الرسالة الإسلامية منطلقاً نحو التسامي والحياة الكريمة والأمان، كما استجاب له من الأشراف من كان ذا نفس طيّبة وعقل منفتح وذا نزوع إلى السلوك النزيه.

ولم يتحسّس جبابرة قريش خطورة الرسالة وحسبوا أن الأمر لا يعدو تكهّنات وتأملات لها سوابق اندثرت؛ فلم يشدّدوا على محاربتهم للرسالة للقضاء عليها في مهدها.

وفي هذا الوقت القصير استطاع الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يصوغ من النفوس التي آمنت برسالته عناصر فعالة تحمل قيم الرسالة لتنطلق بها للناس، وهم أشد حرصاً على إسلامهم وأكثر يقيناً بإيمانهم مستنكرين بذلك ماكان عليه

---

(١) كما ورد في مطلع سورة المدّثر.

آباؤهم من شرك وخلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهر بالرسالة.

ويروىٰ أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأصحابه ـ في هذه الفترة ـ كانوا إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشِعاب فصلّوا فرادىٰ ومثنىٰ، فبينما رجلان من المسلمين يصليان في بعض شعاب مكّة اِذ ظهر عليهما رجلان من المشركين ـ كانا فاحشين ـ فناكراهما وعابا عليهما ما يصنعان ثم تضاربوا، وانصرفا[١].

ويبدو تكرر مثل هذه المواجهة مع المشركين[٢]. من هنا استعان النبيّ(صلى الله عليه وآله) ببعض الدور للتخفي لممارسة العبادة والإتصال المنتظم به(صلى الله عليه وآله) بعيداً عن أنظار قريش فكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم[٣] خير ملجأ للمسلمين حينئذٍ.

٢/٢ ـ دور المواجهة الاُولىٰ وإنذار الأقربين:

وحين شاع خبر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية وفي الوقت الذي بلغت فيه الفئة المؤمنة المستوىٰ الروحي الذي يؤهلها لخوض الصراع كان لابد من الانتقال الى مرحلة الإعلان العام وكانت أوّل خطواته إنذار الأقربين وذلك في مجتمع تسوده الإعتبارات القَبَليّة . فمن الأولىٰ إنذارهم قبل إنذار الناس كافة، وهكذا نزل الأمر الإلهي قائلاً بصراحة: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ**

---

(١) المستدرك للحاكم ٤: ٥٢ (ذكر أروىٰ بنت عبدالمطلب).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٢٦٣ و٢٨٢ (خروج الرسول بأصحابه الىٰ الشعاب).

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ٥٠٢ (ذكر مناقب الأرقم)، السيرة الحلبية ١: ٢٨٣، (باب استخفائه صلى الله عليه وآله في دار الأرقم).

ٱلأَقْرَبِينَ﴾[١]؛ من هنا دعا النبيّ(صلى الله عليه وآله) عشيرته الأقربين وأوضح لهم أمر الرسالة وهدفها ومستقبلها وكان فيهم من يرتجىٰ خيره ويؤمّل إيمانه. ولئن نهض أبو لهب معلناً المعاداة والكراهية فقد تبنّىٰ أبو طالب(عليه السلام) دعم النبيّ(صلى الله عليه وآله) وحماية رسالته.

وقد روىٰ المؤرّخون أنّه ما إن نزلت آية إنذار العشيرة الأقربين أمر النبيّ(صلى الله عليه وآله) عليّاً بإعداد وليمة ثمّ دعا عشيرته وكانوا أربعين رجلاً. وحين تأهب الرسول(صلى الله عليه وآله) للحديث قاطعه عمّه عبد العُزّىٰ ـ المعروف بأبي لهب ـ وحذّره من الاستمرار في التبليغ والإنذار، وحال دون تحقيق هدف الرسول(صلى الله عليه وآله) فانفضّ المجلس. ولمّا كان من غد جدّد النبيّ (صلى الله عليه وآله) أمره لعليّ بدعوته لعشيرته وبعد أن فرغوا من الطعام بادرهم النبيّ(صلى الله عليه وآله) بقوله: «**يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عزّ وجلّ أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟**» فسكتوا جميعاً إلّا علي بن أبي طالب إذ نهض قائلاً: «**أنا يا رسول الله أكون وزيرك على ما بعثك الله**». فأمره رسول الله بالجلوس، وكرر الرسول (صلى الله عليه وآله) دعوته؛ فلم يجبه غير علي (عليه السلام) ملبياً الدعوة معلناً المؤازرة والنصرة. وعندها التفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى الحاضرين من عشيرته وقال: «**إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم** (أو عليكم) **فاسمعوا له وأطيعوا**». فنهض القوم من مجلسهم وهم يخاطبون أبا طالب ساخرين: «قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[٢].

---

(١) الشعراء (٢٦) : ٢١٤.

(٢) روىٰ هذا الحديث أرباب السير و التواريخ بألفاظ متفاوتة، راجع تاريخ الطبري ٢: ٦٢ ـ ٦٣ (ذكر أوّل من ←

٣/٢ ـ دور المواجهة الشاملة

ورغم احتياطات النبيّ (صلى الله عليه وآله) في المرحلة السابقة وتجنّبه من الدخول في مواجهة مباشرة مع قوى الشرك والوثنية فإنه كان يتعرّض خلالها للنقد واللوم اللاذع له ولبقيّة المسلمين.

وكان لدعوة بني هاشم الىٰ الدين الجديد الأثر البالغ والذكر الشائع في أوساط القبائل العربية فقد تبين لهم صدق الدّعوة وجدّية النبوّة التي أعلنها محمّد (صلى الله عليه وآله) وآمن بها من آمن من أقربائه وغيرهم.

وبانقضاء السنوات الثلاث ـ أو الخمس ـ من بداية الدعوة نزل الأمر الإلهي بالصدع بالرسالة الإلهية والإنذار العام ليخرج الأمر عن الاتصال الفردي الذي كان يتمّ بعيداً عن الأنظار، لِيدعو الجميع إلى رسالة الإسلام والإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، وقد وعد الله نبيّه (صلى الله عليه وآله) بتسديد خُطاه في مواجهة المستهزئين والمعاندين وذلك كما في قوله تعالى جلّ ذكره: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ* إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾[1].

فتحرك النبيّ (صلى الله عليه وآله) صادعاً بأمر الله بثقة مطلقة وعزيمة راسخة متحدياً كل قوىٰ الشر والشرك، وقام علىٰ الصفا ونادىٰ قريشاً من كل ناحية فأقبلوا نحوه فقال (صلى الله عليه وآله): «**أرأيتكم إن أخبرتكم أنّ العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟** قالوا: بلى، قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.** فنهض أبو لهب

← أسلم)، الكامل في التاريخ ٢: ٦٢ -٦٣ (ذكر أمر الله فيه صلى الله عليه وآله بإظهار دعوته)، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠ - ٢١١ (ذكر خبر الوزارة)، السيرة الحلبية ١: ٢٨٥ - ٢٨٦ (باب استخفائه صلى الله عليه وآله وأصحابه).

(١) الحجر (١٥): ٩٤ ـ ٩٥.

ليردّ على رسول الله فقال: تبّاً لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟! ـ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾»[١].

لقد كان هذا إنذاراً صارخاً أفزع قريشاً إذ أصبح تهديداً علنياً لكل معتقداتهم وتحذيراً من عاقبة مخالفتهم لأمر الرسول (ﷺ) ... واتضح أمر الدين الجديد لأهل مكّة بل كل أطراف الجزيرة إذ أدركوا أنّ إنقلاباً حقيقياً سيحلّ بمسيرة البشرية ويرفع من شأنها في القيم والثقافة والمعايير والمواقع الاجتماعية وفق تعاليم السماء وينسف الشر من جذوره فكانت المواجهة مع قادةالشرك والطغيان مواجهة حقيقية لايمكن أن تنتهي إلى نقاط وفاق.

وخلال هذه الفترة كان دخل في الإسلام عدد من العرب وغير العرب حتى بلغوا أربعين رجلاً أو أكثر، ولم تتمكن قريش من تحطيم هذه النهضة الفتية إذ أن المؤمنين بها كانوا ينتمون إلى قبائل شتىٰ، ومن هنا توسّلت قريش بالمواجهة السلميّة ابتداءً وحذّروا أبا طالب حامي الرسول وناصره في دعوته ورسالته.

ولكن أبا طالب ردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه(ﷺ)[٢].

* * *

(١) المناقب لابن شهر أشوب : ١ / ٤٦ (فصل في مبعث النبيّ ﷺ)، تاريخ الطبري ٢: ٦٢ (ذكر أوّل من أسلم)، الكامل في التاريخ ٢: ٦٠-٦١ (ذكر أمر الله فيه ﷺ بإظهار دعوته).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام١: / ٢٦٥ (وفد قريش مع أبي طالب عليه السلام)، تأريخ الطبري٢: ٦٤-٦٥ (أمر الله بالصدع بالدعوة)، الكافي في التاريخ ٢: ٦٣ (ذكر أمر الله فيه ﷺ بإظهار الدعوة).

الفصل الثالث

موقف بني هاشم من النبيّ (صلى الله عليه وآله)

دفاع أبي طالب(رضي الله عنه) عن الرسول(صلى الله عليه وآله) والرسالة الإلهيّة:

لم ينثن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الإستمرار في نشـر الرسالة الإسلامية بل اتسع نشاطه وكثرت تحركاته وتحركات أتباعه المؤمنين به وازدادت جاذبية الدين الجديد في نظر الناس، وقد بدت قريش تظهر غيظها وتسعىٰ لتجد السبل لإيقاف هذا المدّ الجديد (الإسلام)، والقضاء عليه فعاودت مساعيها عند أبي طالب مرّة أُخرىٰ باذلة مغرياتها تارة لإقناع الرسول بالعدول عن دعوته والتراجع عن دينه وتارة أُخرىٰ بالتهديد والوعيد فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قداستنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتىٰ يهلك أحد الفريقين.

وأدرك أبوطالب ـ وهو زعيم بني هاشم ـ قرار قريش الصارم وعدم تورّعها عن سلوك كل السبل للقضاء علىٰ ابن أخيه ورسالته الفتية فحاول تهدئة الموقف مرة ثانية وتسكين غضب قريش حتىٰ يعالج الموقف مع ابن

أخيه ، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصرّ على مواصلة تبليغه للرسالة الإسلامية تنفيذاً لأوامر الله مهما كانت الظروف والنتائج فقال (صلى الله عليه وآله): «**يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**»، ثم اغرورقت عيناه الشريفتان بالدموع وقام ليذهب فتأثر أبو طالب لذلك وهو يعلم صدق ابن أخيه ويؤمن به فقال له: **إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.**

ولم تفتر قريش عن إصرارها في الردع فمشت مرة أخرىٰ إلى أبي طالب (عليه السلام) تطمعه بخذلان رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتعطيه أجمل فتيان مكّة بدل ابن أخيه ليسلّمه أبو طالب إليهم فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتىٰ في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذي فرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل، فردّهم أبو طالب مستاءاً من هذه المساومة الظالمة فقال: هذا والله لبئس ما تسومونني، تعطونني إبنكم أغذوه لكم، وأُعطيكم إبني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً. فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فأجابه أبو طالب قائلاً: والله ما أنصفوني ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك[1].

وهكذا أيقنت قريش بأنّه لا سبيل لهم لإرضاء أبي طالب بخذلان

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٦٦ - ٢٦٧ (طلب أبي طالب الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، الكف عن الدعوة)، تاريخ الطبري ٢: ٦٥-٦٧ (ذكر مراجعة قريش أبي طالب)، الكامل في التاريخ ٢: ٦٣ - ٦٥ (ذكر أمرالله نبيه صلى الله عليه وآله) باظهار دعوته) سمط النجوم.

رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وسارع أبو طالب لاتخاذ تدابير احترازية ليضمن سلامة ابن أخيه واستمراره في نشر رسالته حين وجد الشرّ في نفوس قريش، فدعىٰ بني هاشم وبني عبد المطلب لمنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحفظه والقيام دونه، فاستجابوا له سوى أبي لهب، وأَكْبَرَ أبو طالب موقف بني هاشم فشجّعهم وأثار فيهم العزيمة على الإستمرار في حماية النبيّ (صلى الله عليه وآله)[١].

موقف قريش من الرسالة والرسول (صلى الله عليه وآله) :

نزلت آيات إلهيّة كثيرة وصريحة من نصوص القرآن الكريم خلال أربع سنوات من حركة الرسالة تضمنت بيان عظمة التوحيد والدعوة إليه والإعجاز البلاغي والإنذار والوعيد لمخالفي الرسالة فتناقلتها الألسن وحوتها قلوب المؤمنين وانجذب إليها القاصي والداني لاستماعها واستيعابها.

ولما كان للبلاغة أكبر الأثر في النفوس قررت قريش وهي تحاول احتواء حركة النبيّ(صلى الله عليه وآله) بوسائل متعددة أن تمنع النبي(صلى الله عليه وآله) من الاتصال بالجماهير وعرض دعوته عليهم أن لا يستمع القادم إلى مكّة لما نزل من آيات القرآن، بعد أن فشلت في محاولة إغراء النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالملك والسلطان عليهم والأموال الطائلة والشرف والسؤدد. ثم أردفوا ذلك بتشكيكهم في صحة دعوته؛ زاعمين أن الذي يعتري النبيّ (صلى الله عليه وآله) إنّما هو حالة مرضية يسعون لعلاجها، فأجابهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) جواباً فيه كل الخير والشرف والنجاة

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٦٩ (ذكر ما فتنت به قريش المؤمنين)، تاريخ الطبري ٢: ٦٨ (ذكر مراجعة قريش أبي طالب).

لهم فقال (صلى الله عليه وآله): **كلمة واحدة تقولونها تدين لكم بها العرب وتؤدي إليكم بها العجم الجزية...** ففزعوا لكلمته وحسبوا أنها نهاية المطاف فقالوا: نعم وأبيك عشراً... قال (صلى الله عليه وآله): **لا إله إلا الله...** فكان الردّ مفاجئة قوية خذلتهم فقاموا مستكبرين وهم يردّدون: ﴿أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[١][٢].

وعندها قرروا أن يلجأوا الى الإهانة والسخرية من النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأتباعه الذين بدأوا يتزايدون كل يوم وتتعمق دعوته المباركة في النفوس فكان من أفعالهم قيام أبي لهب وزوجته أم جميل بطرح الشوك على باب بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذ كان بيته يجاورهم[٣]. وأخذ أبو جهل يتعرض للنبيّ (صلى الله عليه وآله) فيؤذيه بقوله الفاحش ولكن الله كان للظالمين بالمرصاد فقدكان ماكان من حمزة عم النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين علم بذلك إذ ردّ على أبي جهل إهانته أمام الملأ من قريش معلناً إسلامه وتحدّيه لجمعهم أن يردّوا عليه أو أن يتعرضوا ثانية للرسول(صلى الله عليه وآله)[٤].

قريش تأبىٰ الانصياع لصوت الحق :

تصوّرت قريش أنها بدهائها تستطيع أن تثني النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن رسالته،

(١) سورة (ص) (٣٨): ٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٦٦/٢ ـ ٦٧ (ذكر مراجعة قريش أبي طالب)، المستدرك للحاكم: ٤٣٢/٢ (شأن نزول سورة ص)، البداية والنهاية: ١٥٢/٣ ـ ١٥٣ (فصل في وفاة أبي طالب).

(٣) التبيان للطوسي ١٠: ٤٢٧ (تفسير آية حمّالة الحطب)، بحار الأنوار ٨: ٢٧٩، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٥٤ – ٣٥٥ (ما أنزل الله في أبي لهب)، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ٤٦٤، باب ٣٤ (في خبر بعض المستهزئين).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٩١– ٢٩٢ (إسلام حمزة رضي الله عنه)، تاريخ الطبري ٢: ٧٢ – ٧٣ (ذكر إيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله وإسلام حمزة رضي الله عنه).

وقد بان لها استجابة الناس لدعوته المباركة. من هنا اقترح عتبة بن ربيعة ـ حين اجتمعت وجوه قريش ـ أن يذهب الى النبيّ (صلى الله عليه وآله) ليحدّثه كي يكفّ عن دعوته، فمشىٰ إليه والنبيّ (صلى الله عليه وآله) جالس ـ وحده ـ في المسجد، وامتدح النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومكانته في قريش وعرض عليه عروضه والنبيّ (صلى الله عليه وآله) ينصت مستمعاً فقال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتىٰ لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيّاً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه... ولما أتم كلامه قال(صلى الله عليه وآله): أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم ، قال (صلى الله عليه وآله): فاسمع مني ثم تلا قوله تعالى: ﴿**حم* تَنزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ...**﴾[1] واستمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) يقرأ الآيات الكريمة فانبهر عتبة لما سمع، وألقىٰ يديه خلف ظهره معتمداً عليها. ثم سجد رسول الله عند آية السجدة. ثم قال (صلى الله عليه وآله): **قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.**

فلم يستطع عتبة جواباً وقام إلى قومه فلما جلس إليهم قال: إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشّعر وبالسِّحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه.

---

(١) فصلت (٤١): ١ ـ ٥.

ولكن أنّىٰ للقلوب الميتة أن تستجيب فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم(١).

قريش تتّهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالسّحر:

أرادت قريش أن لا تختلف كلمتها ولا تفقد مكانتها في محاربة الرسالة الإسلامية وفي نفس الوقت أن تمنع تسرّب الرسالة الى نفوس الناس وموسم الحجّ يقترب فرأت أن تتخذ وسيلة تبدو فيها مكانتها في الوسط الوثني وتظهر فيها ضعف دور الرسول الجديد ومكانته فاجتمعوا الى الوليد بن المغيرة لكبر سنّه وسعة معرفته لاتخاذ قرار بذلك فاختلفت أقوالهم بين أن يدّعوا أنّه كاهن أو مجنون أو شاعر أو مريض تعتريه الوسوسة أو ساحر، ثم أرجعوا القول للوليد فقال: والله إنّ لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة وما أنتم بقائلين في هذا شيئاً إلّا عُرف أنّه باطل وإنّ أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر يُفرّق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه، فتفرّقوا يندسّون بين الناس يبثّون شائعتهم الخبيثة(٢).

قريش و تعذيب المؤمنين:

لقد عجزت قوىٰ الكفر والشرك أن تثني الرسول (صلى الله عليه وآله) وأصحابه عن الاستمرار في نشر الرسالة الإسلامية، مثلما عجزت عقولهم عن إدراك

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٩٣ - ٢٩٤ (قول عتبة بن ربيعة في رسول الله صلى الله عليه وآله)، تاريخ مدينة دمشق دمشق ٣٨: ٢٤٤-٢٤٥ (ترجمة عتبة بن ربيعة)، تفسير ابن كثير ٤: ٩٨ - ٩٩ (تفسير سورة فصّلت).

(٢) المصدر السابق.

التوحيد والإيمان، وراحت كل جهودهم لإيقاف الرسالة أو تشويهها سدىً فلم يجدوا بُدّاً من اتخاذ سبيل العنف والقسوة والتعذيب وسيلة لمحاربة أصحاب العقيدة الجديدة فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب وبفرض الجوع والعطش عليهم، محاولين أن يفتنوهم عن دينهم ورسالة محمّد(صلى الله عليه وآله) .

فهذا أُمية بن خلف كان يخرج بلالاً إلىٰ رمضاء مكّة إذا حميت الظهيرة ليمارس تعذيبه بأبشع صورة[1]، وهذا عمر بن الخطاب يعذب جارية له ـ لإسلامها ـ ضرباً حتىٰ إذا عجز قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلّا ملالة[2].

وهؤلاء بنو مخزوم كانوا يخرجون عمّاراً وأباه وأمه يعذبونهم في رمضاء مكّة فيمرّ بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول: «**صبراً آل ياسر موعدكم الجنّة**»، حتى بلغ من تعذيبهم أن استشهدت سمية أم عمار[3] على أيديهم فكانت أول شهيدة في الإسلام.

أساليب قريش لمواجهة الرسالة الخاتمة:

وإذا حاولنا أن نرسم صورة عامّة لأساليب قريش في مواجهة الرسالة ومواجهة الرسول ومواجهة أتباعه فنستطيع أن نلخّص مراحل المواجهة في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣١٧-٣٢٠، (ذكر عدوان المشركين علىٰ المستضعفين من المسلمين)، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ٣٥٧-٣٦١ (باب ١٥ في عدوان المشركين علىٰ المستضعفين ممن أسلم).

(٢) سيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) (سيرة ابن هشام) لابن إسحاق ١: ٢١١.

(٣) السيرة النبوية : ١ / ٣١٧ ـ ٣٢٠ .

ما يلي:

١ ـ كان الإستهزاء والسخرية بشخصية النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وإضعاف مكانته في نفوس الناس من أبسط الأساليب. وقد مارس هذا الدور الوليد بن المغيرة (والد خالد)، وعقبة ابن أبي معيط، والحكم بن العاص بن أمية، وأبو جهل.

ولكن التسديد الإلهي أحبط كل مساعيهم فقد قال القرآن الكريم:

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[(١)]، ثم قال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[(٢)].

٢ ـ إهانة شحض النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لإضعاف معنوياته. فقد روي أنّهم ألقوا الفرث والسلىٰ عليه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فغضب عمه أبو طالب حين علم بذلك وردّ الإهانة عليهم[(٣)]، ويعتبر موقف أبي جهل وردّ حمزة بن عبدالمطلب عليه شاهداً آخر على ذلك.

٣ ـ محاولات الإغراء بالملك والسيادة وبذل الأموال الطائلة له.

٤ ـ الإتهامات الباطلة: بالكذب والسحر والجنون والشعر والكهانة. وقد تحدّث القرآن عن كلّ ذلك.

٥ ـ الطعن في القرآن الكريم، فقد اتهموا النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بتقوّله وافترائه على الله فتحدّاهم القرآن بأن يأتوا بمثله. على أن النبيّ كان قد أمضىٰ عمراً بينهم لم يعرف بما اتّهموه به.

٦ ـ إستخدام أُسلوب التعذيب وقتل المؤمنين برسالته.

---

(١) الحجر (١٥): ٩٥.

(٢) الأنعام (٦) : ١٠.

(٣) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٢٠ (فصل ٥ في ذكر مالقي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من المشركين)، بحار الأنوار ١٨: ٢٠٩.

٧ ـ الحصار والمقاطعة الشاملة.

٨ ـ التخطيط لقتل صاحب الرسالة[١].

وقد تصدّىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) لكل هذه الأساليب بما يحقق للرسالة أهدافها مسدّداً بالوحي الذي كان يرعىٰ حركة الرسول(صلى الله عليه وآله) خير رعاية.

الهجرة الى الحبشة وإيجاد قاعدة آمنة للدّعوة:

لقد أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد عامين من الجهر بالرسالة أن لا قدرة له على حماية المسلمين من العناء الذي يصيبهم من طغاة قريش وزعماء الوثنية.

وحيث اشتدَّ العنف من المشركين وصناديدهم تجاه المستضعفين من المسلمين حثّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسلمين المضطهدين على الهجرة إلى الحبشة ليعطيهم بذلك فترة استراحة واستعادة نشاط ليعودوا ثانية لمواصلة مسيرة الدّعوة إلى الرسالة الإسلامية أو يفتحوا جبهة جديدة للصراع مع قريش بعد إيجاد مركزٍ للضغط من خارج الجزيرة على مواقع قريش عسىٰ الله أن يحدث ـ خلال ذلك ـ أمراً كان مفعولاً إذ أخبرهم الرسول(صلى الله عليه وآله) «أن في الحبشة ملكاً لا يُظلم عنده أحد» فاستجاب المسلمون لذلك وتسلل عدد منهم باتّجاه الساحل فعبروا البحر، غير أنّ قريشاً لاحقتهم ولكن لم يدركهم طلبها وتتابع المهاجرون منفردين أو مع أهليهم، حتىٰ اجتمع بأرض الحبشة بضعة وثمانون مهاجراً عدا أبنائهم الصغار وأمَّر رسول الله (صلى الله عليه وآله)

---

(١) راجع الأنفال (٨) : ٣٠.

عليهم ابن عمّه جعفر بن أبي طالب(١).

لقد كان اختيار الحبشة داراً للهجرة خطوة موفقة من خطوات الرسول القيادية نظراً للصفة التي وصف بها ملكها في الحديث المروي عن النبيّ(صلى الله عليه وآله)، وتيسّر السفر إليها بالسفن، فضلاً عن العلاقات المذهبية الطيبة التي أرادها الإسلام أن تكون بين الإسلام والنصرانية.

وقد أقلق قريشاً أمر الهجرة إلى الحبشة، فخشيت العاقبة وساءها أن يأمن حَمَلَة الرسالة الإسلامية هناك، فأرسلت عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي وحمّلتهما الهدايا في محاولة منها لإقناع النجاشي بالتخلي عن جوارهم وإعادتهم إليها، واستطاعا أن ينفذا إلى بطارقة الملك وإقناعهم بضرورة مساعدتهم لاسترداد المسلمين، لكن الملك أبىٰ ذلك إلّا بعد أن يسمع رأي المسلمين في التهمة الموجهة إليهم بأنهم قد ابتدعوا ديناً جديداً لهم.

وشملت العناية الإلهية ذلك اللقاء، فقد انبرىٰ جعفر بن أبي طالب ليجيب بكلام رائع ينفذ إلى قلب النجاشي عن ماهية الدين الجديد فيزداد اقتناعه بحمايتهم. وكانت كلمات جعفر بن أبي طالب كالصاعقة على رؤوس الوفد القرشي الذي لم تنفعه هداياه لإنجاح خطته الشيطانية، وأصبحوا في موقف الذليل أمام النجاشي في الوقت الذي سطع فيه نجم المسلمين وقويت حجتهم مما دلّ على عظيم أثر التربية التي كان قد بذلها رسول الله (صلى الله عليه وآله)

---

(١) راجع مجمع البيان ٣: ٤٠٠ (في تفسير سورة المائدة)، بحار الأنوار ١٨ : ٤١٢، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٢٥٨ و٢٩٣ (باب الهجرة الى الحبشة الأُولىٰ ثم الثانية)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٨٥ – ٨٦ (باب هجرة أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) الىٰ الحبشة).

للنهوض بالإنسان في الفكر والمعتقدوالسلوك، فلم يهتز المسلمون ثانية عند ما حاول وفد قريش أن يثير فتنة عمّا جاء به القرآن حول عيسى (عليه السلام)، ولكن النجاشي قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم آمنون، عندما سمع آيات الله يردّدها جعفر بن أبي طالب ردّاً علىٰ سؤاله(١).

وأيقنت قريش بفشل مساعيها لاسترداد المسلمين حين عاد إليها وفدها خائباً، وقرّر زعماؤها أن يضيّقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل والمشرب وأن يحظروا كل أنواع التعامل الإجتماعي معهم حيث لم يتخلّ أبو طالب وبنو هاشم عن نصرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ودعمه الشامل لرسالته.

محاصرة قريش الظالمة لبني هاشم:

ولمّا لم يستجب أبو طالب لأهواء قريش، وأصرّ على حماية الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) مهما كان الثمن باهضاً، كتبت قريش صحيفتها الظالمة(٢) بالمقاطعة الشاملة في البيع والشراء والمخالطة والزواج.

ووُقّعت الصحيفة من قبل أربعين زعيماً من زعماء قريش.

وعمد أبو طالب إلى الشِعب مع ابن أخيه وبني هاشم وبني المطلب حيث كان أمرهم واحداً. وقال: **نموت من عند آخرنا قبل أن يوصل إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله)** ، وخرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم علىٰ بني المطلب،

(١) راجع إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١١٥–١١٩ (فصل ٤ في ذكر الهجرة الىٰ الحبشة)، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٣٥ – ٣٣٧ (إحضار النجاشي المهاجرين)، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٢٩٣ – ٢٩٥ (باب الهجرة الىٰ الحبشة الأُولى ثم الثانية) .

(٢) قال السيّد محسن الأمين: إنّ الصحيفة الظالمة كتبت في غرّة محرم من السنة السابعة للبعثة.[أعيان الشيعة ١: ٢٣٥ سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله] .

ودخل الشعب من كان من هؤلاء مؤمناً كان أو كافراً.

وكان لا يصل إلى المسلمين خلالها شيء إلّا سرّاً، يحمله إليهم مستخفياً من أراد مساعدتهم من قريش بدافع من عصبية أو نخوة أو عطف.

الإرادة الإلهية تنهي الحصار الظالم:

وبعد أن مضت علىٰ المقاطعة ثلاث سنين وقاسى خلالها المسلمون والنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) آلاماً قاسية من الجوع والعزلة والحرب النفسية، أرسل الله دودة الأرضة على صحيفتهم المعلقة في جوف الكعبة فأكلتها جميعاً غير كلمة «باسمك اللهم».

وأنبأ الله رسوله (صلى الله عليه وآله) فأخبر عمه أبا طالب بالأمر فخرج مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى المسجد الحرام فاستقبله وجهاء قريش ظناً منهم بأن الإستسلام يقودهم الى التخلّي عن موقفهم من الرسالة فقال لهم أبو طالب: إن ابن أخي أخبرني بأن الله قد سلّط علىٰ صحيفتكم الأرضة فأكلتها غير إسم الله، فإن كان صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم... قالوا: قد أنصفتنا، ففتحوها، فوجدوا الأمر كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنكسوا رؤوسهم حياءً وخجلاً لما حلّ بهم[1].

وروي أيضاً أن بعض رجال قريش وشبابها ساءهم أمر القطيعة ومعاناة

---

(١) راجع المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٦٣ - ٦٦ (فصل في إستظهاره صلى الله عليه وآله في أبي طالب عليه السلام)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٢٥-١٢٩ (فصل ٦، ذكر إسرائه صلى الله عليه وآله ودخوله بعد ذلك الشعب)، بحار الأنوار ١٩: ١ - ٤ / ح ١، الطبقات الكبرىٰ ١: ٢٠٨-٢١٠ (ذكر حصر قريش رسول الله صلى الله عليه وآله)، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٣١١ ٣١٤ (باب دخول النبيّ صلى الله عليه وآله الشِعب)، الكامل في التاريخ ٢: ٨٧-٨٩ (ذكر أمر الصحيفة).

بني هاشم من المتاعب والشدائد في الشعب فتعاقدوا فيما بينهم لتمزيق الصحيفة وإنهاء المقاطعة وواجهوا المتعنتين منهم، ففتحوا الصحيفة فوجدوا حشرة الأرضة قد أكلتها[١].

ومهما كان فإن قريشاً قد أخزاها الله مرة اُخرىٰ ولكنها لم ترتدع عن عداوتها للرسول والرسالة.

المسلمون بعد الحصار الظالم:

وفي السنة العاشرة من البعثة خرج المسلمون من الحصار وهم أصلب عوداً وأغنىٰ تجربة وأكثر قدرة علىٰ التحرك صوب الهدف الذي آلوا علىٰ أنفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب. وكان من أثر الحصار أن اشتهر ذكر الإسلام والمسلمين وانتشر في كل أرجاء الجزيرة العربية وكانت أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مهام صعبة، منها: الإنفتاح بصورة أوسع خارج نطاق مكّة، ومحاولة إيجاد أكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله الرسالة الإسلامية.

الرسول والرسالة في عام الحزن

ولكن الرسالة الإسلامية تعرضت لأخطر محنة في مسيرتها في مكّة عندما توفّي أبو طالب رضوان الله تعالى عليه، حيث كان سندها الإجتماعي الأوّل والمدافع القوي عن الرسول والرسالة، وبعده بأيام توفيت اُمّ المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) ثاني سندي الرسول(صلى الله عليه وآله). ولشدة تأثير الحادثتين على

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١:٣٦٧ (ما حدث بين هشام و بين أبي جهل)، الكامل في التاريخ ٢: ٨٩ (ذكر أمر الصحيفة).

النبيّ(صلى الله عليه وآله) وعلى مسيرة الرسالة الإسلامية سمّىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك العام بـ «عام الحزن»، وصرّح قائلاً: **«مازالت قريش كاعّة عنّي حتىٰ مات أبو طالب»**[١].

ومن جرأة قريش على النبيّ (صلى الله عليه وآله) عندذاك أن قام أحدهم ونثر التراب على رأسه الشريف وهو مارّ إلى بيته. فقامت إليه ابنته فاطمة (عليها السلام) لتنفض التراب عنه وهي تبكي فقال لها (صلى الله عليه وآله): **«يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك»**[٢].

الرعاية الإلهية للرسول والرسالة والانفتاح على العوالم الأُخرى:

وفي هذه الفترة كانت حادثة الإسراء والمعراج تثبيتاً للرسول (صلى الله عليه وآله) على طريق المقاومة الطويل، وتكريماً له في أعقاب سنين طويلة من العمل والصمود، وتتويجاً لهذه المصاعب والآلام المريرة مع قوىٰ الشرك والضلالة، رفعه الله إلى قلب السموات، ليريه جوانب من عظمة ملكه الباهرة في الكون الشاسع وليطلعه علىٰ أسرار الخليقة ومصير الإنسان الصالح والطالح.

وفي الوقت نفسه كانت بمثابة امتحان لقدرات أصحابه على تصور المدىٰ الذي يكافحون فيه مع رسولهم وقائدهم من أجل إبلاغ الرسالة وبناء الإنسان الصالح، وإبتلاءاً صعباً لأصحاب النفوس الضعيفة.

ولم تستطع قريش المشركة أن تدرك المعاني السامية في أمر الإسراء فما حدّثهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذلك حتى راحوا يسألون عن الصورة المادية

---

(١) كشف الغمة ١: ١٦ (ذكر مدة حياته «صلى الله عليه وآله»)، بحار الأنوار ٢٢: ٥٣٠/ح ٣٦، مستدرك للحاكم٢: ٦٢٢ (ذكر الهجرة الأولىٰ)، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٩ (ترجمة أبي طالب). (وكاعة بمعنىٰ وكع عنه:إذ اصابه وجبن، راجع الفائق للزمخشري ٣: ٦١٨ (مادة وكع).

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٨ (ذكر ما جرىٰ عليه صلى الله عليه وآله بعد البعثة)، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٨ (ترجمة أبي طالب).

من أمر الإسراء وإمكانية تحققها والأدلة عـلى ذلك ـ فـقال بـعضهم: والله إن العِير لتطّرد شهراً من مكّة إلى الشام مدبرة وشهراً مقبلة، أيذهب محمد ذلك في ليلة واحدة ويرجع؟!

ووصف لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسجد الأقصىٰ وصفاً دقيقاً، وذكر لهم أنّه مرّ بقافلة وهم يطلبون بعيراً قد ضلّ لهم، وفي رحلهم قعب ماء كان مكشـوفاً وقد غطّاه كما كان.

وسألوه عن قافلة أُخرىٰ فقال: مررت بها بـالتنعيم، وبـيّن لهـم أحـمالها وهيئاتها وقال: يقدمها بعير بصفة كذا وسيطلع عليكم عـند طـلوع الشـمس. فجاء كل ما قاله صحيحاً كما أخبر به[١].

وصدق الله حيث يقول: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَىٰ ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢] .

كما صدّق في قوله عزّ من قائل: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ* وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ* عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ* وَهُوَ بِالأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ* مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ* أَفَتُمارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ* عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ* عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ* إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ* مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ* لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[٣]

* * *

---

(١) راجع السير النبوية لابن هشام ١: ٣٩٨-٣٩٩ و٤٠٢ - ٤٠٣ (ذكر الإسراء والمعراج).
(٢) الإسراء (١٧) : ١ .
(٣) النجم (٥٢) : ١ ـ ١٨ .

الفصل الرابع

سنوات الانفراج حتى الهجرة

الطائف ترفض الإنصياع للرسالة الإسلامية[1]

أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أذىٰ قريش سيزداد ، وأن خطط المشركين ومساعيهم للقضاء علىٰ الرسالة لن تتوقف، فقد زال غطاؤها الأمني بوفاة أبي طالب(رضوان الله تعالىٰ عليه) ولابدّ للرسالة الإسلامية أن تنفتح على مساحة أوسع من شعاب مكّة وضواحيها ليستطيع الرسول أن يبني الإنسان الرسالي ويهيّئ القاعدة اللازمة التي تتوفر فيها معالم الإستقرار ويطبّق فيها النظام الإسلامي الذي يمارس في ظلّه الفرد المسلم حياته الحرّة وينظّم فيه علاقاته مع ربه ومع الناس ولينطلق بعد ذلك إلى بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية وفق تعاليم السماء .

من هنا وقع اختياره علىٰ الطائف حيث تقطن ثقيف كبرىٰ القبائل العربية بعد قريش.

ولما انتهىٰ إليها بمرافقة زيد بن حارثة أو بمرافقة زيد وعلي[2]، عمد

---

(١)كان خروجه (صلى الله عليه وآله) إلى الطائف لليالٍ بقين من شوال سنة عشر من البعثة، الطبقات الكبرىٰ ١: ٢١١ (ذكر سبب خروجه صلى الله عليه وآله إلى الطائف).

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٤ / ١٢٧ و ١٤ / ٩٧ .

إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادتها وأشرافها، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وعرض عليهم المهمة التي جاء من أجلها وهي أن ينصروه في دعوته ويمنعوه من قومه فلم يعبأوا لدعوته وردوا عليه ساخرين فقال أحدهم: إنني أمزق ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال آخر: والله لا أكلمك أبداً ولئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. وردّ الآخر قائلاً: أعجزٌ على الله أن يرسل غيرك؟!.

بعد هذا الرد الجاف والعنيف قام (صلى الله عليه وآله) من عندهم لينصرف ولكن طلب منهم أن يكتموا ما جرىٰ بينه وبينهم؛ كراهيّة أن يبلغ قريش ذلك فيجرّئهم عليه. لكن زعماء ثقيف أغروا به سفهاءهم وعبيدهم فأخذوا يسبّونه ويصيحون به، ويرمونه بالحجارة، فلم يكن يرفع قدماً ويضع أُخرىٰ إلّا علىٰ الحجارة حتىٰ اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة ـ وكانا هناك ـ فتفرق عنه سفهاء الطائف، وقدماه تنزفان دماً، فعمد إلى ظل كرمة ونادىٰ ربّه: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني علىٰ الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أُبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي**».

ولم يلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا التفاتة عطف من رجل نصراني ضعيف وجد في رسول الله ملامح النبوة[1].

(١) راجع إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٣٣-١٣٤ (فصل ٧ في عرض نفسه صلى الله عليه وآله على القبائل)، بحار الأنوار ١٩: ٦ - ٧ / ح ٥، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤١٩ - ٤٢١ (سعي الرسول إلى ثقيف)، تاريخ الطبري ٢: ٨٠ - ٨١ (ذكر الخبر عمّا كان من أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بأكرامه بالوحي).

وحين انصرف رسول الله من الطائف راجعاً الى مكّة بعد أن يئس من خير ثقيف وكان محزوناً حيث لم يستجب له أحد فنزل نخلة (بين مكّة والطائف). وفي جوف الليل وحين كان يصلّي مرّ به نفر من الجن واستمعوا للقرآن فلمّا فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين بعد أن آمنوا به وأجابوا إلى ما سمعوا[١].

وقصّ الله خبرهم عليه قائلاً: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنذِرِينَ* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

الإنفتاح على الرسالة والعقبات في مكّة :

لقد كانت حركة الرسول(ﷺ) جهاداً رسالياً متكاملاً، وكان منطقه وسلوكه وخلقه منطلقاً من الفطرة السليمة والأخلاق السامية، يناشد الحق في النفوس ليحييها ويدعو إلى الفضيلة لتنعم البشرية بها ولهذا لم ييأس الرسول(ﷺ) رغم اضطهاد قريش له ولأصحابه ورغم قسوتها معه وصدود الطائف وجفوتها، فكان يتحرك بين الناس ويدعو الجميع إلى دين الله ولا سيّما في مواسم العمرة والحج حيث تتوفّر فيهما فرص تبليغية عظيمة فكان (ﷺ) يقف على منازل القبائل من العرب ويقول: «**يا بني فلان إني رسول**

(١) السيرة النبوية لابن هشام٢: ٤٢١ - ٤٢٢ (أمر الجن)، الطبقات الكبرىٰ ١: ٢١٢ (ذكر سبب خروجه ﷺ إلىٰ الطائف).
(٢) الاحقاف (٤٦): ٢٩ - ٣١.

الله إليكم يأمركم أن تعبدوا إليه ولا تشركوا به شيئاً وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتىٰ أُبيّن عن الله ما بعثني به».

وكرّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مساعيه بالتحرّك على عدة قبائل غير آبهٍ بما كان يلاقي من ردّ قاس أو اعتذار جميل. علىٰ أن بعضهم وجد في الإنتماء إلى الإسلام مشروعاً سياسياً لبلوغ السلطان فحاول أن يساوم النبيّ ، ولكن رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يردّهم بلسان لا يعرف المساومة والتخاذل ولا يعرف انتهاز الفرص علىٰ حساب المبادئ فكان يقول (صلى الله عليه وآله): **«الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء».**

وفي أثناء ذلك ربما كان يمشي «أبو لهب» خلف النبيّ (صلى الله عليه وآله) يثبّط الناس عن متابعته فيقول: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزىٰ من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه[1].

وفي جانب آخر كانت أُمّ جميل تقوم في وسط النساء فتسخر من النبيّ(صلى الله عليه وآله) ودعوته المباركة لتمنع النساء من متابعته.

ولم يتيسر للنبي (صلى الله عليه وآله) إقناع القبائل بالرسالة الإسلامية إذ أن قريشاً كانت تتمتع بالمكانة الدينية من بين القبائل الأُخرىٰ لما كانت تقوم به من سدانة البيت الحرام كما أنّها كانت تدير مركزاً تجارياً واقتصادياً مهمّاً في الجزيرة العربية وكانت لقريش أيضاً شبكة من العلاقات والأحلاف مع ما كان يحيط بها من القبائل الأُخرىٰ التي كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد عرض عليهم دعوته، فكان

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٢٣- ٤٢٥ (عرض نفسه صلى الله عليه وآله علىٰ القبائل)، تاريخ الطبري ٢: ٨٣ - ٨٤ (ذكر الخبر عمّا كان من أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بإكرامه بالوحي)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ١٧٠-١٧١ (عرض نفسه صلى الله عليه وآله علىٰ القبائل).

من الصعب كسر كل تلك القيود وإلغاء هيمنة قريش فكان تردد الناس في قبول الرسالة الإسلامية واضحاً، وخشيت قريش رغم ذلك من تحرّك النبيّ (ﷺ) واستقواء دعوته فالتجأت إلى أُسلوب ماكر لإقناع العقول الوثنية كي تمنعها من الاستجابة لدعوته فقرّرت نشر دعاية السحر فأخذوا يقولون: إنه ساحر في بيانه يفرّق بين المرء وزوجه وبين الإنسان وأخيه. ولم تفلح قريش في مسعاها حين كانت تنكشف عظمة الرسول والرسالة لكل من كان يلتقي بالنبي (ﷺ)[1].

بيعة العقبة الأُولى :

كان النبيّ (ﷺ) لا يتوانى في السعي لنشر الرسالة الإسلامية ولا يزهد في دعوة أي عنصر يرىٰ فيه الأمل والخير أو يتوسّم فيه التأثر بالدعوة ممّن كان يقدم الىٰ مكّة لحاجة ما.

وقد كانت مدينة يثرب تعيش صراعاً سياسياً وعسكرياً بين أقوىٰ قطبين فيها وهما الأوس والخزرج، وكان يؤجج هذا الصراع عناصر من اليهود ـ بخبثهم ودسائسهم ـ في جوٍ من ضياع القانون الإلهي.

والتقىٰ النبيّ (ﷺ) مع بعض شخصيات يثرب ممن جاء يبحث عن تحالف مع قريش يزيد قوته، فما برحوا حتى تغلغل خبر الرسالة إليهم وجدوا صدق النبوة في نفوسهم، ففي إحدىٰ اللقاءات تحدث النبيّ (ﷺ) إلى

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٢٧٠ (تحير الوليد)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٧٩ (مجادلة المشركين رسول الله ﷺ)، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ٣٣٥ (باب ٩: إرسال قريش عتبة لرسول الله ﷺ).

جماعة من بني عفراء ـ وهم ينتسبون إلى الخزرج ـ فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم شيئاً من القرآن، فوجد في عيونهم التجاوب وفي قلوبهم اللهفة لسماع المزيد من الآيات... وتأكدوا من حديث النبيّ(صلى الله عليه وآله) أنه هو النبيّ الذي كان يقصده اليهود حينماكانوا يتوعدون به المشركين في يثرب كلماكان يقع شرّ بينهم فكانوا يقولون لهم: إن نبياً قد بعث الآن وقد أطلّ زمانه وسنتبعه ونقتلكم قتل عاد وإرم.

فأعلن اليثربيّون في الحال إسلامهم وكانوا ستة أشخاص وقالوا للنبيّ(صلى الله عليه وآله): إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم وعسىٰ الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك وإلى الدين الذي أجبناك عليه.

ثم انصرفوا راجعين إلىٰ يثرب وشرعوا يتحدّثون عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) وعن الرسالة الإسلامية وعن الأمل القادم لبناء حياة يسودها الأمن والسعادة، حتىٰ فشا أمر الرسالة الإسلامية بينهم ولم يبق دار من دور يثرب إلّا وفيها ذكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله)(١).

وما أسرع ما انقضت الأيّام، فلماكان موسم الحج للعام الحادي عشر من البعثة النبوية قدم وفد من أوس يثرب وخزرجها ـ وهم اثنا عشر رجلاً ـ من بينهم الستة الذين كانوا قد أسلموا من قبل والتقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) سراً في العقبة ـ وهي المنفذ الذي يجتازه القادمون من يثرب صوب مكّة ـ وأعلنوا

(١) راجع المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨١ (فصل في هجرته صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ١٩: ٢٥/ ح ١٥، الطبقات الكبرىٰ ١: ٢١٧-٢١٩ (ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله الأوس والخزرج)، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٤٣٠ – ٤٣١ (باب ذكر العقبة الأُولىٰ).

هذه المرة بيعتهم للنبيّ (صلى الله عليه وآله) على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف[١] .

ولم يشأ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يحمّلهم أكثر من ذلك، ولكن أرسل معهم إلى يثرب الشاب المسلم المجاهد مصعب بن عمير وذلك لكي يتولّىٰ شؤون التبليغ والتثقيف العقائدي بينهم، وهكذا تمّت بيعة العقبة الأُولى.

بيعة العقبة الثانية :

تحرّك مصعب بين أزقّة يثرب وفي مجتمعاتها يتلو آيات الله ويحرّك الأفئدة والعقول بالقرآن حتىٰ آمن بالرسالة الإسلامية عدد كبير من الناس.

وقد أحدث الإسلام في النفوس شوقاً كبيراً للقاء النبيّ(صلى الله عليه وآله) والتزوّد من معينه واشتدّت المطالبة بهجرة النبيّ(صلى الله عليه وآله) إليهم.

وعندما اقترب موسم الحج من السنة الثانية عشرة من البعثة خرجت وفود الحجيج من يثرب ومعها وفد المسلمين البالغ ثلاثة وسبعين رجلاً وإمرأتين فواعدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يلتقي بهم عند العقبة ـ وذلك في جوف الليل فى أواسط أيام التشريق ـ متكتّمين من قريش.

وما أن مضىٰ من الليل ثلثه وفي غفلة عن العيون حتى تسلل المسلمون اليثربيّون من أخبيتهم واجتمعوا في انتظار رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء ومعه بعض

---

(١) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٤١-١٤٢ (فصل ٧ ذكر عرض نفسه صلى الله عليه وآله على القبائل)، المناقب لابن شهر أشوب ١: ١٨١ – ١٨٢ (فصل في هجرته صلى الله عليه وآله)، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٣٣ (عهد رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ مبايعي العقبة)، دلائل النبوة للبيهقي ٢:٤٣٦ (باب ذكر العقبة الأُولى).

أهل بيته فبدأ الإجتماع وتكلم القوم، ثم تحدث رسول الله (ﷺ) فتلا شيئاً من القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام.

وتمّت البيعة هذه المرّة صريحة واضحة مكتملة على كلّ جوانب الإسلام وأحكامه وفي السلم والحرب معاً. فقال (ﷺ): **أُبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.** فقاموا وبايعوا رسول الله (ﷺ).

ولكن ظهر شعور بالقلق من جانب مسلمي يثرب فقال أبو الهيثم ابن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال ـ يعني اليهود ـ حبالاً وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم الرسول (ﷺ) وقال: بل الدم الدم، والهدم الهدم،اُحارب من حاربتم واُسالم من سالمتم.

ثم إنَّ رسول الله (ﷺ) قال: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا علىٰ قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فقال لهم رسول الله (ﷺ): **أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسىٰ بن مريم وأنا كفيل علىٰ قومي**[١].

وبالإرشاد الحكيم والاستخدام الحصيف لكل الإمكانات وبالوعي السياسي العميق خطا الرسول (ﷺ) بالرسالة الإلهيّة نحو الأمام يسدده الوحي الإلهي في كل ذلك، وأذن (ﷺ) للمبايعين أن يعودوا إلىٰ رحالهم من دون أن يواجهوا المشركين بالقوة إذ لم يأذن الله له بالقتال.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨١-١٨٢ (فصل في هجرته ﷺ)، بحار الأنوار ١٩: ٢٥ - ٢٦/ ح١٥، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٣٨ (ذكر أمر العقبة الثانية)، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٤٤٦ - ٤٤٨ (باب ذكر العقبة الثانية)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ١٩٢-١٩٣ و ١٩٦ (قصة العقبة الثانية).

وأدركت قريش بوادر الخطر المحدق بها من نصرة مسلمي يثرب للنبي (ﷺ) فأقبلوا والشر والغضب يتملّكانهم كي يحولوا بين النبيّ (ﷺ) والمسلمين لكن حمزة وعليّاً(رضي الله عنهما) كانا بوّابة الأمان لاجتماع العقبة فرجعت قريش خائبة منكسرة(١).

الاستعداد للهجرة الى يثرب :

لقد انتبهت قريش وخرجت من غفلتها في وقت انفتاح باب الرجاء بالغلبة في وجه المسلمين، فراحت تزيد من استخدام القسوة والتنكيل والاضطهاد للمسلمين في محاولة منها للقضاء عليهم قبل استفحال الأمر، فشكا المسلمون ذلك لرسول الله(ﷺ) واستأذنوه للخروج من مكّة فاستمهلهم أياماً ثم قال: «**لقد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها**»(٢).

وفي رواية قال لهم: «**إنّ الله قد جعل لكم داراً تأمنون بها وإخواناً**»(٣).

وشرع بعض المسلمين يخرجون من مكّة إلى يثرب سرّاً كي لا يثيروا هواجس قريش، وبدأت طرقات مكّة وبيوتها ونواديها تشهد يوماً بعد يومٍ غياباً مستمراً لأصحاب رسول الله (ﷺ).

وأمّا هو فكان ينتظر الأمر الإلهي بالهجرة وليضمن سلامة ودقة هجرة

---

(١) تفسير القمي: ١ / ٢٧٢ – ٢٧٣ (تفسير آية ٣٠ من سورة الأنفال).

(٢) الطبقات الكبرى: ١ / ٢٢٦، (ذكر إذنه ﷺ بالخروج).

(٣) مناقب آل أبي طالب: ١ / ١٨٢ (فصل في هجرته ﷺ)، السيرة النبوية لابن هشام٢: / ٤٦٨ (ذكر إذنه ﷺ لمسلمي مكّة بالهجرة).

المسلمين.

وأدركت قريش هدف النبيّ (صلى الله عليه وآله) وخطته فسعت إلى منع المسلمين من الخروج من مكّة ولاحقت المهاجرين مستخدمة أساليب الإغراء والتعذيب لإعادتهم إلىٰ مكّة.

وكانت قريش حريصة في أن يبقىٰ الأمن سائداً في مكّة إذ كانت تخشىٰ عواقب قتل المهاجرين ولا تريد وقوع الحرب بينها وبينهم فاكتفت بالتعذيب والحبس للمسلمين.

نعم كانت قريش تحسب ألف حساب لخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى يثرب فقد أصبح للمسلمين اليد العليا هناك فإذا لحق بهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو المعروف بالثبات وحسن الرأي والتدبير والقوة والشجاعة حينئذٍ سوف تحل الكارثة بالمشركين عامة وبقريش بشكل خاص.

وسارع رؤساء قريش لعقد اجتماع لهم في دار الندوة للبحث عن حلٍّ يواجهون به الخطر المحدق بهم فتعددت الآراء وتضاربت وكان من بين الحلول المقترحة حبسه وتكبيله بالأغلال أو نفيه بعيداً عن مكّة في مكان منقطع من الصحراء النائية، ولكن رأياً بقتله وتفريق دمه بين القبائل ـ لتعجز بنو هاشم عن المطالبة بدمه ـ هو الذي حاز الموافقة والإعجاب[١]، فإنهم إن قتلوا الرسول(صلى الله عليه وآله) فقد قضوا على الرسالة الإسلامية وهي في مهدها.

وجاء الأمر الإلهي يأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتحرك والهجرة الى يثرب

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٤٨٠ – ٤٨٢ (ذكر اجتماع الملأ من قريش)، الطبقات الكبرى: ١ / ٢٢٧، (ذكر خروجه صلى الله عليه وآله للهجرة).

وكانت من الله تعالىٰ تلك الإشارة التي كان ينتظرها الرسول (صلى الله عليه وآله) بشوق بالغ ليحطّ قدمه على أرض يتمكن فيها من بناء دولة على أعمدة التقوىٰ وتعاليم السماء وإنشاء المجتمع الإنساني الصالح.

وبعد أن دبّر المشركون خطّتهم وأحكموها نزل أمين الوحي «جبرئيل» على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخبره بما حاكه المشركون ضدّه من مؤامرة إذ تلا عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾[1].

ورغم يقينه الكامل بأن الإمداد الغيبي يرعاه ويسدّد خطاه لم يتعجّل الحركة، ولم يرتجل الخطوات بل خطّط ودبّر ببصيرة وحنكة وسرّية تامّة.

المؤاخاة قبل الهجرة:

لقد آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين المؤاخاة الأُولىٰ كنقطة انطلاق نحو المجتمع الإسلامي المتماسك يتعاونون فيما بينهم كجسد واحد لمصلحة الإسلام وإعلاء كلمة الله حيث سيواجه المسلمون مصاعب جمّة يتطلّب تجاوزها التعاون والتعاضد بأعلىٰ مراتبه.

وكخطوة أولىٰ في طريق الهجرة المباركة آخىٰ ـ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين بعلاقة إيمانية إلهية على الحق والمؤاساة ـ مؤاخاة ينعكس أثرها علىٰ التعامل فيما بينهم بالانسجام والصمود بعيداً عن النوازع النفسية، فلقد آخى (صلى الله عليه وآله) بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين الزبير

(١) المناقب: ١ / ١٨٢ ـ ١٨٣ (فصل في هجرته صلى الله عليه وآله)، الأنفال: ٨ / ٣.

وابن مسعود وبين عبيدة بن الحارث وبلال.

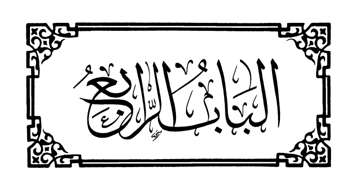
كما آخى بين علي(عليه السلام) ونفسه الشريفة (صلى الله عليه وآله) ... وقال لعلي (عليه السلام): **أما ترضىٰ أن أكون أخاك؟** قال (عليه السلام): **بلىٰ يا رسول الله رضيت**[١].

وهنا قال الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله): **فأنت أخي في الدنيا والآخرة**[٢].

* * *

(١) السيرة الحلبية ٢: ٢٠ (باب عرض نفسه صلى الله عليه وآله على القبائل).

(٢) مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ٣٠٦ (باب ذكر مؤاخاة النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام) ح ٢٢٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٩٦ (ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام)، سبل الهدىٰ والرشاد ٣: ٣٦٣ (باب ٥ في مؤاخاة النبيّ صلى الله عليه وآله بين أصحابه).



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

تأسيس الدولة الإسلامية الأُولىٰ

الفصل الثاني :

الدفاع عن كيان الدولة الفتيّة

الفصل الثالث :

تظاهر قوىٰ الشرك والرد الإلهي الحاسم

الفَصلُ الأوّلُ

تأسيس الدولة الإسلامية الأُولىٰ

١ ـ الهجرة إلى يثرب :

لكي تتكامل حركة الرسالة وتتحقق للنبوّة أهدافها الربّانية المنشودة لابد أن تسدد وتؤيد بقوى الخير وعناصر تملك اليقين اللازم بالعقيدة وتؤثر العقيدة على نفسها وتستعد للتضحية على الدوام مع مؤهلات تصونها من الإنحراف.

لقد كان علي بن أبي طالب(عليه السلام) ذلك العنصر الفذّ الذي قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**يا علي إنّ قريشاً اجتمعت علىٰ المكر بي وقتلي وإنه أوحي إليّ عن ربي أن أهجر دار قومي، فنَم على فراشي والتحف ببردي الحضرمي لتخفي بمبيتك عليهم أثري فما أنت قائل وصانع؟**»

فقال عليّ(عليه السلام): أَوَ تَسلَمنَّ بمبيتي هناك يا نبي الله؟

قال: **نعم**، فتبسم علي (عليه السلام) ضاحكاً مسروراً وأهوىٰ إلى الأرض ساجداً شاكراً لله تعالى لما أنبأه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سلامته وقال (عليه السلام): **إمض لما أُمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي**[1].

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٥ ـ ٤٦٦ / ح ١٠٣١، المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨٣ (فصل في هجرته صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ١٩: ٦٠/ح ١٨. و قد أورده البعض بألفاظ مختلفة ومختصرة.

←

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد منتصف الليل من داره تحيط به العناية الإلهية مخترقاً طوق قوات الشرك المحيطة بداره تاركاً عليّاً في فراشه.

وكم كانت خيبة أعداء الله حين اقتحموا دار النبيّ (صلى الله عليه وآله) صباحاً شاهرين سيوفهم تفوح منها رائحة الموت، ويفيض الحقد من وجوههم يتقدمهم خالد بن الوليد، فوثب علي(عليه السلام) من مضجعه في شجاعة فائقة فارتدّ القوم على أدبارهم وتملّكتهم دهشة وذهول وهم يرون فشل تخطيطهم وخيبة سعيهم وفقدانهم للرسول(صلى الله عليه وآله).

وتوسّلت قريش بكلّ حيلة لتردّ هيبتها الضائعة لعلّها تدرك محمداً(صلى الله عليه وآله) فأرسلت العيون، وركبت في طلبه الصعب والذلول حتّى وضعت مائة ناقة جائزة لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً. وقادهم الدليل الحاذق مقتفياً أثر قدم الرسول(صلى الله عليه وآله) إلى باب غار ثور فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمّد ومن معه هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا في الأرض.

وفي داخل الغار كان صاحب النبيّ(صلى الله عليه وآله) قد غلب عليه الخوف وهو يسمع صوت رجال قريش تنادي: اُخرج يا محمد، ويرىٰ أقدامهم تقترب من باب الغار ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ﴿لَاتَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[١] .

وعادت عيون قريش خائبة لأنّها لا تعلم أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الغار بعد أن رأت العنكبوت قد نسج بيته علىٰ باب الغار وعندها بَنت الحَمامة عُشّها وباضت فيه[٢].

← راجع مسند أحمد ١: ٣٣١ (ما أسند عن عبدالله بن عباس)، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٦٣ (قول النبيّ إنّ الله لا يخزي عليّاً أبداً)، المستدرك للحاكم ٣: ٤ (كتاب الهجرة). و هناك مصادر كثيرة تجد ذكرها في إحقاق الحقّ ٣: ٢٣ – ٤٥.

(١) التوبة (٩): ٤٠.

(٢) راجع الخرائج والجرائح ١: ١٤٤-١٤٥ / ح ٢٣١-٢٣٢، بحار الأنوار ١٩: ٧٣-٧٤ / ٢٦.

وفي المساء التقى علي(عليه السلام) وهند بن أبي هالة بالنبي (صلى الله عليه وآله) بعد أن علما بمكانه وقد أدلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بوصاياه لعليّ(عليه السلام) من حفظ ذمّته وأداء أمانته ـ إذ كان محمد(صلى الله عليه وآله) مستودع أمانات العرب ـ وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ويلحق به فقال له مطَمْئِناً: **«إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتىٰ تقدم عليّ، فأدِّ أمانتي علىٰ أعين الناس ظاهراً ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما»**[1].

وبعد ثلاثة أيام حين عرف النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قد سكن الناس عن طلبه، تحرّك نحو يثرب يُسرع في السير ولا يعبأ بمشقة مستعيناً بالله واثقاً من نصره.

وحينما وصل منطقة (قباء) تريّث فيها أياماً ينتظر قدوم ابن عمّه علي ابن أبي طالب والفواطم عليه ليدخلوا جميعاً يثرب التي كانت تموج بالفرح والبهجة لقدوم النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حين دخل صاحب النبيّ ورفيق سفره إلى يثرب تاركاً الرسول(صلى الله عليه وآله) في قباء!

وحين وصل عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) منهكاً من تعب الطريق ومخاطره ـ حيث كانت قريش قد تعقّبتهم حين علمت بخروجه بالفواطم ـ إعتنقه رسول الله(صلى الله عليه وآله) وبكى رحمةً لما به[2].

وأقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بـ(قباء) عدة أيام وكان أوّل عمل قام به هو كسر الأصنام[3] فيها، ثم أسّس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فأدركته صلاة الظهر في بطن وادي (رانوناء) فكانت أول صلاة جمعة في الإسلام وخرج مسلمو

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٧-٤٦٨ / ١٠٣١، حلية الأبرار ١: ١٤٦-١٤٧، ب ١٥، ح ١، بحار الأنوار ١٩: ٦٢ / ١٨٩.
(٢) راجع الكامل في التاريخ: ٢ / ١٠٦ (ذكر هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله).
(٣) البدء والتاريخ: ٤ / ١٧٦ ـ ١٧٧.

يثرب بزينتهم وسلاحهم يستقبلون رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ويحيطون بـركبه وكـلٌ يريد أن يتطلّع إليه ويملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمنوا به وأحبّوه[١].

وما كان يمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بمنزل أحد من المسلمين إلّا ويأخذ بزمام ناقته ويعرض عليه المقام عنده وهو يقابلهم بـطلاقة الوجـه والبشـر مـتجنّباً إحراج أيّ منهم وكان يقول: **«خلّوا الناقة إنّها مأمورة»**.

وأخيراً بركت الناقة عند مربد[٢] يعود لغلامين يتيمين مـن بـني النـجار أمام دار أبـي أيّـوب الأنـصاري فأسـرعت زوجـته فأدخـلت رحـل رسـول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في دارها فـنزل عـندهم رسـول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إلى أن تـمّ بـناء المسـجد النبوي وبيته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)[٣].

وقد غيّر النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إسم يثرب إلى (طيبة)[٤] واعتبر هجرته اليها مبدءاً للتاريخ الإسلامي[٥].

٢ ـ بناء المسجدالنبوي:

لقـد اجـتاز النـبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ـ حـين هـاجر بـالمسلمين ـ دائـرة بـناء الفـرد. وبوصوله الى يثرب شرع في التخطيط لتكوين الدولة التي تحكمها قـوانـين

---

(١) وصل النبيّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مدينة يثرب في ١٢ ربيع الأوّل، راجع الكـامل فـي التـاريخ ٢: ١٠٧ (ذكـر هـجرة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

(٢) المربد: كلّ موضع للإبل، كتاب العين للفراهيدي ٨: ٣١.

(٣) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٥٤ – ١٥٥ (فصل ٨ من باب ٣)، المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨٥–١٨٦ (فصل في هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٩٤ – ٤٩٦، الطبقات الكبرىٰ ١: ٢٣٦ – ٢٣٧ (ذكر خروجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الىٰ المدينة).

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة، عمر بن شبة النميري ١: ١٦٣ – ١٦٥ (الرسول يغيّر الاسم من يثرب الىٰ طابة).

(٥) تاريخ الطبري ٢: ١١٠–١١٢ (ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٢٥١ (وقائع السنة الأولىٰ من الهجرة).

السماء والشريعة الإسلامية السمحاء ومن ثم بناء الحضارة الإسلامية لتشمل كل الإنسانية في مرحلة ما بعد الدولة.

ومن أُولىٰ العقبات أمام تأسيس الدولة الإسلامية وجود النظام القبلي الذي كان يحكم العلاقات في مجتمع الجزيرة، كما أن ضعف المسلمين كان لابدّ له من معالجة واقعية، فكان المنطلق بناء المسجد ليكون مكاناً لمهامّ متعددة، ومركزاً للسلطة المركزية التي تدير شؤون الدولة. وتمّ تعيين الأرض وشرع المسلمون بهمّة وشوق في العمل الجادّ لبناء المسجد وما يتطلبه من مستلزمات، وكان الرسول هو القدوة والأسوة ومنبع الطاقة التي تُحرِّك المسلمين في العمل فشارك بنفسه في حمل الحجارة واللبن، وبينما كان ذات يوم ينقل حجراً على بطنه، إستقبله اُسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمل عنك قال (صلى الله عليه وآله): **لا، إذهب فاحمل غيره.**

وتمّ أيضاً بناء دار للرسول (صلى الله عليه وآله) ولأهل بيته ولم يكن البناء ذا كلفة كبيرة فقد كان بسيطاً كحياتهم، ولم ينس النبيّ (صلى الله عليه وآله) الفقراء الذين لم يجدوا لهم مسكناً يأوون إليه فألحق لهم مكاناً بجانب المسجد[1].

وأصبح المسجد مركزاً ومرتكزاً في حياة المسلمين العبادية والسياسيّة وذا دور فاعل في بناء الفرد والمجتمع.

٣ ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

ثم خطا النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله) خطوة اُخرىٰ لإقامة الدولة الجديدة والقضاء على بعض قيم النظام القبلي من دون أن يمس القبيلة بشيء ، مستثمراً حالة التعاطف وحرارة الإيمان التي بدت من المسلمين فجعل أساس العلاقة بين

---

(١) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٥٩ (فصل ٨ من الباب ٣)، بحار الأنوار ١٩: ١١٢/ح ١.

الأفراد رابطة العقيدة والدين متجاوزاً علقة الدم والعصبية، فقال (صلى الله عليه وآله): **تآخوا في الله أخوين أخوين**، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: **هذا أخي**[1]، وأخذ كل رجل من الأنصار أخاً له من المهاجرين يشاركه الحياة. وبذا طوت المدينة على الصفحات الدامية من تأريخها ؛ إذكانت لا تخلو أيامها من صراع مرير بين الأوس والخزرج يؤججه اليهود بخبثهم ودسائسهم وانفتح للمسلمين على العالم عهد جديد من الحياة الإنسانية الراقية حيث زرع رسول الله(صلى الله عليه وآله) بذلك كلّ عناصر بقاء الأُمة، وفاعليتها الإيمانية.

نتائج وأبعاد التآخي بين المسلمين

أ ـ البعد الاجتماعي :

١ ـ القضاء على الأمراض الاجتماعية المتأصلة في المجتمع ومخلَّفات التناحر القبلي وإشاعة روح الحب والود والتآلف لسد الثغرات لئلاّ يستغلّها المتآمرون على الإسلام، وتوفير الجهود والطاقات البشرية لخدمة الإسلام في مراحله اللاحقة.

٢ ـ إلغاء جملة من القيم السلبية التي كان يلتزم بها النظام القبلي وإحلال النظام والقيم الإسلامية محلّها في التعامل اليومي.

٣ ـ تهيئة المسلمين نفسياً وتربيتهم على التضحية والإيثار للانفتاح على العالم ولنشر الرسالة الإسلامية الذي كان يتطلّب مرونة عالية وقيم رفيعة تتوفر في الداعية المسلم.

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٥ (فصل في الأُخوة مع النبيّ صلى الله عليه وآله)، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٥٠٤ – ٥٠٥ (المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار).

ب ـ البعد السياسي :

١ ـ تكوين نسيج مترابط من المسلمين يتحرك مستجيباً لأوامر الرسول والرسالة كفرد واحد في ظرف تعددت فيه الجهات المعادية ولم تتوقف عن دسائسها.

٢ ـ تناقل الخبرات التنظيمية ووسائل المقاومة والصمود والتجربة الإيمانية وطرق التحرك وسط المهاجرين والأنصار إذ لم يعش الأنصار تجربة المهاجرين ومحنتهم.

٣ ـ بناء الفرد كخطوة من خطوات بناء الدولة وهيكلها الإداري.

٤ ـ إشعار المسلمين بالقوّة في الدفاع عن أنفسهم وفق قيم الإسلام بعيداً عن الروح القبلية والعنصرية.

ج: البعد الاقتصادي :

١ ـ إعالة المهاجرين وإعادة تأهيلهم اقتصادياً للعودة لممارسة حياتهم الطبيعية.

٢ ـ إزالة الفوارق الطبقية في محاولة للقضاء على الفقر.

٣ ـ السعي للاستقلال الاقتصادي بعيداً عن مركز الثروة غير المشروعة وقطع أيادي اليهود المرابية.

٤ ـ إنجاز مشاريع اقتصادية: زراعية مع تنشيط حركة التجارة ـ من خلال تلاقح فاعلية المهاجرين والأنصار وأفكارهم وترابط جهودهم ـ واستثمار كل الموارد المتاحة في المدينة.

٤ ـ معاهدة المدينة وتحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية:

ولكي ينتقل النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالمسلمين من حالة الصراع والمقاومة إلى مرحلة البناء وتطبيق الشريعة الإسلامية كان لابد من توفير أجواء الأمن والإستقرار ـ ولو نسبياً ـ فالصراع قد يعيق انتشارها في الوسط الجماهيري.

وفي يثرب كانت عدّة قوىٰ تنافس المسلمين في الوجود، فاليهود كانوا يشكّلون عبئاً كبيراً بقوّتهم الاقتصادية ودهائهم السياسي المعروف، إضافة إلى عُدّتهم وعددهم الذي لا يستهان به. والمشركون أيضاً كانوا قوة أُخرى وإن ضعف دورهم بقدوم النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمهاجرين ـ ولكنه لم ينته تماماً ـ فجاملهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقابلهم بالحسنىٰ.

وكان لابدّ للنبيّ (صلى الله عليه وآله) أيضاً أن يحتوي وجود المنافقين في يثرب.

وفي خارج المدينة كانت قريش وسائر القبائل المشركة تمثّل تهديداً حقيقياً للكيان الإسلامي الفتيّ وكان على الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يستعدّ لمواجهتهم ودفع خطرهم.

وهنا تجلت عظمة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومقدرته السياسية في التعامل مع القوىٰ المتعدّدة مُظهراً النوايا الحسنة والطيبة تجاه الآخرين، داعياً جميعهم الى السلام والأمان.

وكتبت معاهدة صلح وتعاون بين المسلمين واليهود لبناء دولة تعود بمركزيتها إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) يتمتع الجميع فيها بالحقوق الانسانية على السواء.

ويمكن القول بأن الصحيفة كانت بمثابة أوّل مشروع دستوري لبناء دولة إسلامية متحضرة في مجتمع المدينة الذي سوف ينطلق نحو المجتمع العربي ثم المجتمع الإنساني العالمي لتقبّل النظام الإسلامي الجديد.

وأهم ما تضمنته الصحيفة من قرارات هو مايلي:

١ ـ إبراز وجود المجتمع المسلم وإشعار الفرد المسلم بقوة انتمائه إليه.

٢ ـ الإبقاء على الوجود القبلي ـ مع تحجيم دوره وصلاحياته ـ لتخفيف العبء عن كاهل الدولة، بإشراكه في بعض النشاطات الاجتماعية والاستعانة به لحل جملة من المشكلات.

٣ ـ التأكيد على حرية العقيدة بالسماح لليهود بالبقاء على ديانتهم وممارسة طقوسهم واعتبارهم مواطنين في الدولة الإسلامية الجديدة.

٤ ـ ترسيخ دعائم الأمن في المدينة بجعلها حرماً آمناً لا يجوز القتال فيه.

٥ ـ إقرار سيادة الدولة والنظام الإسلامي وإرجاع قرار الفصل في الخصومات إلى القيادة الإسلامية المتمثلة في شخص الرسول (صلى الله عليه وآله).

٦ ـ توسيع دائرة المجتمع السياسي باعتبار أنّ المسلمين واليهود يتعايشون في نظام سياسي واحد ويدافعون عنه.

٧ ـ الحث على إشاعة روح التعاون بين أفراد المجتمع المسلم كي يتجاوز الأزمات التي تعترضه[1].

٥ ـ النفاق وبدايات الإستقرار في المدينة :

إهتم النبيّ (صلى الله عليه وآله) ببناء المجتمع المسلم ومن هنا فرض الهجرة على كل مسلم إلّا بعذر وذلك لاستقطاب كل الطاقات والكفاءات وسحبها إلى المدينة.

وقد تمتعت المدينة في هذا العهد الجديد بحياة الأمن والإستقرار فأصبح

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٥٠١ - ٥٠٤ (ذكر كتابه صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٢٧٣-٢٧٦ (ذكر وقائع السنة الأُولىٰ من الهجرة)، سبل الهدىٰ والرشاد ٣: ٣٨٢ (باب ٣ موادعته صلى الله عليه وآله اليهود).

الأمر مزعجاً لسائر القوىٰ التي رفضت دعوة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ورأت فيه طرفاً يهدّد معتقدها واليوم أصبح كياناً يرتقي بالإنسان نحو الفضائل وقوة تنمو باطّراد لا يصدّه أحد عن نشر رسالته فأسلمت أعداد كبيرة منهم ومضىٰ قسم آخر يخطط للابتعاد عنه أو التحالف معه.

ومن جانب آخر كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يرصد حركة النفاق ومساعي اليهود الحاقدة لتقويض الكيان الاسلامي الفتيّ بتمزيق صفوفه بالتفرقة في ما بين المسلمين.

ولم تمض فترة طويلة حتى دخل الإسلام في كل بيتٍ من بيوت المدينة[١]، واتسق النظام الاجتماعي العام تحت حكم الإسلام وقيادة الرسول (صلى الله عليه وآله).

وفي هذه الفترة شرّعت أحكام الزكاة والصيام وأحكام إقامة الحدود، كما شرّع الأذان لإقامة الصلاة وقبل ذلك كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد أعدّ منادياً ينادي للصلاة إذا جاء وقتها ، ونزل الوحي الإلهي يعلّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) صيغة الأذان فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه بلالاً وعلّمه كيفية الأذان[٢].

٦ ـ تحويل القبلة :

وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) طوال فترة تواجده في مكّة يتجه في صلاته نحو بيت المقدس ولم يغيّر من اتجاه صلاته بعد هجرته المباركة إلى سبعة عشر شهراً ثم أمره الله أن يتجه في صلاته نحو الكعبة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢:٥٠٠ (ذكر إنتشار الإسلام في المدينة).

(٢) الكافي ٣: ٣٠٢ / ح ٢، (باب بدء الأذان)، تهذيب الأحكام للطوسي ٢: ٢٧٧/ ح ١٠٩٩، الوسائل ٥: ٣٦٩-٣٧٠، (أبواب الأذان والإقامة)، ب ١، ح ٢.

وقد أمعن اليهود في عدائـهم للـدين الإسـلامي واسـتهزائـهم بـالرسول والرسالة حتّى أنهم كانوا يفخرون على المسلمين بتبعيّتهم لقبلة اليهود فكان هذا يحزن النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأصبح يـنتظر نـزول الوحـي الإلهـي بـتغيير القـبلة ، وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) في جوف الليل يطيل النظر إلى آفاق السماء فلمّا أصـبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلّىٰ من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه وحوّله الى الكعبة وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَـرْضَاهَا فَـوَلِّ وَجْـهَكَ شَـطْرَ ٱلْـمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(١) .

وقد كانت حادثة تحويل القبلة بمثابة اختبار للمسلمين في مدىٰ طاعتهم وانقيادهم لأوامـر الرسـول (صلى الله عليه وآله)، وتـحدّياً لعـناد اليـهود واسـتهزائـهم وردّاً لكيدهم، كما كانت منطلقاً جديداً من منطلقات بناء الشخصية المسلمة(٢).

٧ ـ بدايات الصراع العسكري :

لقد كانت القوّة هي التي تحكم الناس وتسودهم، وفي هذا الظرف تحرّك النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمون ـ بعد الاسـتقرار النسـبي فـي المـدينة ـ ليـؤكّد لكـل القوىٰ المؤثرة في الجزيرة بل وخارجها ـ كـالروم والفـرس ـ إصـراره عـلى نشر الرسالة الإسلامية وبناء الحضارة وفق تعاليم السماء، وكان للمسلمين من أدوات البناء ما لم يملكه غيرهم، فهم أصحاب عقيدة وفكـر وطـلّاب حـقٍّ وعدل، ومشرّعو سلام وأمان، وأهل سيفٍ وقتال.

---

(١) البقرة (٢): ١٤٤ .

(٢) راجع تفسير القمّي ١: ٦٢-٦٣ (في تفسير الآية)، مجمع البيان للطبرسي ١: ٤١٤ - ٤١٥ (في تفسير الآية)، أسباب النزول للواحدي: ٢٦ (في أسباب نزول الآية).

وقد توقع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّ قريشاً ومن نصب له العداء سيلجأون إلى خطط جديدة لاستئصال المسلمين ولو بعد حين فكان طلبه النصرة بالقتال من الأنصار في بيعة العقبة الثانية استعداداً لهذا الأمر كما أنّ قريشاً هي التي كانت قد تمادت في التعدي والظلم حيث خرجت تتتبّع النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمين للقضاء عليهم، وفي مكّة قد صادرت الأملاك ونهبت البيوت. وكانت الرغبة لدىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمين ـ المهاجرين خصوصاً ـ أن تدخل قريش في الإسلام طواعية أو أن لا تمضي في غيّها على أقل تقدير.

من هنا بدأ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يبعث (السرايا) وهي عبارة عن مجاميع صغيرة تتحرك لتعلن عن وجودها وعدم استسلامها لهيمنة قريش على القبائل. وإذا نظرنا إلى عدّتها البسيطة وعددها القليل الذي لا يتجاوز الستين فرداً ـ في السرايا الأُولى ـ وكلّهم من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار الذين بايعوا على القتال والنصرة، ندرك أنها لم تكن مرشّحة للقتال وإنّما كانت هذه السرايا وسيلة للضغط على قريش اقتصادياً[١] أيضاً لعلّها تسمع نداء الحقّ بأُذُن صاغية وبقلب مفتوح أو تهادن المسلمين فلا تتعرض لهم لينتشر الإسلام في أطراف أُخرىٰ، وفي الوقت نفسه كان ينبغي إشعار اليهود والمنافقين بقوة الإسلام وهيبة المسلمين.

لقد انطلقت ـ بعد مضيّ سبعة أشهر على الهجرة المباركة ـ أوّل سريّة وكان عدد أفرادها ثلاثين رجلاً بقيادة حمزة عمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله). ثمّ تلتها سرية أُخرى بقيادة عبيدة بن الحارث. وسرية ثالثة بقيادة سعد بن أبي وقاص.

وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) في صفر من العام الثاني للهجرة على رأس مجموعة

(١) إذ أنّ مصدرها المالي هو التجارة من خلال حركة القوافل بين مكّة والشام واليمن.

من أتباعه لاعتراض قوافل قريش ولكن لم يحصل الصدام بين الطرفين في حركته نحو الأبواء وبواط . وفي خروجه الى ذي العشيرة وادَعَ بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة .

وتحرّك النبيّ (صلى الله عليه وآله) لردّ الاعتبار ومعاقبة المعتدي حين أغار كرز بن جابر الفهري علىٰ أطراف المدينة لسلب الإبل والمواشي فخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) لملاحقته وخلّف زيد بن حارثة على المدينة[1].

وانطلق النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حركته العسكرية من مبدأ الجهاد والتضحية من أجل الدين بدلاً من مبدأ العصبية والثأر ، محترماً أعراف وتقاليد الصلح والمواعدة وحرمة الأشهر الحرم .

* * *

(١) راجع المغازي للواقدي ١: ٩-١٣، البداية والنهاية لابن كثير٣: ٢٨٦-٢٨٩ (أحداث سنه ١و٢ من الهجرة).

الفَصلُ الثَّاني

الدفاع عن كيان الدولة الفتية

بنزول الأمر الإلهي بالقتال انتقلت الرسالة الإسلامية إلى مرحلة جديدة من الصراع مع قوىٰ الشرك والضلالة، وتحركت في نفوس المهاجرين الرغبة الجادة لاسترداد حقوقهم المسلوبة من قبل والتي استلبتها قريش منهم لا لشيء إلّا لأنهم آمنوا بالله وحده.

ورصد النبيّ (صلى الله عليه وآله) قافلة قريش التي فاتته في طريق ذهابها إلى الشام في غزوة ذات العشيرة وخرج في عدّة خفيفة وعدد قليل يرتجي ملاقاة قافلة ضمّت أسهماً تجارية ضخمة لأغلب المكّيين. ولم تكن حركة النبيّ (صلى الله عليه وآله) سرّية فقد بلغ خبرها إلى مكّة وإلى أبي سفيان قائد القافلة فتحوّل في مسيره إلى اتجاه آخر حيث لايدركه المسلمون... وخرجت قريش فزعة تطلب مالها تلهبها مشاعر الحقد والحسد للمسلمين، علىٰ أنّ عدداً من كبارها نظر إلى الأمر بتدبّر ورويّة وآثر عدم الخروج لملاقاة المسلمين وخصوصاً بعد أن ورد خبر نجاة أبي سفيان بالقافلة التجاريّة.

خرجت قريش بعدد يناهز الألف في عدّة ثقيلة يدفعها تجبّرها، والاغترار بمنزلتها بين العرب ومع جموع أُخرى هبّت لنصرتها مصرّةً على

لقاء المسلمين أو لتثبت أنها لا تخذل كي لا يتعرض لها المسلمون ثانية، فقريش ماذلّت مذ عزّت، كما أعرب عن ذلك بعض أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) حين أراد مواجهة قريش لأوّل مرة[١].

١- غزوة بدر الكبرىٰ:

نزلت قريش وصفّت صفوفها للقتال علىٰ مقربة من (ماء بدر) حيث سبقهم المسلمون في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وهيّأ الله لرسوله (صلى الله عليه وآله) وللمسلمين مقدّمات النصر وأسبابه فسهّل لهم الوصول إلى موقع القتال وألقى عليهم الأمن والاطمئنان ووعدهم بالنصر على أعدائهم وإظهار دين الحقّ[٢].

وبالرغم من أنّ المسلمين لم يتوقعوا خروج قريش لملاقاتهم ولكن بعد أن فاتتهم القافلة وتحول الهدف إلى القتال أراد النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يختبر نوايا المهاجرين والأنصار فوقف وقال: «**أشيروا عليّ أيها الناس**».

فقام بعض المهاجرين وتكلّم بكلام يدل على الخوف والجبن عن مواجهة العدو ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله إمضِ لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ**﴾[٣]، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون

(١) راجع تفسير القمّي ١: ٢٥٦ - ٢٥٨ (في تفسير سورة الأنفال)، بحار الأنوار ١٩: ٢١٥ - ٢١٩، المغازي للواقدي ١: ١٩و٣٧ (بدو القتال).
(٢) الأنفال (٨): ٧ ـ ١٦.
(٣) المائدة (٥٥): ٢٤.

والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغِماد[١] لسرنا معك.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): **خيراً.**

ثم كرّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: **أشيروا عليّ أيها الناس،** يريد بذلك أن يسمع رأي الأنصار إذ كانوا قد بايعوه على الدفاع والذبّ عنه بالنفس والنفيس في العقبة قبل الهجرة.

فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسول الله تريدنا؟ قال (صلى الله عليه وآله): **أجل.**

قال: إنّا قد آمنا بك وصدقّناك وشهدنا أنّ كلّ ما جئت به حقّ. وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامض يا نبيّ الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك مابقي منا رجل، وما نكره أن يلقانا عدونا غداً؛ إنا لصُبّر عند الحرب، صِدق عند اللقاء، لعلّ الله يريك منّا ما تقرّ به عينك.

عندها قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدىٰ الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم».**

وفي كل موقف كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعو ويسأل الله النصر بعد أن تهيّأ المسلمون للحرب وقاموا بالإعدادات اللازمة بدءاً باختيار الموقع المناسب وإعداد الماء واتّخاذ الحيطة لملاقاة العدو، والنبيّ القائد (صلى الله عليه وآله) كان دائماً هو الطاقة المتدفقة التي تبعث فى نفوسهم الصبر والجَلَد والاطمئنان، كما كان يثير الحماس فيهم ويخبرهم بالمدد الإلهي.

---

(١) برك الغماد: موضع وراء مكّة ممّا يلي البحر (معجم البلدان ١: ٣٩٩).

واحتفّ المسلمون حول النبيّ وهم يظهرون أروع صور الاستعداد للتضحية من أجل العقيدة ويفكّرون في خطة بديلة لودارت الحرب على غير ما يحبون فأعدّوا عريشاً كمقرّ لقيادة النبيّ (صلى الله عليه وآله) لِيشرف من خلاله على المعركة. وخرجت سرية الاستطلاع لمعرفة أحوال قريش وعادوا بالأخبار الّلازمة للنبي (صلى الله عليه وآله) فقدّر عددهم ما بين (٩٥٠ ـ ١٠٠٠) مقاتل.

وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصفّ المسلمين صفوفاً وأعطىٰ رايته الكبرى لعليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) وأرسل إلى قريش طالباً منها أن ترجع، فهو يكره قتالها، فدبّ الخلاف بين صفوف المشركين بين راغب في السلم ومصرّ على العدوان.

وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) أن لا يبدأ المسلمون القتال، ووقف يدعو الله قائلاً: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم»**.

وكما هو المعتاد في كل الحروب القديمة برز من المشركين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد يطلبون نظراء لهم من قريش ليبارزوهم. فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب: **«يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقّكم الذي بعث به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله»**.

فقُتل من برز من قريش والتحم الجيشان ورسول الله(صلى الله عليه وآله) يبعث الحماس في نفوس المسلمين. ثم أخذ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كفاً من الحصىٰ ورمىٰ بها على قريش وقال: **شاهت الوجوه**، فلم يبق منهم أحدٌ إلّا اشتغل بفرك عينيه فكانت هزيمة قريش[1].

---

(١) راجع تفسيرالقمّي ١:٢٥٨-٢٦٥ (في تفسير سورةالأنفال)،بحارالأنوار ١٩: ٢١٩-٢٢٦ و ٢٤٧-٢٥٥/٣،←

ووقف رسول الله (ﷺ) على قليب بدر بعد طرح جثث المشركين فيه، وناداهم بأسمائهم وقال: **هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً**. فقال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد ماتوا؟ فقال (ﷺ): **إنهم ليسمعون كما تسمعون ولكن منعوا من الجواب**(١).

نتائج غزوة بدر الكبرىٰ:

خلّفت معركة بدر نتائج عظيمة فقد فرّ المشركون نحو مكّة والخيبة والذل يحيطان بهم من كل جانب تاركين خلفهم سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً وغنائم كثيرة... وبدت بين صفوف المسلمين المنتصرين بوادر اختلاف حول كيفية تقسيم الغنائم فأمر النبيّ (ﷺ) بجمعها حتى يرى فيها رأيه، ونزل الأمر الإلهي في سورة الأنفال بتقسيم الغنائم وتشريع أحكام الخمس، فأعطى رسول الله لكل فرد مقاتل حصته على قدم المساواة مع غيره(٢).

وبشأن الأسرى أعلن رسول الله (ﷺ) أنّ من علّم من الأسرىٰ عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة(٣) فذلك فداؤه ، مظهراً بذلك سماحة

← المغازي للواقدي ١: ٤٧-٥٣ و ٦٧-٧٠ (ذكر وقعة بدر القتال) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد٢: ١٤-١٧ (وقعة أو غزوة بدر الكبرىٰ)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٣٢٠-٣٢٤ و ٣٣٤-٣٣٢ (ذكر غزوة بدر الكبرىٰ).

(١) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٧١ (باب غزوة بدر الكبرىٰ)، بحار الأنوار ١٩: ٣٤٦/ ح ٨٣، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦٣٩ (ذكر طرح المشركين فى القليب)، تاريخ الطبري ٢: ١٥٥-١٥٦ (أحداث سنة ٢ غزوة بدر الكبرىٰ).

(٢) راجع المغازي للواقدي ١: ١٠٢-١٠٤ (غزوة بعد القتال)، السيرة النبوية لابن هشام ٢:٦٦٦-٦٦٧ (نزول سورة الأنفال)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٨-١٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٤٧ (ما أسند عن عبدالله بن عباس)، مجمع الزوائد ٤: ٩٦ (باب الأمر علىٰ تعليم القرآن).

العقيدة الإسلامية وحثّها على التعلم وبناء الإنسان المتحضّر. وأما الباقي من الأسرى فجعل فداء كلّ واحدٍ منهم أربعة آلاف درهم[١]، وشمل هذا القرار أبا العاص زوج زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من دون تمييز له عن غيره من المشركين.

وحين أرسلت زينب قلادتها لفداء زوجها بكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لرؤية القلادة متذكراً زوجته خديجة(رضي الله عنها) فالتفت الى المسلمين قائلاً: **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا**[٢]. وما أيسر هذا الطلب لنبيّ الرحمة من المسلمين . وأسرع أبو العاص الى مكّة ليرسل زينب الى المدينة كما وعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسرت بشائر النصر والفتح المبين نحو المدينة فأوجفت قلوب اليهود والمنافقين خيفة ورعباً وسَعَوا لتكذيب الخبر في حين انتشىٰ المسلمون فرحاً وسروراً وخرجوا لاستقبال النبيّ القائد المنتصر.

وحلّت الكارثة بأهل مكّة وخيّم الحزن على أجوائها وصعق المشركون من هول الصدمة وعمّت الأحزان بيوتات مكّة وأطرافها.

وتضمّنت آيات الذكر الحكيم نصوصاً صريحة عن هذه المعركة المصيرية وهي تذكر تفاصيل الأحداث وتظهر الإمداد الإلهي للأُمة المسلمة المخلصة لربها في سبيل نشر رسالته[٣].

وقد استبسل علي بن أبي طالب (عليه السلام) للدفاع في هذه الغزوة الكبرىٰ حين

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام٢: ٦٦٠ (ثمن الفداء)، راجع الطبقات الكبرىٰ لابن سعد٢: ١٨ (باب غزوة بدر الكبرىٰ)، تاريخ الطبري ٢: ١٦١ (أحداث السنة الثانية من الهجرة غزوة بدر).

(٢) المغازي للواقدي ١: ١٣٠-١٣١ (أسماء النفر الذين قدموا الأسرى) ،السيرة النبوية لابن هشام ٢:٦٥٣ (أبوالعاص عند الرسول(صلى الله عليه وآله))، تاريخ الطبري ٢: ١٦٤ (أحداث السنة الثانية من الهجرة غزوة بدر).

(٣) انظر: الأنفال (٨): ٩، ١١، ١٢ ، ٤٢، ٤٤، وآل عمران (٣): ١٣ و١٢٣ و١٢٧.

قتل الوليد بن عتبة وأعان عمّه حمزة وعبيدة بن الحارث على قتل شيبة وعتبة منازلاً لهما. وقد عدّ الشيخ المفيد ستة وثلاثين نفراً ممن قتلهم عليّ (عليه السلام) يوم بدر سوى من اشترك في قتله[١].

وقال ابن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعليّ[٢].

وألجأت هذه الهزيمة قريشاً الى تحويل مسير تجارتها من الشام الى العراق بعد أن أصبح للمسلمين كيان قوي، له آثاره على تركيبة مجتمع الجزيرة حيث بدت تظهر بالتدريج وبدأت قريش تفقد هيبتها بين القبائل في الوقت الذي أخذت قوة المسلمين تتصاعد وتستحكم أواصرهم.

٢ ـ اهتمام النبيّ (صلى الله عليه وآله) بزواج الزهراء (عليها السلام):

حلّت الزهراء من قلب النبيّ المصطفى (صلى الله عليه وآله) المنزلة الرفيعة إذ كان يجد فيها السلوة والعزاء، والصورة الطيبة التي تركتها خديجة (عليها السلام)، والذرية الطاهرة. وشاركت الزهراء (عليها السلام) النبيّ (صلى الله عليه وآله) هموم الرسالة وعملت كثيراً للتخفيف عنه حتى قال عنها: «**إنها أم أبيها**»[٣].

وحين بلغت الزهراء (عليها السلام) في بيت النبوة مبلغ النساء وقد نهلت من معين النبوة وسلسبيل الرسالة خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو يردّهم بحكمة ردّاً جميلاً

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٧٠ - ٧٢ (فصل تسمية مَن قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر).
(٢) حكاه ابن شهر آشوب في المناقب ٣: ١٢٠ (فيما نقل عن أمير المؤمنين يوم بدر).
(٣) تاج المواليد للطبرسي (ضمن مجموعة نفيسة): ٢٠ (ذكر حالات الزهراء عليها السلام)، مقاتل الطالبيين: ٢٩ (ذكر الحسن بن علي عليه السلام)، تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٥٨ (ذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله).

بقوله: إني انتظر فيها القضاء[١].

أو يقول: أنتظر أمر السماء[٢].

وفـرح النـبيّ (صلى الله عليه وآله) بـتقدم عـليّ بـن أبـي طـالب (عليه السلام) لخـطبة فـاطمة الزهراء (عليها السلام) وقال له: «**أبشّرك يا عليّ فإن الله عزّوجلّ قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض، وقد هبط عليّ من قبل أن يأتيني ملك من السماء فقال: يا محمد إن الله ـ عزّوجلّ ـ اطّلع إلىٰ الأرض إطلاعة فاختارك من خلقه فبعثك برسالته، ثم اطّلع الى الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً فزوّجه ابنتك فاطمة (عليها السلام)، وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء. يا محمد إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أمرني أن آمرك أن تزوّج عليّاً في الأرض فاطمة، وتبشّرهما بـغلامين زكـيين نـجيبين طـاهرين خـيّرين فـاضلين فـي الدنـيا والآخرة**»[٣].

وأمام جمع من المهاجرين والأنصار أجرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عقد الزواج لقاء مهر يسـير ليـجعله سـنّة تـقتدي بـه الأُمـة. وحـين وضـع أثـاث بـيت الزهراء(عليها السلام) بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله) وكان أكثر أوعيته من الخـزف دمـعت عيناه وهو يـقول: «**اللـهمّ بـارك لأهـل بـيت جـلّ آنـيتهم مـن الخـزف**»[٤] وأبـدىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) اهتماماً بالغاً في زواج ابنته الزهراء (عليها السلام) في كـل تـفاصيله، وقـد تجلت ناحية من نواحي اهتمامه (صلى الله عليه وآله) بذلك في دعائه للزوجين يوم الزفاف إذ قال: «**اللهم اجمع شملهما وألّف بين قلبيهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنّة النـعيم**

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٨: ١٩ (ذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٢) كشف اليقين: ١٩٥ (المبعث من باب ٢).

(٣) كشف الغمة : ١ / ٣٥٦ ـ ٣٥٨ (في ذكر تزويجه فاطمة عليها السلام)، المناقب للخوارزمي: ٣٤٦ ح ٣٦٤ فصل ٢٠.

(٤) كشف الغمة: ١ / ٣٥٩ (في ذكر تزويجه فاطمة عليها السلام).

وارزقهما ذرية طاهرة طيّبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك الى طاعتك ويأمرون بما رضيت»(١).

وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أيضاً: «**يا ربّ إنك لم تبعث نبياً إلّا وقد جعلت له عترة اللهم فاجعل عترتي الهادية من علي وفاطمة**»(٢) ثم قال: «**طهّركما الله وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما**»(٣).

٣ ـ الصدام المباشر مع اليهود واجلاء بني قينقاع :

لمس اليهود خطر تنامي قوة الإسلام والمسلمين في المدينة. فالكيان الطري أصبح أشد عوداً وأقوىٰ شكيمةً وتحولت الرسالة الإسلامية الى قوة تحكم.

وقبل بدر كانت معاهدة الصلح صمّام الأمان الذي يقبض على طرفي الصراع ويحول دون الانفجار، لكن النصر المؤزر للمسلمين فجّر روح العداء وألهب نزعة الشرّ اليهودية تعينها أطراف النفاق الأُخرىٰ، وجعلوا يتغامزون ويتآمرون، ويرسلون الأشعار ويجهدون في التحريض على المسلمين الذين أصبح لهم سلطان جديد مضافاً إلى دينهم الجديد.

ولم تكن أخبارهم لتخفىٰ على الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). وتحركت في نفوس المسلمين الجرأة في الدفاع والحرص على الإسلام والنبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فلم يتمالك

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٣٥٦/٣ (فصل في تزويجها عليها السلام).

(٢) دلائل الإمامة للطبري: ١٠١ ح ٣٠ (خبر زفاف فاطمة عليها السلام).

(٣) كشف الغمة: ١ / ٣٦٢، (ذكر تزويجه بفاطمة عليها السلام)، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٥٥ (فصل في تزويجها عليها السلام).

الفدائي المسلم ـ سالم بن عمير ـ نفسه حين سمع رجلاً مشركاً ـ اسمه أبو عفك وهو من بني عوف ـ يسيء للنبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) فقتله[١] وتكرَّرت المحاولة مع مشركة حاقدة ـ وهي عصماء بنت مروان ـ[٢] وتمكن المسلمون أيضاً من اغتيال كعب بن الأشرف إذ تمادىٰ في التعريض والاستهزاء والنيل من أعراض المسلمين[٣].

ولم تتوقف مساعي اليهود التحريضية ونشر الأباطيل والدعايات الكاذبة والتشهير بالمسلمين ناقضين بذلك عهد الموادعة والتعايش السلمي وأراد نبيّ الرحمة (صلى الله عليه وآله) أن يخلص وإياهم الى الاستقرار فخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله) الى يهود بني قينقاع يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة وينذرهم من مغبّة سياساتهم وتصرّفاتهم اللا محمودة فقال لهم بعد أن جمعهم في سوقهم: **«يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنّي رسول الله تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم»**.

ولم يزدهم ذلك إلّا علوّا واستكباراً فقالوا: يا محمد لا يغرّنك مَن لقيت، إنّك قهرت أقواماً وإنّا والله أصحاب الحرب ولئن قاتلتنا لتعلمنّ أنّك لم تقاتل مثلنا[٤].

وتجلّت خسّة اليهود حين أساؤوا إلى امرأة من المسلمين ونالوا من كرامتها وانتهىٰ الأمر الى قتل يهودي ومسلم فعندها سار النبيّ (صلى الله عليه وآله)

(١) المغازي: ١ / ١٧٤ (سرية قتل أبي عفك)
(٢) المصدر السابق : ١ / ١٧٢ (سرية قتل عصماء بنت مروان).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥١ (ذكر مقتل كعب بن الأشرف).
(٤) المغازي للواقدي: ١ / ١٧٦- ١٧٩ (غزوة قينقاع)، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٧-٥٠ (ذكر أمر بني قينقاع).

بالمسلمين فحاصر يهود بني قينقاع في دورهم خمسة عشر يوماً متتابعة لايخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد، فلم يبق لهم إلّا الاستسلام والنزول على حكم النبيّ الخاتم(ﷺ) حيث قرّر جلاءهم عن المدينة تاركين عدّتهم وأدواتهم. وهكذا خلت المدينة من أهم عناصر الشر وساد الهدوء فيهاكما تضاءل تواجد غير المسلمين في المدينة، بعد أن لمسوا قوة المسلمين وتطوّر التنظيم الإداري وازدياد نفوذ القيادة والدولة الإسلامية التي كانت تعمل وفق مخطط حكيم.

٤ ـ ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين :

جمع أبو سفيان عدداً من فرسان قريش وقادهم نحو المدينة حيث كانت تدفعهم نواياهم إلى الفتك بالمسلمين ومحاولة منهم لردّ اعتبار قريش بعد سقوط هيمنتها في بدر. وعلى مقربة من المدينة عاثوا في الأرض فساداً وكرّوا فارّين خوفاً من أن تنالهم سيوف المسلمين.

وخفّ النبيّ (ﷺ) والمسلمون في أثر المشركين يدفعهم ولاؤهم لدينهم تأكيداً منهم على الدفاع عن سيادة الدولة الفتية وحفظها من أيادي السوء.

وقد اتّخذ المشركون كل ما يعينهم على الهرب فألقوا ما معهم من (سويق) كانوا يحملونه، والتقطه المسلمون من خلفهم وسميت الغزوة بغزوة السويق[١] وكان هذا خزياً آخر لحق قريشاً. وأكّد للقبائل التي تطاير الخبر إليها أنّ وجود الإسلام كقوة منظمة قد أصبح واقعاً مفروضاً.

---

(١) المغازي للواقدي ١: ١٨١ (غزوة السويق)، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٤ (غزوة السويق).

وكان همّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في هذه المرحلة توفير الأمان في أوساط المجتمع المسلم في المدينة وصدّ أيّ عدوان محتمل. على أنّ بعض القبائل التي كانت تأبى الدخول في الإسلام وتبطن العداء له لم تكن لتهتدي الى تصرف مناسب مع الرسول والمسلمين، فكانوا يعدون العدّة للهجوم على المدينة ويفرّون حين يسمعون بخروج النبيّ (صلى الله عليه وآله) لهم.

وخرجت سرية اُخرى بقيادة زيد بن حارثة بعد أن وجهها النبيّ(صلى الله عليه وآله) لقطع الطريق الجديد لتجارة قريش عن طريق العراق[1]. وقد نجحت السرية في مهمّتها التي كُلّفت بها.

٥ ـ غزوة اُحد[2] :

مرّت الأيام التي تلت معركة بدر ثقيلة على قريش والمشركين. وفي المدينة لم يزل النبيّ (صلى الله عليه وآله) يواصل عمليّة بناء الإنسان والدولة حيث كانت الآيات الإلهية تترىٰ وهي تشرّع للإنسان سلوكه وحياته والنبيّ (صلى الله عليه وآله) يفصّل التعاليم ويطبق الأحكام ويهدي الى طاعة الله.

وتظافرت الأسباب والدواعي عند مشركي مكّة ومن والاهم لخوض حرب جديدة ضد الإسلام تزيح عن كاهلهم كابوس الهزيمة في بدر، وتطفىء غليل الحقد الذي مازال يؤجّجه أبو سفيان زعيم البيت الاُموي والخاسر الأكبر في بدر، كماكان عويل النساء ومطامع التجار الذين فقدوا كل

(١) المغازي للواقدي ١: ١٩٧ (سرية القَرَدَة)، السيرة النبوية لابن هشام ٣: (سرية زيد الىٰ القَرَدَة).
(٢) وقعت غزوة أحد في شوال من السنة الثالثة للهجرة.

الطرق الآمنة للتجارة عاملين آخرين لذلك.

فكانت الحرب محاولة لإضعاف المسلمين وتأمين طرق التجارة الى الشام، والحدّ من تنامي قوة المسلمين العسكرية لتجنيب مكّة من خطر الاحتلال والقضاء على الشرك فيها. ومما أسهم في إعداد الحرب أيضاً تحريض يهود ومنافقي المدينة لقريش وغيرها لغزو المدينة والقضاء على الإسلام.

وسارع العباس بن عبد المطلب إلى الكتابة للنبيّ(صلى الله عليه وآله) يخبره عن اجتماع كلمة قريش على الحرب وتهيئتهم للعدّة والعدد حيث استنفروا معهم القبائل واتخذوا عدة أساليب لإثارة الحرب والعزيمة على القتال إذ خرجت النسوة معهم.

ووصل الكتاب سرّاً الى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فكتم الخبر عن المسلمين حتى يستوضح الأمر ويعدّ له العدّة اللازمة.

واقتربت جحافل الشرك من المدينة فبعث النبيّ (صلى الله عليه وآله) الحباب بن المنذر سراً ليستطلع العدو ـ بعد أن بعث أنساً ومؤنساً ابني فضالة ـ فجاء الخبر والوصف متوافقين مع كتاب العباس وخبر ابني فضالة، وبات عدد من المسلمين من الذين أخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخبر في حيطة وحذر خشية مداهمة العدو[١].

ثمّ استشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بعد أن أعلن قدوم قريش للحرب فاختلفت آراؤهم بين التحصّن في المدينة أو الخروج لملاقاة العدو خارجها.

---

(١) راجع المغازي للواقدي ١: ٢٠٣ - ٢٠٤ (غزوة أُحد)، السيرة الحلبية ٢: ٢١٧-٢١٨ (ذكر غزوة أُحد).

ولم يكن عسيراً على النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يحدد الخطة مسبقاً لكـنه أراد أن يشـعر المسلمين بمسؤوليتهم. ثمّ كان الاتفاق على خروج المسـلمين للـقاء العـدو وقتاله خارج المـدينة. ثـم صـلّى النـبيّ (صلى الله عليه وآله) صـلاة الجـمعة وصـعد المـنبر وخطب وأخذ يعظ الناس ويذكّرهم بطاعة الله وأمرهم بالجد والجهاد والصبر. ثمّ نزل ودخل داره ولبس لامته مما أثار المسلمين وهزّهم بشدّة وظنوا أنهم أكرهوا الرسول (صلى الله عليه وآله) على الخروج من المدينة فقالوا: يا رسول الله ماكان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك. فقال (صلى الله عليه وآله): **«ماينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يـضعها حتى يقاتل»**[1].

وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) في ألف مقاتل مـن المسـلمين ورفـض أن يسـتعين باليهود ضد المشركين قائلاً: **«لا تستنصروا بأهـل الشـرك عـلى أهـل الشـرك»**. ولم يستطع المنافقون إخـفاء حـقدهم فـانخذل عـبدالله بـن أُبـي عـن رسـول الله بثلاثمائة وبقي رسول الله بسبعمائة وكان المشركون أكثر من ثلاثة آلاف[2].

وعند جبل أُحد وضع النبيّ (صلى الله عليه وآله) خطة محكمة ليضمن النصر المؤزر ثم قام(صلى الله عليه وآله) فخطب الناس قائلاً: **« أيها الناس أُوصيكم بما أوصاني الله فـي كـتابه مـن العمل بطاعته والتناهي عن محارمه، ثمّ إنّكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثمّ وطّن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط فإنّ جهاد العدو شديدكريه، قليل من يصبر عليه، إلّا من عزم الله رشده، فإنّ الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع مـن عـصاه، فـافتحوا**

(١) المـغازي للـواقـدي ١: ٢٠٩ و ٢١٣- ٢١٤ (غـزوة أُحـد)،السـيرة النـبوية لابـن هشـام ٣: ٦٣ (مشـاورة الرسول صلى الله عليه وآله القوم في الخروج)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣٨ (غزوة أُحد).

(٢) راجع السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦٣-٦٤ (مشاورة رسول الله صلى الله عليه وآله القوم وانخذال المنافقين)، الطـبقات الكبرىٰ ٢: ٣٩ (غزوه أُحد)، تاريخ الطبري ٢: ١٩٠ (ذكر السنة الثالثة للهجرة غزوة أُحد).

أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به، فإنّي حريص على رشدكم فإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمرِ العجز والضعف مما لا يحب الله، ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر»(١).

واصطفّ المشركون للقتال الذي سرعان ما نشب ولم يمض زمن طويل حتى ولّت قوىٰ الشرك الأدبار، وكادت نساؤهم أن تقع بأيدى المسلمين سبايا، وبدا انتصار المسلمين واضحاً في ساحة المعركة حتىٰ وسوس الشيطان في نفوس بعض الرماة الذين وضعهم رسول الله(ﷺ) فوق الجبل وأمرهم بعدم ترك مكانهم مهما كانت نتيجة المعركة حتّى يتلقّوا أمراً جديداً منه فَعَصَوْا أمر رسول الله (ﷺ) وتركوا مواقعهم سعياً وراء الغنائم فكرّت قوىٰ الشرك ثانية بقيادة خالد بن الوليد من موقع الثغرة التي نهىٰ رسول الله (ﷺ) عن تركها.

فذهل المسلمون لذلك وتفرّقت جموعهم وعادت فلول قريش المنهزمة الى الحرب وقتل عدد كبير من المسلمين وأشاع المشركون نبأ مقتل رسول الله (ﷺ) وكادت كتائب الشرك أن تصل الى النبيّ (ﷺ) لولا استبسال عليّ بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وسهل بن حنيف وقلة قليلة ثبتت في ساحة المعركة إذ فرّت البقية الباقية من المسلمين بما فيهم كبار الصحابة(٢)، حتىٰ أنّ بعضهم بدرت منه فكرة التبرّي من الإسلام فقال:

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٢١-٢٢٢ (غزوة أُحد)، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤: ٢٣٢ (قصة غزوة أُحد)، سبل الهدىٰ والرشاد ٤: ١٨٩-١٩٠ (ذكر خطبته ﷺ و تهيئته للقتال).

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ٨٠-٨٢ (فصل في ذكر غزوة أُحد)، سبل الهدىٰ والرشاد ٤: ١٩٤-١٩٦ (ذكر ترك الرماة).

ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان(١).

واستشهد حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيّ(ﷺ) وتعرّض رسول الله (ﷺ) للإصابة فكسرت رباعيته السفلىٰ وشقت شفته وسال الدم على وجهه فجعل يمسحه وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله وقاتل (ﷺ) حتى صارت قوسه شظايا. وطعن أُبي بن خلف حين هجم عليه يريد قتله (ﷺ) ومات أُبي على أثرها. واستبسل عليّ ابن أبي طالب بصورة لا نظير لهاوهو يفرق كل من يتقدم نحو رسول الله ويهدّه بسيفه فنزل جبرئيل على رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله هذه المواساة، فقال (ﷺ): **«إنه مني وأنا منه»**. فقال جبرئيل: وأنا منكما، فسمعوا صوتاً يقول: **«لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي»**(٢).

وانسحب الرسول (ﷺ) والبقية الباقية معه من المسلمين الى الجبل وهدأت المعركة وجاء أبو سفيان يستهزئ ويسخر بالمسلمين قائلاً: أُعلُ هُبَل. وأمر رسول الله (ﷺ) أن يرد على زعيم الكفر مظهراً بذلك عدم انكسار العقيدة رغم الانكسار في ساحة المعركة فقال قولوا: **«الله أعلى وأجل»**.

وأمر النبيّ (ﷺ) بالردّ ثانية على شعار أبي سفيان الكافر حين قال:

---

(١) وقد وردت آيات القرآن تبيّن القتال ونوازع المسلمين في سورة آل عمران: ٣ / ١٢١ ـ ١٨٠، مجمع البيان للطبرسي٢: ٤٠٥ (في تفسير آية ١٤٤ من سورة آل عمران)، بحار الأنوار ٢٠: ٢٧، تاريخ الطبري ٢: ٢٠١ (ذكر حوادث السنة الثالثة للهجرة غزوة أُحد)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ٢٦ (ذكر غزوة أُحد).

(٢) راجع كشف الغمة ١: ١٨٩-١٩٠ (فصل في شجاعة أمير المؤمنين «ﷺ» يوم أحد)، البحار٢٠: ١٠٢-١٠٣ /ح ٢٩،تأريخ الطبري٢:١٩٧-٢٠١ (ذكر حوادث السنة الثالثة للهجرة غزوة أُحد)، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤-١٥٧ (ذكر حوادث السنة الثالثة للهجرة).

نحن لنا العزّىٰ ولا عزّىٰ لكم فقال (صلى الله عليه وآله): **«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»**[١].

ورجع المشركون إلى مكّة وقام النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمون بدفن الشهداء فهالهم المنظر الفظيع الذي تركته قريش فقد مثّلت بجثث الشهداء. ولما أبصر النبيّ (صلى الله عليه وآله) حمزة بن عبد المطلب ببطن الوادي وقد أُخرج كبده ومُثّل به بوحشية وحقد؛ حزن حزناً شديداً وقال: **«ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا»**[٢].

٦ ـ غزوة حمراء الأسد

ولم تكن التضحيات الجسام والخسارة الكبيرة في ساحة المعركة لتثني أهل العقيدة والرسول القائد (صلى الله عليه وآله) عن الاستمرار في الدفاع عن حياض الإسلام وكيان الدولة الفتية، ففي اليوم التالي من رجوعهم إلى المدينة استنفر النبيّ (صلى الله عليه وآله) المسلمين لطلب العدو ومطاردته علىٰ أن لا يخرج إلّا من حضر الغزوة فخرج المسلمون على ما بهم من جُراح إلى منطقة حمراء الأسد وبهذا اتّبع الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) أُسلوباً جديداً لإرعاب العدو، ممّا جعل الخوف يسيطر عليهم فأسرعوا في مسيرهم نحو مكّة ورجع النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمون إلى المدينة وقد استردوا كثيراً من معنوياتهم[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٠٦ (ذكر حوادث السنة الثالثة للهجرة غزوة أُحد)، الكامل في التاريخ ٣: ١٦٠ (ذكر حوادث السنة الثالثة للهجرة).

(٢) تفسير القمّي ١: ١٢٣ (في تفسير سورة آل عمران شهادت حمزة)، بحار الأنوار ٢٠: ٦٣، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٩٦ (حزن الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ حمزة).

(٣) راجع الطبقات الكبرىٰ ٢: ٤٩ (غزوة حمراء الأسد)، الكامل في التاريخ ٢: ١٦٤-١٦٥ (ذكر حوادث السنة الثالثة للهجرة).

٧ ـ محاولات الغدر بالمسلمين:

كان من الطبيعي في مجتمع تحكمه القوة والغلبة بالسيف أن يطمع المشركون في المسلمين بعد النكسة في أُحد، لكن النبيّ القائد (صلى الله عليه وآله) كان يقظاً ومدركاً لكل المتغيرات حريصاً على سلامة الرسالة وقوّتها مجتهداً في بناء الدولة والمحافظة عليها، فكان يتحسّس الأخبار ويستطلع النوايا ويسرع في الرّد قبل أن يدرك المشركون أهدافهم، فخرجت سرية أبي سلمة تردّ غدر بني أسد بالمدينة ونجحت السرية في مهمتها[١]، وتمكن المسلمون أيضاً من ردّ كيد مشرك كان يعدّ لغزو المدينة[٢].

وقد تمكنت جماعة من المشركين من الغدر بالمسلمين حين قدمت مجموعة من قبيلتي «عضل» و«القارة» إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) تطلب منه مَن يفقّهها الدين واستجاب نبي الرحمة سعياً منه لنشر الرسالة الإسلامية ولكن يد الغدر فتكت بالمسلمين الدعاة عند منطقة «ماء الرجيع». وقبل أن يبلغ خبر مصرعهم إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله) اقترح أبو براء العامري على النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يرسل مبلغين عنه إلى أهل «نجد» يدعون إلى الإسلام بعد أن رفض هو الدخول في الإسلام، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «**إني أخشىٰ عليهم أهل نجد..**» قال أبو براء: لا تخف، أنا لهم جار. وقد كان للجوار اعتبار وأهمية تعدل النسب في

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٣٤٠ (سرية أبي سلمة الىٰ بني أسد)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٥٠ (سرية أبى سلمة الىٰ بني أسد).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٥٠-٥١ (سرية عبدالله بن أنيس).

عرف الجزيرة العربية، لذا اطمأنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) وأرسل وفداً من الدعاة للتبليغ ولكن الغدر طالهم فعدا عليهم عامر بن الطفيل وقبائل بني سليم في منطقة «بئر معونة» وفتكوا بهم ولم يسلم منهم إلا عمرو بن اُمية الذي أطلقوه فعاد إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله) بالخبر ولكنه في طريقه قتل رجلين ظنّاً منه أنهما من العامريين، ولكن النبيّ (صلى الله عليه وآله) حزن لذلك وقال له: **«بئس ما صنعت قتلت رجلين كان لهما مني أمان وجوار، لأدفعنّ ديتهما»**(١).

٨ ـ غزوة بني النضير* :

تتابعت النكبات على المسلمين حتى ظنّ المنافقون ويهود المدينة أنّ هيبة المسلمين قد ضاعت، وأراد النبيّ (صلى الله عليه وآله) بحكمته السياسية أن يحدّد ملامح التصرف الصحيح مع يهود (بني النضير) مبرزاً نواياهم، فاستعان بهم على دفع دية القتيلين، فتلقّوه قرب مساكنهم مرحّبين به وبجماعة من المسلمين وهم يضمرون السوء لهم، فطلبوا منه الجلوس ريثما يحققون له طلبه. فجلس مستنداً إلى جدار بيت من بيوتهم فأسرعوا ـ مستغلّين الفرصة ـ لإلقاء حجر عليه وقتله، فهبط الوحي عليه يخبره، فانسلّ من بينهم تاركاً من معه، فاضطرب بنو النضير وأمسوا في حيرة من أمرهم وباتوا قلقين من سوء فعلتهم، وأسرع الصحابة الى النبيّ(صلى الله عليه وآله) في المسجد يستطلعون سرّ عودته

(١) راجع تاريخ الطبري٢: ٢١٩-٢٢١ (أحداث السنة الرابعة للهجرة ذكر خبر بئر معونة)، الكامل في التاريخ ٢: ١٧١-١٧٢ (حوادث السنة الرابعة للهجرة).

(*) وقعت هذه الغزوة في شهر ربيع الأوّل من السنة الرابعة للهجرة، راجع تاريخ الطبري٢: ٢٢٣ (حوادث السنة الرابعة للهجرة)، الكامل في التاريخ ٢: ١٧٣ (حوادث السنة الرابعة للهجرة).

مسرعاً فأجابهم بما أُوحي من غدر اليهود بقوله : «**همّت اليهود بالغدر بي فأخبرني الله بذلك فقمت**»[١].

وبذلك استحلّ الله دماءهم إذ نقضوا عهد الموادعة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهمّوا بالغدر به فلم يكن لهم إلّا الجلاء عن المدينة. وتدخّل زعيم النفاق عبد الله بن أُبي وغيره وأخذ يحرّض بني النضير على عدم الانصياع لأمر النبيّ(صلى الله عليه وآله) ومقارعته وتقديم وعود لهم بالإمداد والنصرة لو تمرّدوا على النبيّ(صلى الله عليه وآله) وتحصّن بنو النضير في حصونهم متمرّدين على أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله).

واستخلف النبيّ(صلى الله عليه وآله) ابن أُم مكتوم على المدينة حين علم بمساعي المنافقين وخرج لمحاصرة بني النضير واتّبع معهم أُسلوباً اضطرّهم إلى الاستسلام والخروج بقدر ما تحمله إبلهم من الأمتعة فقط أذلّةً خاسئين[٢].

وغنم المسلمون أموالاً وسلاحاً كثيراً ولكن الرسول(صلى الله عليه وآله) جمع المسلمين وعرض عليهم رأيه في أن تكون الغنائم للمهاجرين خاصة كي يتحقّق لهم شيء من الاستغناء المادّي إلّا سهل بن حنيف وأبا دجانة وكانا من فقراء الأنصار فأعطاهما النبيّ (صلى الله عليه وآله) من هذه الغنائم سهماً[٣].

٩ ـ مناوشات عسكرية بعد أُحد :

لقد ساد الهدوء والاستقرار أجواء المدينة واضطرب المنافقون من انكشاف أساليبهم ومكرهم وأيقنوا أنّ الدور القادم هو دور تحطيمهم. وفي

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ٥٧ (ذكر غزوة بني النضير)، إمتاع الأسماع: ١ / ١٨٧ (سبب غزوة بني النضير).

(٢) وصفت سورة الحشر أحداث جلاء بني النضير.

(٣) راجع تاريخ الطبري٢: ٢٢٤-٢٢٦ (حوادث السنة الرابعة للهجرة ذكر خبر جلاء بنينضير)، الكامل في التاريخ: ١٧٣-١٧٤ (ذكر حوادث السنة الرابعة للهجرة).

هذا الظرف وردت أخبار للنبيّ(ﷺ) بأنّ غطفان تعدّ العدّة لغزو المدينة فأسرع النبيّ (ﷺ) والمسلمون في الخروج إليهم ولكنهم فوجئوا بالعدو قد أعدّ نفسه واستعدّ لملاقاتهم فتهيّب كل من الفريقين الآخر ولم يقع أي قتال. وفي هذه الغزوة صلّى النبيّ(ﷺ) صلاة الخوف بالمسلمين إذ لم يتسنَّ لهم الغفلة عن العدوّ برهة من الزمن، وعاد المسلمون إلى المدينة دون قتال ، وسميت هذه الغزوة بـ(ذات الرقاع)[1].

١٠ ـ بدر الموعد (بدر الصفراء)

مرّت الأيّام الحرجة على المسلمين بسرعة وقد ازدادوا خبرة قتالية وتنزّلت عليهم أحكام الشريعة فتهذّبت العلاقات، وانتظمت شؤون حياتهم في عامة جوانبها وازداد الإيمان رسوخاً وثباتاً، وبرزت نماذج رائعة من الصمود والتضحية والفداء والإخلاص للدين الإسلامي وللأُمة المسلمة، وأوشكت أن تنمحي آثار الانكسار في أُحد. وحلّ موعد التهديد الذي أطلقه زعيم الكفر أبو سفيان في أُحد حين قال: موعدنا وموعدكم بدر، قاصداً الانتقام لقتلىٰ المشركين يوم بدر. فخرج النبيّ (ﷺ) في ألف وخمسمائة مقاتل من أصحابه وعسكر هناك ثمانية أيّام ولم تفلح مساعي المشركين لتخويف المسلمين وثنيهم عن الخروج بل تملّكهم الخوف حين علموا بما عزم عليه النبيّ(ﷺ) والمسلمون فاضطر أبو سفيان إلى أن يخرج إلى الموعد المحدد ولكنه كرّ راجعاً بحجّة الجفاف والجدب المؤثر على الاستعداد

---

(١) راجع الطبقات الكبرىٰ ٢: ٦١ (غزوة ذات الرقاع)، تاريخ الطبري ٢: ٢٢٧-٢٢٨ (ذكر حوادث السنة الرابعة للهجرة خبر ذات الرقاع) الكامل في التأريخ ٢: ١٧٤-١٧٥ (حوادث السنة الرابعة للهجرة).

العسكري[١]. وبذلك وصمت قريش بعار الهزيمة والجبن وارتفعت معنويات المسلمين واستردّوا عافيتهم ونشاطهم.

وبعد فترة قليلة أفادت الأخبار بأنّ سكان دومة الجندل يقطعون الطريق ويتجهزون لغزو المدينة، فخرج النبيّ(صلى الله عليه وآله) بألف من المسلمين للقائهم، وما أن سمعوا بخروجه إليهم حتّىٰ لاذوا بالفرار مخلّفين وراءهم ماكان معهم من غنائم فاستولىٰ عليها المسلمون دون قتال[٢].

١١ ـ غزوة بني المصطلق ودور النفاق :

وردت أخبار جديدة تفيد بأنّ الحارث بن أبي ضرار ـ زعيم بني المصطلق ـ يعدّ لغزو المدينة فاستوثق النبيّ (صلى الله عليه وآله) ـ كعادته قبل كل تحرك ـ من صدق الخبر وندب المسلمين فخرجوا إليهم والتقوا عند ماء يدعىٰ «المريسيع» ونشبت الحرب ففرّ المشركون بعد قتل عشرة أشخاص منهم، وغنم المسلمون غنائم كثيرة وسُبيت أعداد كبيرة من عوائل بني المصطلق، كانت من بينهم جويرية بنت الحارث فأعتقها النبيّ (صلى الله عليه وآله) ثم تزوجها، وأطلق المسلمون ما في أيديهم من الأسرى إكراماً لرسول الله(صلى الله عليه وآله) ولها.

وفي هذه الغزوة كادت أن تقع فتنة بين المهاجرين والأنصار بسبب بعض النعرات القبليّة ولمّا علم النبيّ (صلى الله عليه وآله) بذلك قال «**دعوها فإنها فتنة**». وأسرع عبد الله بن أُبي رأس النفاق يبتغي الفتنة ويؤجج الخلاف فوجّه اللّوم لمن حوله من أهل المدينة إذ آووا ونصروا المهاجرين ثمّ قال: أما والله لئن

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٥٩-٦٠ (غزوة بدر الموعد)، تاريخ الطبري ٢: ٢٣٠ (ذكر حوادث السنة الرابعة للهجرة خبر غزوة بدر الموعد)، الكامل في التاريخ ٢: ١٧٥-١٧٦ (أحداث السنة الرابعة للهجرة).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٦٢ (غزوة دومة الجندل)، إمتاع الأسماع ١: ٢٠١ - ٢٠٢ (ذكر غزوة دومة الجندل).

رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل، وكادت أن تفلح مساعى ابن أُبي لولا أنّ النبيّ (ﷺ) ـ بعد أن توثق من تحريض ابن أبيّ ونفاقه ـ أمر بالعودة إلى المدينة على وجه السرعة رافضاً رأي عمر بن الخطاب بقتل ابن أُبي إذ قال وهو يردّ اقتراحه بالقتل(ﷺ): «**فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟! لا**». ولم يأذن النبيّ(ﷺ) بالاستراحة في الطريق فسار بالمسلمين يوماً وليلة ثمّ أذن لهم بالاستراحة فأخلد الجميع للنوم من شدة التعب ولم تتح فرصة للتحدث وتعميق الخلاف. وعلى أبواب المدينة طلب عبد الله بن عبد الله بن أُبي الإذن من النبيّ (ﷺ) في قتل أبيه بيده لئلّا يكلّف النبيّ أحداً غيره من المسلمين خشية أن تثيره العاطفة فيثأر لأبيه فقال نبيّ الرحمة له: «**بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا**». ثم وقف عبدالله (الأبن) ليمنع أباه من دخول المدينة إلّا بإذن من الرسول الأكرم (ﷺ)، وفي هذا الظرف نزلت سورة المنافقين لتفضح سلوكهم ونواياهم[1].

١٢ ـ إبطال أعراف جاهلية :

برحمة فياضة وبطيب قلب مفعم بالحبّ للإنسانية وقف النبيّ (ﷺ) ذات يوم وقال لقريش: «**يا من حضر إشهدوا أن زيداً هذا ابني**». وانتقل زيد من رقّ العبودية إلى بنوّة أكرم خلق الله وآمن زيد بالنبيّ المرسل (ﷺ) من أوّل أيّام البعثة المباركة إيماناً صادقاً. ومضت الأيام حتى بلغ زيد مرحلة الرجولة في

(١) راجع المغازي للواقدي ١: ٤٠٤-٤٠٥ و ٤١٦- ٤٢١ (ذكر غزوة المريسيع)، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٨٩-٢٩٣ (ذكر غزوة بني المصطلق)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٦٣-٦٥ (غزوة رسول الله ﷺ المريسيع)، تاريخ الطبري ٢: ٢٦٠-٢٦٣ (أحداث السنة السادسة للهجرة غزوة بني المصطلق)، الكامل في التاريخ ٢: ١٩٢-١٩٤ (حوادث السنة السادسة للهجرة)، إمتاع الأسماع ١: ٢٠٤-٢١٠ (ذكر غزوة المريسيع)، سبل الهدىٰ والرشاد ٤: ٣٤٤-٣٥٠ (الباب ٢٨ ذكر غزوة بني المصطلق).

ظل رعاية النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) وبجرأة الثائر العظيم والمصلح الكبير اختار النبيّ(صلى الله عليه وآله) زينب بنت جحش (ابنة عمّة النبيّ) زوجاً لزيد، فامتنعت أن تتنازل عن مكانتها الاجتماعية ونسبها الرفيع لتتزوج رجلاً سبق له أن كان رقّاً. ولكن إيمانها الصادق دفعها لتستجيب لأمر الله تعالىٰ حيث يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[١].

وبذلك ضرب الرسول (صلى الله عليه وآله) مثالاً رائعاً للقضاء على الأعراف الجاهلية البالية تطبيقاً لقيم الرسالة الخالدة. ولكن تفاوت الثقافة وتنافر الطباع حالا دون نجاح تجربة رائدة في مجتمع كان لا يزال يعاني من ترسّبات الجاهلية. وتدخّل النبيّ(صلى الله عليه وآله) ليصلح ما فسد محاولاً أن لا يصل إلىٰ طريق مسدود فقال لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[٢] وتكررت شكوى زيد من زينب فكان آخرها الطلاق.

ثم نزل الأمر الإلهي ليبطل ما تعارف عليه العرب من اعتبار الأدعياء ـ أي من ادّعي بنوّتهم ـ أبناءً فقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٣]، وأبقى لهم حقّ الموالاة والأُخوة في الدين.

وأراد الله سبحانه أن ينسف هذا العُرف الباطل فأمر نبيّه(صلى الله عليه وآله) أن يتزوج زينب بعد طلاقها من زيد وإكمال عدّتها ، بعد أن نزلت الآيات الكريمة الّتي تحثّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) على إبطال هذا العرف الجاهلي وأن لا يخشىٰ الناس بل يمضي في تطبيق أحكام الله تعالى بكل شجاعة[٤].

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٦.

(٢) الأحزاب (٢٣): ٣٧.

(٣) الأحزاب (٣٣) : ٤.

(٤) راجع تفسير القمي٢: ١٧٢-١٧٣ (قصة زيد)، تفسير الصافي ٤: ١٦٣-١٦٤ (في تفسير سورة الأحزاب)، الطبقات الكبرىٰ٣: ٤٢-٤٣ (ذكر زيد الحبّ)، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٣٤٨-٣٤٩ (ذكر من اسمه زيد تحت رقم ٢٣٣١)، أُسد الغابة ٢: ٢٢-٢٢٦ (باب زيد بن حارثة).

الفصل الثالث

تظاهر قوىٰ الشرك والرد الإلهي الحاسم

تحالف قوى الشرك وغزوة الخندق :

أشرفت السنة الخامسة علىٰ الانقضاء وكانت كل الأحداث والتحركات العسكرية التي خاضها المسلمون تهدف الى الدفاع عن كيان الدولة الفتيّة، وتوفير الأمن في المدينة وما حولها . وأفرزت الأحداث تنوعاً وتعدداً في الجهات والأطراف المعادية للدين وللدولة الإسلامية. فسعىٰ اليهود لاستثمار هذا العداء المتعدّد الأطراف بتوجيهه وتمويله وإثارة النزعة العدائية عند الأطراف بغية استئصال الوجود الإسلامي من الجزيرة، ومن ذلك أنهم أشاعوا عند المشركين الذين تساءلوا عن مدى أفضلية الدين الإسلامي على الشرك ، بأن الوثنية خير من دين الإسلام[1] وتمكنوا من جمع قبائل المشركين وتعبئتهم وسوقهم صوب المدينة عاصمة الدولة الإسلامية. وسرعان ما وصل الخبر الى مسامع النبيّ(ﷺ) وهو القائد المتحفز اليقظ والمدرك لكل التحركات السياسية، من خلال عيونه الثقات.

---

(١) كما ورد في قوله تعالى في الآية : ٥١ من سورة النساء.

واستشار النبيّ (صلى الله عليه وآله) أصحابه في معالجة الأمر وتوصلوا الى فكرة حفر خندق يحصّن الجانب المكشوف من المدينة. وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع المسلمين ليشاركهم في حفر ذلك الخندق بعد تقسيم العمل بينهم وكان يحضّهم بقوله: «**لا عيش إلّا عيش الآخرة اللهم إغفر للأنصار والمهاجرة**»[١].

ولم يخل الأمر عن دور للمنافقين والمتقاعسين عن العمل رغم الهمة والحماس الذي أظهره المخلصون من المسلمين[٢].

وأحاطت قوى الأحزاب المشركة البالغة نحو عشرة آلاف مقاتل بالمدينة يمنعها الخندق وتسيطر عليها الدهشة لهذا الأُسلوب الدفاعي الذي لم تكن تألفه من قبل. وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) في ثلاثة آلاف مقاتل ونزل في سفح جبل سلع ووزّع المهام والأدوار لمواجهة الطوارئ[٣].

وبقيت الأحزاب تحاصر المدينة ما يقرب من شهر عاجزين عن اقتحامها، وكانت هناك مواقف رائعة للمسلمين[٤].

وكان بطلها الأوحد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد توّج النبيّ (صلى الله عليه وآله) موقف عليّ بن أبي طالب البطولي عندما خرج لمبارزة صنديد من صناديد العرب ـ هو عمرو بن عبد ود ـ بعد أن أحجم المسلمون جميعاً عن مبارزته والخروج إليه بقوله (صلى الله عليه وآله): «**برز الإيمان كلّه الى الشرك كلّه**»[٥].

---

(١) راجع المغازي الواقدي ١: ٤٤٥-٤٥٣ (ذكر غزوة الخندق)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١٠٩-١١٠ (ذكر غزوة الأحزاب)، سبل الهدىٰ والرشاد ٤: ٣٦٤-٣٦٦ (ذكر غزوة الخندق).

(٢) نزلت آيات من القرآن الكريم تفضح السلوك التخاذلي وتدعم مركزية العمل بوجود الرسول القائد (صلى الله عليه وآله). راجع سورة الأحزاب، الآيات: ١٢ ـ ٢٠.

(٣) راجع المغازي الواقدي ١: ٤٤٥-٤٤٤ (ذكر غزوة الخندق)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١١٧ (ذكر غزوة الأحزاب).

(٤) بحار الأنوار ٢٠: ٢٠٢، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١٢٠ (ذكر غزوة الأحزاب)، سبل الهدىٰ والرشاد ٤: ٣٧٧ (غزوة الأحزاب).

(٥) كنز الكراجكي: ١٣٧، الطرائف لابن طاووس: ٣٥، بحار الأنوار ٢٠: ٢١٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي←

وحاول المشركون الاستعانة بيهود بني قريظة بالرغم من أنّهم كانوا قد تعاهدوا مع رسول الله (ﷺ) ان لا يدخلوا في حرب ضد المسلمين، وتيقّن الرسول القائد (ﷺ) من عزيمة اليهود على المشاركة في القتال وفتح جبهة داخليّة ضدّ المسلمين فأرسل اليهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فرجعا مؤكدَين الخبر فكبّر الرسول (ﷺ) قائلاً: «**الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح**»(١).

الضغط على المسلمين:

لقد تعرض المسلمون لضغوط عديدة أثناء الحصار منها:

١ ـ تناقص الأقوات (المواد الغذائية) حتى بدا شبح المجاعة يدنو من المسلمين(٢).

٢ ـ صعوبة الظروف الجوّية حيث البرد القارس في ليالي الشتاء الطويلة.

٣ ـ الحرب النفسيّة المريرة التي شنّتها جيوب المنافقين في صفوف المسلمين وتخذيلهم عن القتال وتخويفهم من مغبّة الاستمرار في الصمود.

٤ ـ السهر المستمر طوال مدة الحصار حذراً من الهجوم المباغت، فقد أتعب ذلك السهر المسلمين لقلّة عدد المقاتلين من المسلمين إذا ما قيس الى كثرة قوّات الأحزاب المحاصرة للمدينة.

٥ ـ غدر بني قريظة حيث أصبح خطراً حقيقياً يهدد قوات المسلمين داخل الحصار ويزيدهم قلقاً على سلامة أهاليهم داخل المدينة.

← الحديد ١٣: ٢٦١ و ١٩: ٦١.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١١٩ (ذكر غزوة الخندق)، سبل الهدىٰ والرشاد ٤: ٣٧٤ (ذكر غزوة الخندق).

(٢) راجع تفسير القمي ٢: ١٨٦ ـ ١٨٧ في تفسير سورة الأحزاب (غزوة الخندق).

هزيمة العدو:

لقد كانت قوى الأحزاب ذات نوايا وأهداف متخالفة، فاليهود كانوا يحاولون استعادة نفوذهم على المدينة بينما كانت قريش مندفعة لاستعادة مجدها معبّئة بعدائها للرسول الذي كان قد خرج من قبضتها وللرسالة التي أخذت تنتشر بسرعة فائقة. وكانت غطفان وفزارة وغيرها من القبائل طامعة في محاصيل خيبر التي قد وعدها اليهود لهم. هذا من جانب. ومن جانب آخر أحدثت قسوة ظروف الحصار كللاً ومللاً في نفوس الأحزاب الى جانب ما واجهوه من التحصين غير المترقّب من المسلمين وما أبدوه من ثبات واستقامة ضد الأحزاب وما قام به «نُعيم بن مسعود» من إحداث شرخ في تحالف الأحزاب واليهود إذ أقدم ـ بعد إسلامه ـ على مناصرة الرسول(صلى الله عليه وآله) قائلاً: مرني ماشئت فقال له (صلى الله عليه وآله): **«أنت فينا رجل واحد، فَخَذِّل عنا ما استطعت فإنّ الحرب خدعة»**.

وأرسل الله سبحانه وتعالى على الأحزاب ريحاً عاتية باردة أحدثت فيهم رعباً وقلقاً فاقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم، فنادىٰ أبو سفيان بقريش للرحيل فأخذوا معهم من المتاع ما استطاعوا حمله وفرّوا هاربين وتبعتهم سائر القبائل حتى إذا أصبح الصباح لم يبق أحد منهم[1] ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[2].

(١) مجمع البيان للطبرسي ٨: ١٣٤-١٣٥ (في تفسير سورة الأحزاب)، بحار الأنوار ٢٠، ٢٠٧-٢٠٨، تاريخ الطبري: ٢: ٢٤٢- ٢٤٣ (ذكر حوادث سنة ٥ للهجرة غزوة أُحد)، الكامل في التاريخ ٢: ١٨٢-١٨٤ (ذكر حوادث سنة ٥ للهجرة)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١٢٨-١٢٩ (غزوة الأحزاب).

(٢) الأحزاب (٣٣): ٢٥، ونزلت سورة الأحزاب وفيها تفاصيل ما جرىٰ يوم الخندق.

غزو بني قريظة وتصفية يهود المدينة :

لقد كشف يهود قريظة عن الحقد والعداء الذي انطوت عليه نفوسهم يوم الخندق . ولولا أنّ الله أخزى الأحزاب لتمكن يهود بني قريظة من الفتك بالمسلمين والطعن بهم من خلف ظهورهم فكان لابد للرسول (صلى الله عليه وآله) من معالجة موقفهم الخائن، ولهذا أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يتحرك المسلمون لمحاصرة اليهود في حصونهم من دون أن يعطي فرصة للاستراحة مظهراً بذلك أهمية الحركة العسكرية الجديدة فأذّن المؤذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينّ العصر الّا في بني قريظة.

وأعطى النبيّ (صلى الله عليه وآله) رايته لعليّ(عليه السلام) وتبعه المسلمون مع ما بهم من ألم الجوع والسهر والجهد من أثر محاصرة الأحزاب... واستولى الهلع والخوف على اليهود حين رأوا الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمين يحيطون بهم وأيقنوا أنّ النبيّ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم.

وطلب اليهود أبا لبابة بن عبد المنذر ـ وكان من حلفائهم من الأوس ـ يستشيرونه في أمرهم ولكنه كشف لهم عمّا كان يعلمه من مصيرهم حين قاموا إليه صغاراً وكباراً يبكون. ولم يقبل النبيّ (صلى الله عليه وآله) عرض بني قريظة وهو الارتحال عن المدينة من دون عقوبة بسبب موقفهم الخياني وأبىٰ إلّا النزول على حكم الله ورسوله، وحاول الأوس ـ بطلب من اليهود ـ التوسط لدى النبيّ(صلى الله عليه وآله) فقال(صلى الله عليه وآله): **ألا ترضون أن أجعل بيني وبين حلفائكم رجلاً منكم؟** قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال(صلى الله عليه وآله): **فقولوا لهم أن يختاروا من الأوس من شاؤوا.** فاختار

اليهود سعد بن معاذ حَكَماً وكان هذا من سوء حظ اليهود؛ لأن سعداً جاءهم يوم تجمعت الأحزاب طالباً منهم الحياد في الموقف فأبوا ذلك. وكان سعد جريحاً فحملوه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستقبله الرسول وقال لمن حوله: **قوموا إلى سيدكم**، فقاموا إليه. ثم حكم سعد بقتل الرجال وسبي النساء والذراري وتقسيم الأموال على المسلمين، فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله): **لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة.**

ثمّ إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قسّم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس، للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم، ثم أعطىٰ الخمس الى زيد بن حارثة وأمره أن يشتري بها خيلاً وسلاحاً وغيرها من عدّة الحرب استعداداً للمهام اللاحقة[1].

* * *

(١) تفسير القمّي ٢: ١٨٩-١٩١ (في تفسير سورة الأحزاب)، بحار الأنوار ٢٠: ٢٣٣-٢٣٧، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٣٤-٢٤٠ (ذكر غزوة بني قريظة)، تاريخ الطبري ٢: ٢٤٥-٢٥٠ (ذكر حوادث السنة الخامسة للهجرة غزوة بني قريظة)، الكامل في التأريخ ٢: ١٨٥-١٨٧ (ذكر حوادث السنة الخامسة للهجرة) مع تفاوت وإختلاف يسيرٍ باللفظ فيها.



الباب الخامس

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

مرحلة الفتح

الفصل الثّاني :

الإسلام خارج الجزيرة

الفصل الثّالث :

تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة

الفصل الرّابع :

أيّام الرسول الأخيرة

الفصل الخامس :

من معالم الرسالة الإسلامية الخاتمة

الفصل السّادس :

تراث خاتم المرسلين(صلى الله عليه وآله)

الفَصِلُ ٱلأَوَّلُ

مـرحلـة الفتـح

١ـ صلح الحديبية :

كادت السنة السادسة للهجرة أن تنقضي وكانت تلك السّنة بالنسبة للمسلمين سنة جهاد مستمر ودفاع مستميت. واهتم المسلمون بنشر الرسالة الإسلامية وبناء الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي الصالح وتكوين الحضارة الإسلامية. وقد أدرك كل من كان في الجزيرة العربية عظمة هذا الدين وعرف أنّ من المستحيل استئصاله والقضاء عليه، فالصراع مع قريش ـ وهي أكبر قوة سياسية وعسكرية آنذاك ـ ومع اليهود وباقي القوىٰ المشركة لم يمنع من انتشار الإسلام وسطوع قيمه .

ولم يكن البيت الحرام ملكاً لأحد أوحكراً لمذهب أو أصحاب معتقد معيّن، فقدكانت هنالك أصنام وأوثان متعددة يحجّ إليها من يعتقد بها، إلّا أنّ طغيان قريش وعتوّها صدّ النبيّ (ﷺ) والمسلمين عن زيارة البيت الحرام.

وفي هذه الفترة أدرك النبيّ (ﷺ) حرج موقف قريش تجاه الإسلام الذي لم تستطع القضاء عليه، فقرر أن ينطلق بالمسلمين في رحلة عبادية مؤدياً العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته للدعوة الإسلامية ويوضح ما يمكنه

من مفاهيم العقيدة الإسلامية ومعالمها واحترامها وتقديسها للبيت الحرام، وتكون حركته هذه مرحلة انفتاح رسالي جديد وعهد انتقال من مرحلة الدفاع الى مرحلة الانتشار والهجوم.

سلك الرسول (صلى الله عليه وآله) وأصحابه طريقاً وعراً ثم هبطوا إلى منطقة سهلة تدعىٰ بـ «الحديبية» فبركت ناقة رسول الله فقال (صلى الله عليه وآله): **«ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل بمكة»**، فأمر النبيّ(صلى الله عليه وآله) المسلمين بالنزول فيها، وقال: **«لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلّا أعطيتهم إياها»**، ولكنّ قريشاً بقيت تترصد المسلمين ووقف فرسانها في طريقهم، ثم بعثت إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله) بديل بن ورقاء في وفد من خزاعة لتستعلم هدف النبيّ (صلى الله عليه وآله) وتصدّه عن دخول مكّة، وعاد الوفد ليقنع قريشاً أنّ السلم والعمرة هدف النبيّ (صلى الله عليه وآله)[1].

واستكبرت قريش وبعثت بوفد آخر يرأسه الحليس ـ سيد الأحابيش ـ فلما رآه النبيّ(صلى الله عليه وآله) مقبلاً قال: **«إن هذا من قوم يتألهون»** (أي يعظمون الله). فلما رأى الحليس الهدي رجع الى قريش من دون أن يلتقي بالنبيّ(صلى الله عليه وآله) ليقنع قريشاً انّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمين جاءوا معتمرين . ولكن لم تقتنع قريش فأرسلت مسعود بن عروة الثقفي الذي انبهر من مشهد المسلمين وهم يتسابقون لالتقاط القطرات المتناثرة من وضوئه(صلى الله عليه وآله) فعاد الى قريش قائلاً: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل «محمّد(صلى الله عليه وآله)» في أصحابه،

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٠٢ (ذكر عمرة الحديبية). بحار الأنوار ٢٠: ٣٣٠ ـ ٣٣١، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٠ ـ ٣١١ (ذكر تجنب الرسول صلى الله عليه وآله قريش في طريق الحديبية)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٩٥ ـ ٩٦ (ذكر غزوة الحديبية).

ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء قط فروا رأيكم[١].

وقد أعرب النبيّ (ﷺ) عن احترامه للأشهر الحرم من خلال رحلة المسلمين العباديّة حيث لم يحملوا معهم سوى سلاح المسافر، كما دعا القبائل المجاورة أن يكونوا الى جانب المسلمين في هذه الرحلة رغم أنهم لم يكونوا مسلمين مؤكداً أنّ العلاقة بين الإسلام وباقي القوى غير قائمة على أساس الحرب. واستنفر النبيّ (ﷺ) ألفاً وأربعمائة مسلم ـ على أقل التقادير ـ وساق الهدي أمامه (سبعين بعيراً). وبلغ قريشاً نبأ خروج النبيّ (ﷺ) والمسلمين لأداء العمرة فأصبحت قريش في ضيق من أمرها وكان أمامها طريقان: إما أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة وبذلك يتحقق للمسلمين أملهم في زيارة البيت الحرام ويحظىٰ المهاجرون بالاتصال بأهلهم وذويهم وربما دعوتهم الى الإسلام، أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكّة وبذلك ستتعرض مكانة قريش للاهتزاز وتكون محطّاً للوم القبائل الأُخرى بسبب سوء معاملتها لقوم مسالمين يبتغون أداء مناسك العمرة وتعظيم الكعبة.

لقد أبت قريش إلّا العتو والمعاندة فأخرجت مجموعة من فرسانها تقدّر بمائتي فارس بقيادة خالد بن الوليد لمواجهة النبيّ (ﷺ) والمسلمين. ولما كان النبيّ (ﷺ) قد خرج محرِماً لا غازياً قال: **«ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»**.

ثمّ أمر بالعدول عن طريق فرسان قريش تجنباً لوقوع قتال تتخذه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٢-٣١٤ (الحليس رسول قريش و عروة بن مسعود)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١٩٠-١٩١ (ذكر غزوة الحديبية).

قريش ذريعة لصحة موقفها وفخراً لها. وأرسل النبيّ (صلى الله عليه وآله) خراش بن اُمية الخزاعي ليفاوض قريشاً في الأمر، فعقروا ناقته وكادوا أن يقتلوه. ولم ترع قريش حرمة ولاذمة للأعراف والتقاليد. ولم تلبث قريش أن كلّفت خمسين رجلاً للتحرّش بالمسلمين عسىٰ أن يبدر منهم ما ينفي صفة السلم عنهم. وفشلت خطّتها وتمكّن المسلمون من أسرهم فعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنهم مؤكداً بذلك هدفه السلمي[1].

وأراد النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يبعث الى قريش رسولاً آخر ـ ولم يتمكّن من إرسال علي بن أبي طالب ممثّلاً عنه؛ لأنّ علياً كان قد وتر قريشاً بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام، فانتدب عمر بن الخطاب ولكن عمر خاف من قريش على نفسه رغم أنه لم يقتل فرداً من أفرادها واقترح على النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يرسل عثمان بن عفان ؛ لكونه أموياً وذا قرابة مع أبي سفيان. وتأخر عثمان في العودة من قريش واُشيع خبر مقتله، فكان هذا إنذاراً بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكّة. ولم يجد الرسول (صلى الله عليه وآله) بدّاً من التهيّؤ للقتال، وهناكانت بيعة الرضوان إذ جلس النبيّ (صلى الله عليه وآله) تحت شجرة وأخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامة والثبات مهماكلف الأمر، وهدأ استنفار المسلمين بعودة عثمان[2] .

وأرسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة النبيّ (صلى الله عليه وآله).

---

(١) تأريخ الطبري٢: ٢٧٠-٢٧١ و ٢٨٧و٢٧٣ (ذكر حوادث السنة السادسة للهجرة قصة الحديبية)، الكامل فيالتأريخ ٢: ٢٠٠-٢٠١ و ٢٠٣ (ذكر حوادث السنة السادسة للهجرة).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٥-٣١٦ (عثمان رسول محمّد صلى الله عليه وآله الى قريش و بيعة الرضوان)، تاريخ الطبري ٢: ٢٧٩-٢٨٠ (ذكر حوادث السنة السادسة للهجرة غزوة الحديبية)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٠٣ (ذكر حوادث السنة السادسة للهجرة).

شروط الصلح :

وبسبب تشدد «سهيل» في شروط الصلح كادت المفاوضات أن تفشل، وأخيراً تمّ الاتفاق على عدّة شروط للصلح، هي:

١ ـ تعهّد الطرفين بترك الحرب عشر سنين ، يأمن فيها النـاس ويكـفّ بعضهم عن بعض.

٢ ـ مَن أتىٰ محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومَن جاء قريشاً ممّن مع « محمّد » لم يردّوه عليه.

٣ ـ مَن أحبّ أن يدخل في عقد «محمّد» وعهده دخل فيه ومَن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ ـ يرجع « محمّد » بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكّة، وإنما يدخل مكّة في العام القادم فـيقيم فـيها ثـلاثة أيّـام ليس مـعه سـوىٰ سـلاح الراكب، والسيوف في القِرَب.

٥ ـ لا يُستكره أحد على ترك دينه ويـعبد المسـلمون الله بـمكة عـلانية وبحرية وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة وأن لا يؤذىٰ أحد ولا يعيّر.

٦ ـ لا إسلال (سـرقة) ولا إغـلال (خـيانة) بـل يـحترم الطـرفان أمـوال الطرف الآخر.

٧ ـ لا تعين قريش على « محمّد » وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح[1].

---

(١) تفسير القمي٢: ٣١٣ (سورة الفتح ذكر صلح الحديبية)، مجمع البيان للطبرسي٩: ١٩٧-١٩٨ (تفسير سورة الفتح ذكر حديبية)، بحار الأنوار ٢٠: ٣٥٢/ح ٤، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٧-٣١٨ (ذكر علي يكتب ←

ولم يرضَ نفر من المسلمين ببنود الصلح، فاعترضوا على النبيّ (صلى الله عليه وآله) متصوّرين أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) قد تراجع أمام قريش ولم يدركوا أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) مسدد من الله وأنه ينظر بعين متطلّعة الى مستقبل الرسالة الإسلامية ومصالحها العليا. وردّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) على المعترضين بقوله: «**أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني**»[1]. وأقرّ النبيّ ماكرهه بعض المسلمين حيث كانوا يتصوّرون تنازل النبيّ لقريش، وجاءت قضية تسليم أبي جندل لقريش[2] ـ حيث جاء ليلتحق بالمسلمين في ظرف الصلح ـ إثارة جديدة في ظرفٍ مليء بالتوتّر النفسي عند بعضهم.

ولكن هذا الصلح كان في الواقع فتحاً مبيناً وكبيراً للمسلمين على خلاف ماكان يبدو للبعض من ظاهر بنود الصلح ؛ إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بعد قليل.

وفي طريق الرجوع الى المدينة نزلت آيات القرآن الكريم[3] لتؤكد البعد الحقيقي للصلح مع زعيمة الوثنية، وتبشّر المسلمين بدخول مكّة قريباً.

← الصلح)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٩٧(ذكر غزوة الحديبية)، تاريخ الطبري ٢: ٢٨١، (ذكر حوادث السنة السادسة للهجرة غزوة الحديبية)، سبل الهدىٰ والرشاد٥: ٥٢ (ذكر الهدنة وكيف جرىٰ الصلح يوم الحديبية).

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٦-٣١٧ (عمر ينكر علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله الصلح)، سبل الهدىٰ والرشاد ٥: ٥٢ (ذكر هدنة الحديبية).

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢٨١-٢٨٢ (ذكر حوادث سنة ٦ للهجرة غزوة الحديبية)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٠٤-٢٠٥ (ذكر حوادث سنة ٦ للهجرة)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١٩٣ (ذكر غزوة الحديبية).

(٣) راجع سورة الفتح (٤٨): ١ ـ ٧ و ١٨ ـ ٢٨ .

نتائج صلح الحديبية :

١ ـ اعترفت قريش بكيان المسلمين كقوة عسكرية وسياسية منظمة، وكدولة حقيقية جديدة.

٢ ـ دخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين وتصاغر دورهم، وظهر ضعفهم عند المواجهة.

٣ ـ أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام ودخلت قبائل كثيرة في الإسلام. وقد كان رسول الله (ﷺ) يتوقّع منذ بدء حركته الرسالية الإسلامية أن تترك قريش له فرصة يعبّر فيها بحرّية عن موقفه، ويشرح الإسلام للناس بأمان.

٤ ـ أمن المسلمون جانب قريش فحوّلوا ثقلهم وجهودهم لمواجهة اليهود وسائر المناوئين.

٥ ـ جعلت مفاوضات الصلح حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليهم.

٦ ـ مكّن الصلح النبيّ(ﷺ) من أن يراسل الملوك ورؤساء الدول خارج الجزيرة لدعوتهم إلى الإسلام، وأن يستعدّ لغزوة مؤتة، كخطوة لنقل الإسلام خارج منطقة الجزيرة العربية.

٧ ـ مهّد الصلح لفتح مكّة ـ الّتي كانت أهم قلاع الوثنية حين ذاك ـ في مراحل لاحقة.

٢ ـ انطلاقة الرسالة الإسلامية الى خارج المدينة :

لقد كانت محاولات قريش للقضاء على الإسلام فيما مضى عاملاً لانشغال النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمين في معارك الدفاع والتحصين وتثبيت أركان الدولة والمجتمع الإسلامي عدة سنين، فلم يستطع خلالها أن يبلّغ بحريّة تامّة رسالته السماوية العالمية والخاتمة لكل الأديان. ولكن بتوقيع معاهدة صلح الحديبية أمن الرسول جانب قريش وأتاحت هذه العملية فرصة مناسبة لأن يبعث الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) سفراءه الى زعماء القوىٰ الكبرىٰ المحيطة بالجزيرة العربية، والى كل رؤساء المجاميع في الجزيرة وخارجها، يدعوهم الى الإسلام بعد بيان التعاليم الإلهية لهم.

فقد روي أنه (صلى الله عليه وآله) قال في أصحابه: **«أيها الناس إنّ الله قد بعثني رحمة وكافّة فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسىٰ بن مريم»**.

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): **«دعاهم الى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلّم وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل»**[١].

وانطلقت رسل الدعوة والهداية تنقل أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى نقاط العالم المختلفة[٢].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣:٦٠٦ (ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وآله الىٰ الملوك) وذكر الحديث الطبري في تاريخه ٢: ٢٨٩ (ذكر حوادث سنة ٦ للهجرة) بتفاوت باللفظ.

(٢) قد عدّ علماء الإسلام ما يقارب من (١٨٥) كتاباً ورسالة بعثها رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى كل القوىٰ يدعوها إلى الإسلام. راجع : مكاتيب الرسول لعليّ بن حسين علي الأحمدي .

٣ ـ غزوة خيبر [*]:

بجهود صادقة وبحنكة كبرى وشجاعة فائقة وتسديد إلهي ارتقىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالمسلمين سُلّم الوعي الرسالي والثبات والخير وزرع فيهم روح الصبر والتواصل.. وانطلق (صلى الله عليه وآله) برسالته السماوية إلى العالم الإنساني خارج الجزيرة العربية من خلال كتبه ورسله الى زعماء القوىٰ المجاورة.

وتوقع النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن تكون ردود الفعل مختلفة فقد يكون بعضها هجوماً عسكرياً يقصد المدينة مستعيناً بما فيها من بقية جيوب المنافقين واليهود وهم الذين حفل تأريخهم بالغدر والخيانة .

وكانت خيبر تمثّل حصناً قوياً ومركزاً كبيراً لليهود ولهذا قرر النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يقضي على هذه القوة المتبقّية، فلم يلبث بعد عودته من الحديبية إلّا أيّاماً قلائل حتى جهّز جيشاً بلغ تعداده ألفاً وستمائة من المسلمين مؤكداً لهم أن لا يخرجوا في ابتغاء الغنيمة وقال (صلى الله عليه وآله): **«لا يخرجنّ معنا إلّا راغب في الجهاد»**[1].

واتّبع النبيّ (صلى الله عليه وآله) أُسلوباً يوهم حلفاء اليهود ويمنعهم عن المبادرة لنصرتهم؛ تجنباً لمزيد من القتال.

فباغتت قوات المسلمين حصون اليهود يتقدمها عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) حاملاً راية رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وامتنعت اليهود في حصونهم المنيعة بخطة محكمة كانوا قد اتّبعوها، ثم

(*) وقعت هذه الغزوة في شهر جمادى الآخرة من السنة السابعة للهجرة، راجع الطبقات الكبرى ٢: ١٠٦ (ذكر غزوة خيبر)، الكامل في التأريخ ٢: ٢١٦ (حوادث سنة ٧ للهجرة).

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٠٦ (غزوة خيبر)، سبل الهدىٰ والرشاد٥: ١١٥ (ب ٢٥ في غزوة خيبر).

دارت مناوشات متعددة تمكّن المسلمون خلالها من احتلال عدة مواقع مهمة. على أنّ القتال اشتدّ وطالت مدّة الحصار وعانىٰ المسلمون من قسوة الجوع حتى أنهم أكلوا طعاماً غير مستساغ[١].

وأعطى رسول الله (ﷺ) رايته الى عددٍ من الصحابة ليتم الفتح على أيديهم فلم يحقّقوا إلّا الفرار والفشل. ولمّا بلغ الجهد بالمسلمين قال النبيّ (ﷺ): **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»**.

ودعا في اليوم التالي عليّاً وأعطاه الراية فتمّ الفتح على يديه وسُرّ المسلمون والنبيّ (ﷺ) جميعاً[٢]، وصالح رسول الله (ﷺ) البقية الباقية من اليهود بعد استسلامهم على نصف ثمار مزارعهم التي أصبحت ملكاً للمسلمين، ولم يعاملهم كما عامل بني النضير وبني القينقاع وبني قريظة؛ إذ لم تعد قوة اليهود الباقية ذات أثر مهم في المدينة.

٤ ـ محاولة اغتيال النبيّ (ﷺ):

لقد قررت جماعة في الخفاء قتل النبيّ (ﷺ) غيلةً شفاءاً لحقدهم الدفين

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٣٠-٣٣٢ (إفتتاح الحصون)، دلائل النبوة للبيهقي ٤: ٢٠٠-٢٠٤ (مسيره لغزو خيبر).

(٢) راجع الإرشاد للمفيد ١: ١٢٥-١٢٧ (فصل في غزوة خيبر)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٠٧-٢٠٨ (غزوة خيبر)، كشف الغمة ١: ٢١٢ (ذكر غزوة خيبر)، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٣٤-٣٣٥ (شأن عليّ عليه السلام يوم خيبر)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ١١١-١١٢ (غزوة خيبر)، تاريخ الطبري ٢: ٣٠٠-٣٠١ (ذكر حوادث السنة السابعة للهجرة غزوة خيبر)، دلائل النبوة للبيهقي ٤: ٢٠٨-٢١٣ (باب ماجاء في بعثه ﷺ السرايا للحصون) ذكر فيها عده طرق، الكامل في التأريخ ٢: ٢١٩-٢٢٠ (حوادث السنة السابعة للهجرة).

وإرضاءاً لنزعاتهم العدوانية ولهذا أهدت زينب بنت الحارث ـ زوجة سلام بن مشكم اليهودي ـ الى النبيّ(ﷺ) شاة مشوية ودسّت السمّ فيها وأكثرت منه في ذراعها إذكانت تعلم أنّ النبيّ (ﷺ) يحبّ الذراع من الشاة.

فلمّا وضعتها بين يديه أخذ (ﷺ) الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ولفظها، بينما مات بشر بن البراء بن معرور بعد أن ابتلع مضغة أُخرى منها.

وعفا النبيّ (ﷺ) عنها بعدما اعترفت له بذلك زاعمة أنها كانت تريد اختبار نبوّته، ولم يلاحق النبيّ(ﷺ) الذين تواطأوا معها[١].

٥ ـ استسلام أهالي فدك :

وتهاوت أوكار الخيانة أمام صولات الحقّ والعدل، فما أن تمّ نصر الله في خيبر حتى قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله (ﷺ) يصالحونه على نصف محاصيل فدك، وأن يعيشوا تحت راية الحكم الإسلامي، مطيعين مسالمين فوافق رسول الله (ﷺ) على ذلك.

وبهذا أصبحت فدك ملكاً لرسول الله (ﷺ) خاصة بحكم القرآن لأنها مما لم يوجف عليه بخيل ولا سلاح إذ أعلنت استسلامها للنبيّ(ﷺ) من دون تهديد أو قتال[٢]. وقد وهب رسول الله (ﷺ) فدكاً لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام)[٣].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٣٨-٣٣٧ (ذكر أمر الشاة المسمومة)، تاريخ الطبري ٢: ٣٠٣ (ذكر حوادث السنة السابعة للهجرة غزوة خيبر).

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٩: ٢٠٣ (في تفسير سورة الفتح قصة خيبر)، بحار الأنوار ٢١: ٦، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٥٣ (أمر فدك فيخيبر)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٢١ (ذكر حوادث السنة السابعة للهجرة).

(٣) الكافي ١: ٥٤٣/ ح ٥ (باب الفيء والانفال)، أمالي الصدوق: ٦١٩/ ح ٨٤٣، المقنعة للمفيد: ٢٨٩ (كتاب الزكاة والخمس، ب ٣٨).

وبهذا تمّ تطهير أرض الجزيرة العربية من جيوب الخيانة وتخلّصت من فتن اليهود الذين جُرّدوا من أسلحتهم ووضعوا تحت حماية القانون والدولة الإسلامية.

وفي يوم فتح خيبر أقبل جعفر بن أبي طالب من الحبشة، فاستقبله رسول الله وقبّل ما بين عينيه وقال: **بأيهما أُسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**[١].

٦ ـ عمرة القضاء:

انقضت أيّام الهدنة والنبيّ(صلى الله عليه وآله) والمسلمون في عمل دؤوب متواصل لتركيز دعائم الحكم الإسلامي، ولم تحدث تحركات عسكرية مهمة بعد فتح خيبر سوىٰ خروج سرايا تبليغية، أو تأديبية لبعض العناصر التي كانت تظهر الشغب.

ومضىٰ عام على صلح الحديبية إلتزم خلاله الطرفان ببنود الاتفاق وحلّ الوقت الذي أصبح النبيّ والمسلمون في حلٍّ من عهدهم لزيارة بيت الله الحرام، فنادىٰ منادي الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يتجهز المسلمون لأداء عمرة القضاء. وخرج مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ألفان من المسلمين لا يحملون سلاحاً إلّا السيوف في القِرَب، وكان من حيطة النبيّ وحذره من احتمال الغدر أن جهّز مجموعة مسلّحة عند (مرّ الظهران) ليكونوا القوّة المستعدة للدفاع عند الطوارئ.

ولما وصل النبيّ (صلى الله عليه وآله) ذا الحليفة أحرم هو وأصحابه وساق معه ستين

(١) الخصال: ٧٧ / ح ١٢١ (باب الاثنين)، بحار الأنوار ٢١: ٢٣ / ح ١٧، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٥٩ (ذكر قدوم جعفر)، الطبقات الكبرى ٢: ١٠٨، (ذكر غزوة خيبر).

بدنة، وقدّم الخيل أمامه، وكانت نحواً من مائة بقيادة محمد بن مسلمة. وخرج زعماء مكّة ومن تبعهم الى رؤوس الجبال والتلال المجاورة المطلة على مكّة زاعمين أنهم لا يريدون النظر الى وجه النبيّ(ﷺ) ولا إلى أصحابه، ولكن جلالة الرسول(ﷺ) وهيبة منظر المسلمين الذين كانوا قد احتفّوا بالرسول وهم يرددون التلبية بهرت عيونهم وتركتهم مذهولين ينظرون إلى النبيّ(ﷺ) والمسلمين وهم يؤدون مناسكهم.

وطاف النبيّ (ﷺ) حول البيت على راحلته التي كان يقودها عبدالله بن رواحة وأمر المسلمين أن ينادوا بصوتٍ عال: **«لا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعَزَّ جنده وهزم الأحزاب وحده»**.

فدوّىٰ النداء في مكّة وشعابها فانصدعت قلوب المشركين رعباً وتملّكهم الغيظ والحقد من مظاهر النصر الإلهي للنبيّ(ﷺ) الذي خرج منهم طريداً قبل سبع سنين.

وأتمّ النبيّ (ﷺ) والمسلمون مناسك العمرة، وأيقنت قريش بقوة الإسلام والمسلمين وأيقنت بكذب من أخبرها أنّ النبيّ (ﷺ) ومن معه في جهد وتعب وضيق وحرج بسبب الهجرة إلى المدينة.

وصعد بلال على ظهر الكعبة وأعلن نداء التوحيد مؤذّناً لصلاة الظهر بمظهر روحاني بهيج أغاظ رؤوس الكفر من قريش... وقد كانت مكّة كلّها تحت تصرف المسلمين.

وتفرق المهاجرون فيها وهم يصحبون إخوتهم الأنصار يزورون دورهم التي غادروها في سبيل الله ويلتقون بأهليهم وذويهم بعد فراق طويل.

وأمضىٰ المسلمون ثلاثة أيام في مكّة ثمّ غادروها بموجب الاتفاق الذي كان بينهم وبين قريش بعد أن رفضت طلب النبيّ (صلى الله عليه وآله) بأن يتمّ مراسم زواجه من «ميمونة» خائفين من ازدياد قوة النبيّ (صلى الله عليه وآله) واختراق الإسلام لمجتمع مكّة من خلال طول مكث النبيّ (صلى الله عليه وآله) فيها.

وخلّف النبيّ (صلى الله عليه وآله) أبا رافع ليحمل إليه زوجته «ميمونة» حين يمسي، لأنّ المسلمين قد خرجوا قبل صلاة الظهر من مكّة[١].

* * *

---

(١) راجع المغازي للواقدي ٢: ٧٣٣-٧٤٠ (غزوة القضية)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٧٠-٣٧٢، (عمرة القضاء)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٢٠-١٢٣ (عمرة رسول الله صلى الله عليه وآله، القضية)، دلائل النبوة للبيهقي ٤: ٣١٣-٣٢٩ (باب ما جاء في عمرة القضية).

الفصل الثاني

الإسلام خارج الجزيرة

١ ـ معركة مؤتة*:

عزم النبيّ (صلى الله عليه وآله) على بسط الأمن في شمال الجزيرة العربية، ودعوة أهلها إلى الإسلام ثمّ الإنطلاق نحو الشام. من هنا بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغسّاني فقتله.

وفي الفترة نفسها بعث الرسول(صلى الله عليه وآله) مجموعة من المسلمين يدعون الى الإسلام فعدا عليهم أهل منطقة «ذات أطلاح» من الشام وقتلوهم وبلغ خبر مقتلهم الرسول فتألم لذلك كثيراً وانتدب (صلى الله عليه وآله) المسلمين للخروج، فأعدّ جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل وأمّر عليه زيد بن حارثة ثمّ جعفر بن أبي طالب، ثمّ عبد الله بن رواحة. وخطب فيهم قائلاً: **«أُغزوا بسم الله ... أُدعوهم إلى الدخول في الإسلام ... فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ...**

وإلّا فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً مرضعاً ولا كبيراً فانياً، لا تغرقنّ نخلاً ولا تقطعنّ شجراً

(*) وقعت معركة مؤتة في جمادى الأُولىٰ من السنة الثامنة للهجرة.

ولاتهدموا بيتاً»[١].

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) معهم مودّعاً حتّى بلغ ثنية الوداع.

ولما بلغ جيش المسلمين منطقة «مشارق» فوجئ بالعدّة والعدد الضخم لجيش الروم إذ بلغ عددهم مائتي ألف مقاتل فانحاز المسلمون الى مؤتة وعزموا على مقاومة العدو. ولأسباب عديدة بان الانكسار في جيش المسلمين فقُتل القادة الثلاثة جميعاً[٢]. وكان من عوامل الانكسار أنهم كانوا يقاتلون في منطقة غريبة عليهم وبعيدة عن مركز الإمدادات كما أنهم كانوا يقاتلون مهاجمين والروم بالعدد الضخم يقاتلون مدافعين، هذا مضافاً إلى التفاوت في الخبرة القتالية فجيش الروم قوة منظمة مارست حروباً سجالاً أمّا جيش المسلمين فكان قليل العدد والخبرة، فتيّاً في تكوينه.

ولقد تألّم رسول الله(صلى الله عليه وآله) لمقتل جعفر بن أبي طالب وبكاه بشدة، وذهب(صلى الله عليه وآله) الى بيت جعفر يعزّي أهله ويواسي أبناءه، كما حزن كثيراً على زيد بن حارثة[٣].

٢ ـ فتح مكّة* :

لقد اختلفت ردود فعل القوى في المنطقة بعد معركة مؤتة، فالروم فرحوا

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٥٨-٦٠ / ح ١١، المغازي للواقدي ٢: ٧٥٥-٧٥٦ و٧٥٨ (غزوة مؤتة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٦١-٦٢ و ٦٥ (شرح غزوة مؤتة).

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٠-٧٦٢ (غزوة مؤتة)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٧٥و ٣٧٧-٣٧٩، (ذكر غزوة مؤتة)، تاريخ الطبري ٢: ٣١٩-٣٢١ (حوادث السنة الثامنة غزوة مؤتة).

(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ١١٣ / ح ٥٢٧ (باب التعزية)، بحار الأنوار ٢١: ٥٥ / ح ٧.

(*) تم فتح مكّة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، راجع تأريخ الطبري٢: ٣٢٣ (حوادث السنة الثامنة للهجرة، الكامل في التأريخ ٢: ٢٣٩ (حوادث السنة الثامنة للهجرة).

من انسحاب المسلمين وعدم تمكّنهم من دخول الشام.

أما قريش فقد سادهم الفرح وانبعثت فيهم الجرأة على المسلمين وأخذوا يسعون لنقض صلح الحديبية عبر الإخلال بالأمن فحرّضوا قبيلة بني بكر على بني خزاعة ـ بعد أن دخلت قبيلة بني بكر في حلف قريش وخزاعة في حلف النبيّ(ﷺ) إثر صلح الحديبية ـ وأمدّوها بالسلاح ، فعدت بكر على خزاعة غيلة وقتلوا عدداً من أفرادها وهم في ديارهم آمنين، وكان بعضهم في حال العبادة ففزعوا إلى رسول الله (ﷺ) طالبين النصرة، ووقف عمرو بن سالم بين يدي رسول الله (ﷺ) ـ وهو جالس في المسجد ـ ينشد أبياتاً يعرض فيها نقض العهد. فتأثّر الرسول(ﷺ) وقال: **نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم.**

أما قريش فقد انتبهت وأدركت سوء فعلتها وقد تملّكها الخوف والهلع من المسلمين فاجتمع رأيهم على إيفاد أبي سفيان الى المدينة ليجدد الصلح ويطلب تمديد المدّة من النبيّ (ﷺ).

ولكن النبيّ (ﷺ) لم يصغ لطلب أبي سفيان وسأله قائلاً: هل كان من حدث؟ قال أبو سفيان: معاذ الله ، فأجابه النبيّ (ﷺ): **نحن على مدّتنا وصلحنا.**

لكن أبا سفيان لم يهدأ له بال ولم يقنع بل أراد أن يستوثق ويأخذ عهداً وأماناً من رسول الله (ﷺ) فسعىٰ لتوسيط مَن يؤثّر على النبيّ (ﷺ) فقابله الجميع بالرفض واللامبالاة.

فلم يجد إلّا أن يقفل راجعاً بالخيبة الى مكّة وقد ضاقت الأُمور على قوىٰ الشرك حيث تبدّلت الظروف ، فالنبيّ(ﷺ) يطلب مكّة فاتحاً، بعدّة تتزايد وإيمان يترسخ ، وقريش تطلب الأمان والسلامة في دمائها وأموالها، وقد سنحت الفرصة بنقض الصلح. وتكاد تكون مكّة آخر خطوة لتتم سيطرة الإسلام على الجزيرة العربية برمّتها.

وأعلن النبيّ (ﷺ) النفير العام، وتوافدت عليه جموع المسلمين ملبّية نداءه، فجهّز جيشاً قارب عدده عشرة آلاف رجل. واجتهد النبيّ (ﷺ) أن يكتم قصده وهدفه إلّا على الخاصة وكان يدعو الله قائلاً : **«اللهم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها»**.

ويبدو أنّ النبيّ (ﷺ) كان يود أن يتحقق النصر المؤزّر سريعاً دون إراقة قطرة دم ، متخذاً أُسلوب المباغته. ولكن الخبر تسرّب الى رجل كان قد ضعف أمام عواطفه فكتب الى قريش كتاباً بذلك وبعثه مع امرأة توصله. ونزل الوحي يخبر النبيّ (ﷺ) بذلك فأمر عليّاً والزبير بأن يلحقا المرأة ويسترجعا الكتاب، وانتزع علي بن أبي طالب بقوة إيمانه برسول الله (ﷺ) الكتاب من المرأة[1] بعد أن كانت تنكر ذلك .

ولمّا استلم الرسول (ﷺ) الكتاب جمع المسلمين في المسجد ليثير هممهم ويحذّر من مسألة الخيانة من جانب ويبيّن من جانب آخر أهميّة كبت العواطف مرضاةً لله. وقام المسلمون يدفعون حاطب بن أبي بلتعة صاحب الكتاب الذي حلف بالله أنه لم يقصد الخيانة وانفعل عمر بن الخطاب وطلب من النبيّ أن يقتله فقال له : **«وما يُدريك يا عمر لعلّ الله اطلع على أهل بدر وقال لهم إعملوا ما شئتم فلقد غفرت لكم»**[2].

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٤٦٨-٤٦٩ في تفسير سورة النصر، بحار الأنوار ٢١: ١٠٠-١٠٢، تاريخ الطبري ٢: ٣٢٤-٣٢٨ (حوادث السنة الثامنة للهجرة ذكر فتح مكّة)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٣٩-٢٤٢ (ذكر حوادث السنة الثامنة للهجرة).

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٧٩٨ (فتح مكّة)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٩٩ (كتاب حاطب) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٨ (حوادث السنة الثامنة للهجرة)، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٧ (باب ماجاء في كتاب حاطب)، سيرة المصطفىٰ: ٥٧٩ .

تحرك الجيش الإسلامي نحو مكّة :

وتحرّك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان باتجاه مكّة المكرمة، ولما بلغ مكاناً يدعىٰ «الكديد» طلب النبيّ (ﷺ) ماءاً فأفطر به أمام المسلمين وأمرهم أن يفطروا لكنّ بعضاً منهم عصوا الرسول القائد ولم يفطروا فغضب من عصيانهم وقال عنهم: «**أولئك العصاة**» وأمرهم أن يفطروا[١].

ولما وصل النبيّ (ﷺ) إلى «مرّ الظهران» أمر المسلمين أن ينتشروا في الصحراء ويوقد كل منهم ناراً. وهكذا أضاء الليل البهيم وظهر المسلمون كجيش عظيم تضيع أمامه كل قوىٰ قريش مما أقلق العباس بن عبد المطلب ـ وهو آخر المهاجرين إذ التحق بركب رسول الله في منطقة الجحفة ـ فتحرك يبحث عن وسيلة يبلغ بها قريشاً أن تأتي مسلمة قبل دخول الجيش عليها.

وفجأة سمع صوت أبي سفيان يحادث بديل بن ورقاء مستغرباً وجود هذه القوة الكبيرة على مشارف مكّة. وارتعد أبو سفيان خوفاً حين أخبره العباس بزحف النبيّ (ﷺ) بجيشه لفتح مكّة، ولم يجد أبو سفيان بدّاً من اصطحاب العباس لأخذ الأمان من رسول الله (ﷺ).

ولم يكن بوسع ينبوع العفو والرّحمة أن يبخل بإجازة جوار عمّه لأبي سفيان فقال لعمّه: «**إذهب فقد أمناه حتى تغدو به عليّ**».

استسلام أبي سفيان :

ولما مثل أبو سفيان بين يدي النبيّ (ﷺ) قال له : «**ويحك يا أبا سفيان ألم**

---

(١) المغازي للواقدي٢: ٨٠٢ (غزوة الفتح)، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ٢٥ (باب خروج النبيّ ﷺ لغزوة الفتح)، السيرة الحلبية ٣: ٧٧ (فتح مكّة).

يأن لك أن تعلم أنـه لا إله إلّا الله؟» فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأُمي ما أحـلمك، وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد. فقال(صلى الله عليه وآله): «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟**» قال: بأبي أنت وأُمّي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما والله فإنّ في النـفس مـنها حتى الآن شيئاً.

وتدارك العباس الموقف ليضغط على أبي سفيان ليسلم وقال له: ويـحك أسلم واشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله قبل أن تـقتل. فشـهد أبـو سفيان الشهادتين خوفاً من القتل، ودخل في عداد المسلمين.

واستسلم مـن بـقي مـن زعـماء المشـركين بـعد اسـتسلام أبـي سـفيان، ولكن النبيّ(صلى الله عليه وآله) استتماماً للضغط النفسي عـلى قـريش كـي تسـتسلم دون إراقة دماء قال للعباس: «**يا عبّاس إحبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها**».

ولإشاعة الاطمئنان والثقة برحمة الإسلام ورحمة الرسول القائد وإرضاء لغرور أبي سفيان كي لا يكابر قال (صلى الله عليه وآله): «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن**».

ومرّت جنود الله تعبر المضيق والعباس يعرّف الكتائب التي تمر وأبـو سفيان قد أخذته الدهشة حتى قال: والله يا أبا الفضل، لقـد أصـبح مـلك ابـن أخيك عظيماً فأجابه العباس: يا أبا سفيان إنها النبوة. وتردد أبـو سـفيان فـي الجواب فقال: فنعم إذن. ثمانطلق أبو سفيان إلىمكّة ليحذّر أهلها ويعلن أمان رسول الله(صلى الله عليه وآله)[1].

---

(١) المغازي للواقدي٢ :٨١٦–٨٢٠ (فتح مكّة)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٤٠٢–٤٠٥ (ذكر قصة إسلام أبي سفيان)، تاريخ الطبري ٢: ٣٣٠–٣٣٢(ذكر حوادث السنة الثامنة للهجرة فتح مكّة)، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ←

دخول مكّة :

أصدر رسول الله (ﷺ) أوامره الحكيمة بتوزيع مداخل القوات إلى مكّة مؤكداً عدم اللجوء إلى القتال إلّا رداً عليه. وأهدر (ﷺ) دماء عددٍ من المشركين ـ في كلّ الحالات ـ حتّىٰ لو وجدوهم متعلقين بأستار الكعبة، لعظيم جنايتهم ومعاداتهم للإسلام وللنبيّ (ﷺ).

وما أن لاحت بيوت مكّة حتّىٰ إغرورقت عينا النبيّ (ﷺ) بالدموع، ودخلت قوّات الإسلام الظافرة مكّة من جهاتها الأربع ومظاهر العزّ والنصر تجلّلها . ودخل الرسول الأكرم(ﷺ) مكّة مطأطئاً رأسه تعظيماً لله وشكراً له على ما منحه من الفضل والنعمة حيث دانت لرسالته ودولته أم القرىٰ، بعد طول جهد وعناء تحمّله(ﷺ) في سبيل إعلاء كلمة الله.

ورفض النبيّ(ﷺ) أن يدخل دار أحد من أهالي مكّة رغم كثرة عروضهم له، واغتسل بعد استراحة قصيرة وركب راحلته وكبّر فكبّر المسلمون فدوّىٰ الصوت في الجبال والوهاد ـ التي فرّ إليها بعض رؤوس الشرك خوفاً من الإسلام ونصره ـ وجعل يشير وهو يطوف في البيت إلى كل صنم موجود حوله ويقول: «**قل جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**»، فيسقط الصنم لوجهه[1].

ثم أمر النبيّ(ﷺ) عليّاً أن يجلس ليصعد هو على كتفه ولكن لم يستطع

← ٣٢-٣٥ (باب نزول رسول الله ﷺ الظهران)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٤٤-٢٤٦ (حوادث السنة الثامنة للهجرة) السيرة الحلبية ٣: ٧٨-٨١ (فتح مكّة).

(١) المغازي للواقدي ٢: ٨٢٥ و ٨٣١ - ٨٣٢، السيرة الحلبية ٣: ٨٣-٨٥-٨٦ (فتح مكّة).

عليّ أن يحمل النبيّ(صلى الله عليه وآله) على كتفه لكسر الأصنام فوق الكعبة، من هنا صعد عليّ على كتف ابن عمّه(صلى الله عليه وآله) وكسر الأصنام(١). ثم طلب النبيّ مفاتيح الكعبة وفتح بابها ودخلها ومسح ما فيها من صور. ثم وقف على بابها يخطب الجموع المتكاثرة خطبة الفتح العظيم فقال (صلى الله عليه وآله): **«لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدّعىٰ فهو تحت قدميّ هاتين، إلّا سدانة البيت وسقاية الحاج...** ثم قال (صلى الله عليه وآله): **يا معشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب...** ثم تلا قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾(٢) **يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟.**

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم فقال(صلى الله عليه وآله) : **إذهبوا فأنتم الطلقاء».**

ثم ارتقى بلال سطح الكعبة ليؤذّن لصلاة الظهر فصلى المسلمون بإمامة النبيّ(صلى الله عليه وآله) في المسجد الحرام أوّل صلاة بعد هذا الفتح(٣).

ووقف المشركون والحيرة تملكهم وتعلوهم الدهشة مشوبة بالخوف والحَذر. وخشيت الأنصار أن لا يرجع معها الرسول الكريم حين رأوا تفاعل النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع أهل مكّة، ووقفوا والأسئلة تدور فى مخيّلتهم والنبيّ(صلى الله عليه وآله) واقف يدعو الله، وقد علم ما يدور بينهم فالتفت إليهم قائلاً: **«معاذ الله المحيا**

---

(١) المناقب لابن شهر أشوب٢: ١٣٥ (فصل في الإستنابة)، البحار ٣٨: ٧٦-٧٧ / ح ١، تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٤ (ذكر من إسمه نعيم، رقم ٧٢٨٢)، ينابيع المودة للقندوزي٢: ٣٠٣-٣٠٤ / ح ٨٧٠، (ب ٥٦، المودة ٨).

(٢) الحجرات (٤٩) : ١٣.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ٨٣٤-٨٣٦ (فتح مكّة)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٤١٢-٤١٣ (طواف الرسول(صلى الله عليه وآله) بالبيت) وفيها تفاوت يسير باللفظ.

محياكم والممات مماتكم»، معلناً بذلك أنّ المدينة ستبقىٰ عاصمة الإسلام(١).

ثمّ أقبل الناس يبايعونه فبايعه الرجال، وتشفع عدد من المسلمين لدى النبيّ(صلى الله عليه وآله) ليعفو عمّن أهدر دمه فعفا وصفح.

وجاءت النساء لتبايع ـ فكانت المرأة تدخل يدها في قدح فيه ماء قد وضع الرسول (صلى الله عليه وآله) يده فيه ـ ﴿عَلَىٰ أَن لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾(٢) ولا يعصين النبيّ في معروف).

وغضب النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين عدت خزاعة ـ حليفة الرسول (صلى الله عليه وآله) ـ على رجل من المشركين فقتلته وقام (صلى الله عليه وآله) خطيباً فقال: «**يا أيها الناس إن الله حرّم مكّة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام الى يوم القيامة، لا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دماً أو يعضد فيها شجراً ..**»(٣).

ثم قال (صلى الله عليه وآله): «**فمن قال لكم إنّ رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلّها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة**».

وأكبرت قريش جميع مواقف النبيّ(صلى الله عليه وآله) من مكّة وأهلها من عطف ورحمة وسماحة وعفو واحترام وتقديس فمالت قلوبهم إليه وأقبلوا على الإسلام آمنين مطمئنين(٤).

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) سراياه الى أطراف مكّة وما حولها لهدم ما تبقّىٰ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٨: ٧١-٧٢ في ترجمة عبدالله بن رباح رقم ٣٢٨٩، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ٣٥١ (ذكر صفة دخول مكّة).

(٢) الممتحنة (٦٠): ١٢ .

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٦٤ (في تفسير الآية)، بحار الأنوار ٢١، ١١٣/ ح ٦.

(٤) المغازي للواقدي ٢: ٨٤٤- ٨٤٥ (فتح مكّة).

من الأصنام وأماكن عبادة المشركين فأخطأ خالد بن الوليد إذ قتل عدداً من قبيلة بنى جذيمة بعد استسلامهم ثأراً لعمّه وغضب النبيّ(صلى الله عليه وآله) حين علم بذلك وأمر عليّاً أن يأخذ أموالاً ويدفع دية المقتولين ثم قام (صلى الله عليه وآله) واستقبل القبلة رافعاً يديه وهو يقول: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد**»، وبذلك هدأت نفوس بني جذيمة[1].

٣ ـ غزوة حنين وحصار الطائف* :

أمضى النبيّ (صلى الله عليه وآله) خمسة عشر يوماً في مكّة فاتحاً فيها عهداً جديداً من التوحيد بعد أن كان يحكمها أهل الشرك، والغبطة والسرور يعمّان المسلمين، والأمان يلفّ أم القرىٰ، وترامت إلى أسماع النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن قبيلتي هوازن وثقيف قد أعدّتا العدّة لمحاربة الإسلام ظنّاً منهما أنّهما يُحققان ما عجزت عنه سائر قوى الشرك والنفاق من تدمير الإسلام، وعزم النبيّ (صلى الله عليه وآله) على الخروج لملاقاتهم ولكنه وطّد دعائم الإدارة في مكّة قبل خروجه كما هي سيرته عند كل فتح، فعيّن معاذ بن جبل ليعلّم الناس القرآن وأحكام الإسلام كما عيّن عتاب بن أسيد للصلاة بالناس وإدارة الأُمور.

وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) باثني عشر ألفاً من المقاتلين، وهي قوة لم يشهد المسلمون مثلها ممّا أدّى بهم الى الغرور والغفلة حتىٰ أنّ أبا بكر قال: لو لقينا

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٣٧-٢٣٨ / ح ٢٥٢، أمالي الطوسي: ٤٩٨/ ح ١٠٩٣، بحار ٢١: ١٤٢/ ح ٥، الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٤٧-١٤٨ (ذكر سرية خالد الىٰ بني جذيمة)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٥٥-٢٥٦ (حوادث السنة الثامنة للهجرة) .

(*) وقعت معركة حنين فى شوال من السنة الثامنة للهجرة (تاريخ الطبري٢: ٣٤٤ (حوادث السنة الثامنة للهجرة)، الكامل في التأريخ ٢: ٦١) (ذكر حوادث السنة الثامنة للهجرة).

بني شيبان لن نغلب اليوم من قلّة[١].

أما (هوازن) و (ثقيف) فقد تحالفتا وخرجتا بكامل عدّتهم مع نسائهم وأطفالهم وكمنوا لإرباك جيش المسلمين، وحين وصلت طلائع جيش المسلمين أطراف الكمين أرغموها على الفرار حتّىٰ فرّت باقي قوّات المسلمين فزعاً من أسلحة العدو، ولم يثبت مع رسول الله إلا تسعة أشخاص من بني هاشم عاشرهم أيمن (ابن أُم أيمن)[٢]. وفرح المنافقون وسرّوا سروراً عظيماً فخرج أبو سفيان يقول شامتاً: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال آخر: ألا بطل السحر اليوم. وعزم آخر على قتل النبيّ (ﷺ) في ذلك الوضع المضطرب[٣].

وأمر النبيّ (ﷺ) عمّه العبّاس أن يصعد على صخرة وينادي فلول المهاجرين والأنصار المدبرة قائلاً: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة، إليّ. أين تفرّون؟ هذا رسول الله!

وكأن وعياً قد عاد بعد غفلة وحماساً دبّ بعد فتور فعادوا يوفون بوعود النصرة والدفاع عن الإسلام والنبيّ (ﷺ)... ولما رأى النبيّ (ﷺ) حماسهم قال: **«الآن حمي الوطيس، أنا النبيّ لا كَذِب أنا ابن عبد المطلب»**. فأنزل الله السكينة على المسلمين وأيدهم بالنصر فولّت جموع الكفر منهزمة تاركة وراءها ستة الآف أسير وغنائم كبيرة[٤] جداً، وأمر النبيّ (ﷺ) أن تحفظ الغنائم وتراعى

(١) المغازي: ٢ / ٨٨٩، غزوة حنين، الطبقات الكبرىٰ: ٢ / ١٥٠ (غزوة حنين).

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١٤٠ (فصل في غزوة حنين)، بحار الأنوار ٢١: ١٥٥/ح ٦.

(٣) المغازي ٢: ٩١٠ (غزوة حنين)، تاريخ الطبري ٢: ٣٤٧-٣٤٨ (حوادث السنة الثامنة للهجرة غزوة حنين)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٦٣ (ذكر حوادث السنة الثامنة للهجرة).

(٤) نزلت آيات من سورة التوبة وهي توضح تأييد الله ونصره، وتلوم من اعتمد العدة والعدد واعتبرهما سبباً للنصر.

أحوال الأسرى حتى تتم ملاحقة العدو الفار الى منطقة أوطاس ونخلة والطائف(١).

وكان من سمو أخلاق النبيّ (صلى الله عليه وآله) وعظيم عفوه وسعة رحمته أن قال لأُمّ سليم: «**يا أُمّ سليم قد كفى الله، عافية الله أوسع**» وذلك حين طلبت منه قتل الذين فرّوا عنه وخذلوه(٢).

وفي موقف آخر، غضب النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين علم أنّ بعض المسلمين يقتل ذرّية المشركين غيظاً منهم فقال (صلى الله عليه وآله): «**ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية، ألا لا تقتل الذرية**»، فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله أليس هم أولاد المشركين. فقال (صلى الله عليه وآله): «**أوليس خياركم أولاد المشركين، كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها**»(٣).

وواصلت قوات المسلمين ملاحقتها للعدو حتى الطائف فحاصروهم بضعة وعشرين يوماً يترامون بالنبل من خلف الجدران والبساتين، ثمّ عدل النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن الطائف لاعتبارات كثيرة(٤).

وعند وصوله الى الجعرانة ـ وهو محل تجميع الأسرى والغنائم ـ قام إليه وفد هوازن يلتمسون العفو عنده فقالوا: يا رسول الله إنما في هذه الأسرىٰ

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٥١-١٥٢ (غزوة حنين).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٤٤٦ (ذكر شأن أُم سليم)، إمتاع الأسماع ٢:١٥ (تحريض أُم سليم)، سبل الهدىٰ والرشاد ٥: ٣٣٠ (ذكر ثبات أُم سليم).

(٣) امتاع الأسماع ٢: ١٥-١٦ (النهي عن قتل الذرية)، سبل الهدىٰ و الرشاد ٥: ٣٣١ (ذكر هزيمة المشركين يوم حنين).

(٤) الكامل في التأريخ ٢:٢٦٦ (ذكر حوادث السنة الثامنة للهجرة)، إمتاع الأسماع ٢: ٢٥و٢٣ (محاصرة الطائف)، سبل الهدىٰ والرشاد ٥: ٣٣٨و ٣٨٧ (ب ٢٩ غزوة الطائف).

عمّاتك وخالاتك اللاتي كن يكفلنك ـ حيث كان النبيّ (ﷺ) قد رضع في بني سعد وهم من هوازن ـ ولو أنا مالحنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثمّ نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين. فخيّرهم الرسول بين الأسرىٰ والمال فاختاروا الأسرى، ثم قال(ﷺ): «**أمّا ماكان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**». وأسرع المسلمون جميعاً يقتدون بالرسول القائد (ﷺ) ويهبون له مالهم من نصيب.

وبحكمة بالغة ودراية عميقة بنفوس الناس وسعياً لهداية الجميع وإطفاءاً لنار الحرب مَنَّ الرسول (ﷺ) بعفوه حتى على «مالك بن عوف» ـ مثير هذه الحرب ـ إن جاءه مسلماً فقال (ﷺ): «**أخبروا مالكاً إنّه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل**». وسرعان ما أسلم مالك[1].

توزيع الغنائم:

تدافع المسلمون على رسول الله (ﷺ) يلحّون عليه أن يقسّم الغنائم حتى ألجأوه إلى شجرة وأخذوا رداءه؛ فقال: «**ردّوا عليّ ردائي فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسّمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذّاباً**».

ثم قام وأخذ وَبرة من سنام بعيره فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها وقال: «**أيها الناس والله مالي في فيئكم ولا هذه الوبرة إلّا الخمس، والخمس مردود عليكم**» ثمّ

---

(١) المغازي للواقدي ٢:٩٤٩-٩٥١ و٩٥٤،(وفد هوازن)، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ١٩٨-١٩٥ (باب وفود هوازن)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٦٨-٢٦٩ (ذكر حوادث السنة الثامنة للهجرة)، سبل الهدىٰ الرشاد ٥: ٣٩٢-٣٩٣ و ٤٠٥ (قدوم وفد هوازن ورد السبي).

أمر أن يُردّ كل ما غنم حتى تكون القسمة عدلاً[١].

وبدأ الرسول(صلى الله عليه وآله) بإعطاء المؤلفة قلوبهم كأبي سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام. والحارث بن الحارث، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أُمية وغيرهم ممّن كان يعاديه ويحاربه بالأمس القريب من رؤوس الكفر والشرك، ثم قسّم عليهم حقّه من الخمس. على أنّ هذا الموقف قد أثار الحفيظة في نفوس بعض المسلمين جهلاً منهم بمصالح الإسلام وأهداف النبيّ(صلى الله عليه وآله) حتى قال أحدهم للنبي(صلى الله عليه وآله): لم أرك عدلت. فقال: «**ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟**» فأراد عمر بن الخطاب أن يقتله، فلم يأذن له النبيّ(صلى الله عليه وآله) وقال: «**دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من رميته**»[٢].

اعتراض الأنصار:

ورأى سعد بن عبادة أن يخبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بما يدور بين الأنصار من قولهم: لقي رسول الله قومه ونسي أصحابه. فجمع سعد الأنصار وأقبل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) يحدّثهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«**يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم؟! ألم آتكم ضُلّالاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى ، الله**

(١) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٤١ (ب ٤، ذكر توزيع غنائم هوازن)، بحار الأنوار ٢١: ١٧٤/ ح ٩، مسند أحمد٢: ١٨٤ (ما أسند عبدالله بن عمرو)، تاريخ الطبري ٢: ٣٥٨ (حوادث السنة الثامنة للهجرة غزوة حنين)، البداية و النهاية لابن كثير ٤: ٤٠٥ (قسمة غنائم هوازن).

(٢) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٤١ (ب ٤، ذكر توزيع غنائم هوازن)، البحار ٢١: ١٧٣-١٧٤/ ح ٩، مسند أحمد٢: ٢١٨ (ما أسند عبدالله بن عمرو)، تاريخ الطبري ٢: ٣٥٩ (حوادث السنة الثامنة للهجرة غزوة حنين)، البداية و النهاية لابن كثير ٤:٤١٦ (إعتراض أهل الشقاق).

ورسوله آمَنُ وأفضل، ثم قال: **ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟** قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): **أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم: أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلاً فآسيناك. وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألّفتُ به قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمّد بيده لولا الهجرة لكنت امرئً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شِعب الأنصار».**

فأثارت هذه الكلمات في قلوب الأنصار العاطفة والشعور بالخطأ في تصورهم عن الرسول (صلى الله عليه وآله) فضجوا بالبكاء وقالوا: رضينا يا رسول الله بك حظّاً وقسماً.

وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) بمَن معه من الجعرانة متّجهاً إلى مكّة في شهر ذي القعدة فأتمّ عمرته وحلّ من إحرامه واستخلف على مكّة عتّاب بن أسيد ومعه معاذ بن جبل وخرج متّجهاً إلى المدينة بمن معه من المهاجرين والأنصار[1] .

٤ ـ غزوة تبوك* :

أصبحت الدولة الإسلامية كياناً يهاب جانبه، وكان على المسلمين الحفاظ على حدوده وأراضيه حتى تبلغ الرسالة الإسلامية أرجاء الأرض.

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٩٥٦-٩٥٩ (شأن مسيره صلى الله عليه وآله الىٰ الجعرانة)، السيرة النبوية لابن هشام ٤:٤٠٠- ٥٠٠ (ذكر وجه الأنصار و عمرة الرسول صلى الله عليه وآله من الجعرانة)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٧١-٢٧٢ (حوادث السنة الثامنة للهجرة).

(*) كانت غزوة تبوك في رجب السنة التاسعة من الهجرة، تاريخ الطبري ٢: ٣٦٦ (حوادث السنة التاسعة خبر تبوك)، الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٦ (حوادث السنة التاسعة للهجرة).

واستنفر النبيّ (صلى الله عليه وآله) المسلمين من جميع نقاط الدولة الإسلامية استعداداً لحرب الروم إذ وردت أخبار تؤكد استعدادهم لغزو الجزيرة واسقاط الدولة ومحق الدين الإسلامي وصادف أن كان ذلك العام عام جدب وقلّة ثمار وكان الوقت صيفاً حاراً مما زاد من صعوبة الخروج لملاقاة عدوٍ قوي متمرّس كبير العدد والعدة. فتقاعس ذوو النفوس الضعيفة والمعنويات المتدنّية وبرز النفاق ثانية علانية ليثبّط العزائم ويخذل الإسلام.

وتخلّف بعض عن الالتحاق بالجيش لشدّة تعلّقهم بالدنيا، وبعض آخر احتجّ بشدّة الحر وآخرون لم يستطيعوا لشدّة ضعفهم وقلة إمكانات النبيّ (صلى الله عليه وآله) لحملهم معه رغم بذل المؤمنين الصادقين أموالهم للجهاد في سبيل الله.

وبلغ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّ المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود يثبّطون الناس ويخوّفونهم من اللقاء، فتعامل معهم بحزم وشدة فأرسل إليهم من يحرق عليهم دارهم ليكونوا عبرة لغيرهم[1].

وقد أنزل الله آيات[2] تفضح خطط المنافقين وتؤنّب المتقاعسين وتعذر الضعفاء؛ وبلغ عدد جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل[3] ـ على أقل تقدير ـ واستخلف النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّ بن أبي طالب في المدينة لما يعلم منه من حنكة وحسن تدبير وقوة يقين؛ إذ خشي الرسول (صلى الله عليه وآله) من قيام المنافقين بعمل تخريبي في المدينة، فقال (صلى الله عليه وآله): **«يا علي إن المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك»**[▣].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥١٦-٥١٧ (ذكر غزوة تبوك).

(٢) راجع سورة التوبة ٩: راجع الآية ٢٩ و ٣٨- ٥٧ و ٨١-٩٦.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ١٠٠٢ (غزوة تبوك)، إمتاع الأسماع ٢: ٥١ (عدّة المسلمين في غزوة تبوك).

(▣) الإرشاد للمفيد ١٥٥/١، (فصل في غزوة تبوك)، بحار الأنوار ٢١: ٢٠٨/ ح ١، المستدرك الحاكم: ٣٣٧← (في تخليف علي عليه السلام على المدينة).

الإعلان عن مكانة عليّ (عليه السلام) لدى النبيّ (صلى الله عليه وآله):

وأشاع المنافقون والذين في قلوبهم مرض حول بقاء عليّ بن أبي طالب في المدينة أُموراً إذ قالوا: إنّما تركه رسول الله استثقالاً له وتخففاً منه، سعْياً منهم للإثارة رجاء أن يخلو جو المدينة لهم فأسرع عليّ(عليه السلام) للالتحاق برسول الله (صلى الله عليه وآله) فلحق به على مقربة من المدينة وقال: **«يا نبيّ الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استثقلتني وتخفّفت مني».**

فقال (صلى الله عليه وآله): **«كذبوا ولكنني خلّفتك لما تركت ورائي فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»**[1].

جيش العسرة:

وانطلق جيش المسلمين في طريق وعر طويل وقد أوضح لهم الرسول هدف المسيرة خلافاً لماكان في الغزوات الماضية. وكان يتخلف عنه في الطريق جماعة ممن خرجوا معه من المدينة فكان يقول (صلى الله عليه وآله) لأصحابه: **«دعوه فإن يكن به خير فسيلحقه الله بكم وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه»**[2].

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٥٦ (فصل في غزوة تبوك)، بحار الأنوار ٢١: ٢٠٨ / ح١، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥١٩-٥٢٠ (في شأن علي عليه السلام في تبوك)، تاريخ الطبري ٢: ٣٦٨ (حوادث السنة التاسعة للهجرة غزوة تبوك)، تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣١ (باب غزاة النبيّ صلى الله عليه وآله)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٧٨ (حوادث السنة التاسعة للهجرة) إمتاع الأسماع ٢: ٥٠ (تخليف علي عليه السلام في غزوة تبوك)، سبل الهدىٰ والرشاد ٥: ٤٤١ (ذكر من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥٢٣ (شأن أبي ذر رضي الله عنه)، تاريخ الطبري ٢: ٣٧١ (حوادث السنة التاسعة للهجرة غزوة تبوك)، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ٢٢١ (باب لحوق أبي ذر يوم تبوك).

وأسرع النبيّ(صلى الله عليه وآله) في السير حين مرّ على أطلال قوم صالح وقال لأصحابه وهو يعظهم: «**لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلّا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم**»، ونهاهم عن استعمال الماء من هذه المنطقة وحذّرهم من خطورة الظروف الجوية فيها[١]، وللصعوبات التي أحاطت بهذه الغزوة من حيث الماء والغذاء والنفقة والظهر (الخيل والإبل) فقد سمّي هذا الجيش بـ «جيش العسرة».

ولم يجد المسلمون جيش الروم؛ إذ كان قد تفرّق جمعهم، وهنا استشار الرسول القائد أصحابه في ملاحقة العدو أو العودة إلى المدينة فقالوا: إن كنت اُمِرت بالسير فسِرْ. فقال (صلى الله عليه وآله): «**لو اُمرت به ما استشرتكم فيه**»[٢]. وهنا قرّر النبيّ(صلى الله عليه وآله) العودة إلى المدينة.

واتصل الرسول (صلى الله عليه وآله) بزعماء المنطقة الشمالية للجزيرة وعقد معهم معاهدة عدم تعرّض واعتداء بين الجانبين وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد إلى دومة الجندل خوفاً من تعاون زعيمها مع الروم في هجوم آخر وتمكّن المسلمون من أسر زعيمهم وحمل الغنائم الكثيرة[٣].

محاولة اغتيال النبيّ (صلى الله عليه وآله):

أقفل النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمون راجعين إلى المدينة بعد أن أمضوا بضعة عشر يوماً في تبوك، وتحرك الشيطان في نفوس جمع ممّن لم يؤمن بالله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام٤: ٢ / ٥٢١-٥٢٢، (النبيّ والمسلمون بالحجر)، عيون الأثر ابن سيّد الناس ٢: ٢٥٦ (غزوة تبوك) السيرة الحلبية٣: ١٣٣- ١٣٤ (ذكر غزوة تبوك).

(٢) المغازي للواقدي ٢: ١٠١٩ (غزوة تبوك)، تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣٧ (باب مغازي الرسول صلى الله عليه وآله امتاع الأسماع ٢: ٦٢ (المشورة في المسير).

(٣) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٦٦، (غزوة تبوك)، امتاع الأسماع ٢: ٦٣-٦٤ (غزوة أكيدر بدومة الجندل).

ورسوله فعزموا على اغتيال الرسول (ﷺ) وذلك بتنفير ناقته عند مرورها عليهم ليطرحوه في وادٍ كان هناك.

وحين وصل الجيش الى العقبة (بين المدينة والشام) قال (ﷺ): «**من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم**» فأخذ الناس بطن الوادي وسلك هو طريق العقبة وكان يقود ناقته عمار بن ياسر ويسوقها حذيفة بن اليمان، فرأى النبيّ (ﷺ) في ضوء القمر فرساناً قد تلثّموا ولحقوا به من ورائه في حركة مريبة فغضب (ﷺ) وصاح بهم وأمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم؛ فتمالكهم الرعب وعرفوا بأن النبيّ (ﷺ) قد علم بما أضمرته نفوسهم ومؤامرتهم فاسرعوا تاركين العقبة ليخالطوا الناس ولا تنكشف هويّتهم.

وطلب حذيفة من الرسول(ﷺ) أن يبعث إليهم من يقتلهم بعد ما عرفهم من رواحلهم ولكن رسول الرحمة عفا عنهم وأوكل أمرهم إلى الله تعالى(١).

من نتائج غزوة تبوك:

١ ـ لقد برز المسلمون كقوة كبيرة منظمة، تملك العقيدة القوية فتهابهم الدول المجاورة والديانات الأُخرىٰ وكان هذا إنذاراً حقيقياً لكل القوى في خارج البلاد الإسلامية وداخلها بعدم التعرض للإسلام والمسلمين.

٢ ـ ضمن المسلمون (من جهة الشمال) أمن هذه المنطقة عن طريق

---

(١) التبيان للطوسي ٥: ٢٦٠-٢٦١ (تفسير سورة التوبة)، مجمع البيان ٥: ٩٠-٩١ (تفسير سورة التوبة)، بحار الأنوار: ٢١، ٢٤٧ / ح ٢٥، المغازي للواقدي ٢: ١٠٤٢ (ذكر غزوة أكيدر بدومة الجندل)، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ٢٥٦-٢٥٧ (باب رجوع النبيّ ﷺ من تبوك)، مجمع الزوائد ١: ١١٠ (باب في نية المنافق).

المعاهدات مع زعماء المناطق الحدودية.

٣ ـ استفاد المسلمون من قدرتهم علىٰ تعبئة جيش كبير في العدّة والعدد وازدادت خبرتهم في التنظيم والإعداد، وكانت الرحلة الى تبوك بمثابة استطلاع ميداني استفاد منه المسلمون في المراحل اللاحقة.

٤ ـ كانت غزوة تبوك اختباراً لمعنويات المسلمين وتمييزاً للمنافقين وفرزهم عن سائر المسلمين.

٥ ـ مسجد ضرار :

لقد جاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالشريعة السمحاء ودين التوحيد وعمل جاهداً أن يبني الإنسان الصالح والمجتمع السليم وفق التعاليم الربانية، ولقد خاض كل المحن والابتلاءات والمعارك من أجل تطهير الإنسان من دنس الشرك ووساوس الشيطان والأمراض النفسية.

وتحركت نوازع الحسد والبغض لدى مجموعة من المنافقين فعمدوا الى بناء مسجد في مقابل مسجد (قباء) زاعمين أنّه لذوي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وأسرعوا الى النبيّ (صلى الله عليه وآله) يطلبون منه أن يصلّي فيه ليضفي الشرعية على عملهم فأخّر الاستجابة لأنه كان على استعداد للخروج الى تبوك، فلمّا رجع من تبوك نزل الأمر الإلهي بالنهي عن الصلاة في هذا المسجد لأنّه كان عاملاً لتفريق كلمة المسلمين والإضرار بالأُمة، وشتان بين بنيان أُسس على التقوى وآخر للإضرار بالمسلمين ومن هنا أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بهدمه وإحراقه[1].

(١) تفسير الإمام العسكري: ٤٨٣ (بناء مسجد ضرار)، التبيان للطوسي ٥: ٣٠٠ (سورة التوبة)، المغازي ←

٦ ـ عام الوفود :

أضحت سيطرة الإسلام على الجزيرة أمراً واضحاً. ولم يكن رسول الله (ﷺ) ليلجأ إلى القوة والقتال إلّا بعد إعذار وإنذار، بل وفي أكثر الوقائع كان قتال المسلمين دفاعاً، على أنّ بعض قوى الشرّ والشرك لا تعي الحقّ ولا تنصاع إليه بالقوّة والتهديد.

وحين عاد المسلمون إلى عاصمة دولتهم ـ المدينة المنورة ـ سيّر النبيّ (ﷺ) عدة سرايا لتطهير البلاد من الأوثان وأصنام الشرك.

وبعد الانتصارات المتلاحقة التي أظهرت شوكة المسلمين بدأت كل قبائل الجزيرة وزعمائها تسمع بآذان صاغية نداء الإسلام وتعي أهدافه وتنصاع لهدايته، فأخذت الوفود تقدم إلى المدينة لتعلن إسلامها بين يدي رسول الله (ﷺ) ـ ولذلك سمّي هذا العام بعام الوفود[1] ـ وكان النبيّ يستقبلهم ويحسن إليهم ويرسل لهم من يعلّمهم فرائض القرآن وشرائع الإسلام.

٧- إسلام قبيلة ثقيف :

أملت ظروف النصر الإلهي على كل عاقل أن يتدبّر ويحكّم عقله تجاه قبول الإسلام أو رفضه. وكانت حكمة الرسول بالغة إذ أجّل فتح الطائف يوم امتنعت ثقيف . وها هي اليوم ترسل وفدها لتعلن إسلامها بعد أن عاندت

← للواقدي ٢: ١٠٤٥ – ١٠٤٨ (ذكر غزوة أكيدر بدومة الجندل)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥٢٩-٥٣٠، (أمر مسجد ضرار)، دلائل النبوة للبيهقي ٥: ٢٥٩-٢٦٠ (باب رجوع النبي من تبوك).

(١) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة ٤: ٥٥٩.

وكابرت وقتلت سيداً من سادتها ـ وهو عروة بن مسعود الثقفي ـ حين جاءها مسلماً يدعوها إلى الدين الجديد.

ورحب النبيّ(صلى الله عليه وآله) بمقدم الوفد الثقفي وضربت لهم قبة في ناحية المسجد النبويّ وكلّف (صلى الله عليه وآله) خالد بن سعيد ليقوم بمهمّة التشريفات اللازمة. ثم بدأ الوفد يفاوض النبيّ (صلى الله عليه وآله) على الإسلام بشروط منها: أن يترك صنم القبيلة مدة من الزمن. وأبىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلّا التوحيد الناصع الخالص لله وتنازل القوم شيئاً فشيئاً حتى قبلوا الإسلام بشرط أن يعفيهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن كسر أصنامهم بأنفسهم كما شرطوا عليه أن يعفيهم من الصلاة فقال النبيّ(صلى الله عليه وآله): «**لا خير في دين لا صلاة فيه**»، فقبلوا الإسلام . وبقي الوفد مع النبيّ(صلى الله عليه وآله) مدة من الزمن يتعلمون منه أحكام الدين. ثم كلّف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة أن يذهبا إلى الطائف لهدم الأصنام فيها[1].

٨ ـ وفاة إبراهيم ابن النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

في غمرة أفراح النبيّ (صلى الله عليه وآله) بنجاح الإسلام وانتشار الرسالة حيث كان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وعك ابنه إبراهيم بعد أن كان قد دخل في عامه الثاني وجعلت أُمّه (ماريا) تمرّضه ولكن لم ينفع معه شيء . فأبلغ النبيّ(صلى الله عليه وآله) باحتضار ولده فأقبل وإبراهيم يجود بنفسه في حضن أُمّه فأخذه النبيّ(صلى الله عليه وآله) وقال: «**يا إبراهيم إنا لن نغني عنك من الله شيئاً إنا بك لمحزونون تبكي العين**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥٣٧ - ٥٤٠ (أمر وفد ثقيف)، الكامل في التأريخ ٢: ٢٨٣-٢٨٤ (حوادث السنة التاسعة للهجرة)، إمتاع الاسماع ٢: ٨٤-٨٥ (ذكر وفد ثقيف وإسلام عروة).

ويحزن القلب ولا تقول ما يسخط الرّب ولولا أنه وعدٌ صادق وموعود جامع فإنّ الآخر منّا يتّبع الأوّل لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً ما وجدناه».

وبدت علامات الحزن واضحة على قسمات وجه النبيّ (ﷺ) وقيل له: يا رسول الله أولست قد نهيتنا عن هذا؟ فقال (ﷺ): «**ماعن الحزن نهيت ولكني نهيت عن خمش الوجوه وشق الجيوب ورنّة الشيطان».**

وروي أنه قال: «**إنما هذا رحمة ومن لا يَرحم لا يُرحم».**

ولعظيم منزلة النبيّ (ﷺ) عند الله سبحانه وما أظهر من معجزات للعالمين حتى آمنوا به ظن بعض المسلمين أنّ كسوف الشمس في يوم وفاة إبراهيم إنما كان من آيات الله لموته.

وسرعان ما ردّ النبيّ (ﷺ) على هذا الزعم خشية أن تتحول الخرافة إلى سُنّة ومعتقدٍ يتخذها الجاهلون. فقال (ﷺ): «**أيها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته»**[1].

* * *

(١) راجع الطبقات الكبرى ١: ١٣٧-١٤٣ (باب ذكر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ).

الفصل الثالث

تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة

١ ـ إعلان البراءة من المشركين :

لم يبق في الجزيرة العربية من بقي على الشرك والوثنية سوىٰ أفراد قلائل بعد أن انتشرت العقيدة الإسلامية والشريعة السمحاء في أرجائها واعتنقها كثير من الناس. وهنا كان لابد من إعلان صريح حازم يلغي كل مظاهر الشرك والوثنية في مناسك أكبر تجمع عبادي سياسي.

وحان الوقت المناسب لتعلن الدولة الإسلامية شعاراتها في كل مكان وتنهي مرحلة المداراة وتأليف القلوب التي تطلبتها المرحلة السابقة.

واختار النبيّ (صلى الله عليه وآله) يوم النحر ومنطقة منىٰ[1] مكاناً لهذا الإعلان واختار أبا بكر ليقرأ مطلع سورة التوبة[2] التي نزلت لذلك وتضمّنت إعلان البراءة من المشركين جميعاً بصراحة وتمثّلت بنود البراءة في ما يلي:

١ ـ لايدخل الجنة كافر.

٢ ـ لايطوف في البيت الحرام عُريان؛ بعد أن كانت تقاليد الجاهلية تسمح بذلك.

٣ ـ لا يحجّ بعد هذا العام مشرك.

---

(١) العاشر من ذي الحجة عام (٩ هـ) .

(٢) التوبة (٩) : ١ ـ ١٣ .

٤ ـ من كان بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد فأجله إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فإلى أربعة أشهر ثم يقتل من وُجِدَ في دار الإسلام مشركاً.

ونزل الوحي الإلهي ليبلّغ النبيّ (صلى الله عليه وآله) مبدأً مهمّاً نصّه: «**أنّه لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك**». فاستدعى النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّاً وأمره أن يركب ناقته العضباء ويلحق بأبي بكر ويأخذ منه البلاغ ويؤديه للناس[1].

ووقف عليّ بن أبي طالب بين جموع الحجيج وهو يتلو البيان الإلهي بقوة وجرأة تتوائم مع حزم القرار ووضوحه. ووقف الناس ينصتون إليه بحذر ودقة. وكان أثر الإعلان على المشركين أن قدموا مسلمين على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٢ ـ مباهلة نصارىٰ نجران :

اجتمع زعماء نصارىٰ نجران وحكماؤهم يتدارسون أمر كتاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذي يدعوهم فيه إلى الإسلام. ولم يتوصلوا إلى رأي قاطع إذ كانت في أيديهم تعاليم تؤكد وجود نبي بعد عيسىٰ (عليه السلام)، وما ظهر من أمر محمّد في الجزيرة العربيّة فهو يشير الى نبوّته. من هنا قرّروا أن يرسلوا وفداً يقابل شخص النبيّ (صلى الله عليه وآله) ويحاوره ليطّلع على حقيقة الأمر.

واستقبل النبيّ (صلى الله عليه وآله) الوفد النجراني الكبير، وقد بدا عليه عدم الرضا

(١) تفسير القمي ١: ٢٨٢ (في تفسير سورة التوبة)، الإرشاد للمفيد ١: ٦٥-٦٦ (فصل في إبلاغ سورة براءة)، مصباح المتهجد للطوسي: ٦٧٢ (ذوالحجة)، مسند أحمد ١: ١٥١ (مسند علي عليه السلام)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥٤٣-٥٤٦ (ذكر حجّ أبي بكر في الناس)، البداية والنهاية لابن كثير ٤٦-٤٧ (ذكر بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبي بكر و نزول براءة).

لمظهرهم الذي كان يحمل طابع الوثنية، فقد كانوا يرتدون الديباج والحرير ويلبسون الذهب ويحملون الصلبان في أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانية وقد بدّلوا مظهرهم فرحّب بهم واحترمهم وفسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم.

ثم عرض عليهم الإسلام وتلا عليهم آيات من القرآن فامتنعوا وكثر الحجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبيّ(ﷺ)، وكان ذلك بأمر من الله عزّ وجلّ واتفقوا على اليوم اللاحق موعداً[(١)].

وخرج إليهم رسول الله (ﷺ) وهو يحمل الحسين وبيده الحسن وخلفه ابنته فاطمة وابن عمّه عليّ بن أبي طالب امتثالاً لأمر الله تعالى الذي نصّ عليه الذكر الحكيم قائلاً: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ** ﴾[(٢)] ولم يصحب سواهم أحداً من المسلمين ليثبت للجميع صدق نبوّته ورسالته وهنا قال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقىٰ على وجه الأرض نصراني.

وحين أبوا أن يباهلوا النبيّ وأهل بيته ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ قال لهم الرسول: **أمّا إذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين**، فأبوا، فقال : «**إني أناجزكم القتال**». فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردّنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في

(١) تفسير القمي ١: ١٠٤ (في تفسير سورة آل عمران)، الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٥٧ (وفد نجران).
(٢) آل عمران (٣) : ٦١.

كل عام ألفي حلّة ـ ألفاً في صفر، وألفاً في رجب ـ وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك، وقال: **«والذي نفسي بيده إنّ الهلاك قد تدلّىٰ على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل نجران وأهله حتى الطّير على رؤوس الشّجر، ولما حال الحول على النصارىٰ كلهم حتى يهلكوا. فرجعوا إلى بلادهم دون أن يسلموا»**[1].

وروي أن السيد والعاقب من زعمائهم لم يلبثا إلّا يسيراً حتى عادا إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) ليعلنا إسلامهما[2].

٣ ـ حجّة الوداع :

كان الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) هو القدوة الحسنة للإنسانية جمعاء، يبلّغ آيات الله ويفسّرها ويفصّل أحكامها ببيان جلّي، وأصبحت جماهير المسلمين حريصة على الاقتداء به في القول والعمل. وبحلول شهر ذي القعدة الحرام من العام العاشر للهجرة عزم النبيّ(صلى الله عليه وآله) على أداء فريضة الحجّ ـ ولم يكن قد حجّ من قبل ؛ وذلك ليطلع الاُمة على أحكام الله في فريضة الحجّ . فتقاطرت ألوف المسلمين على المدينة وتجهّزوا للخروج مع النبيّ(صلى الله عليه وآله) حتى بلغ عددهم ما يقارب مائة ألف مسلم من مختلف الحواضر والبوادي والقبائل، تجمعهم المودة الصادقة والاُخوة الإسلامية والاستجابة لنداء الرسول

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢: ٣٠٩ ـ ٣١٠ (في تفسير آية المباهلة)، الطرائف لابن طاووس: ٤٢-٤٣ / ح ٣٧، بحار الأنوار ٢١: ٢٧٧، تفيسر التعلبي ٣: ٨٥ (تفسير آية المباهلة)، العمدة لابن البطريق: ١٨٩-١٩٠ / ح ٢٩٠ (فصل ٢٢)، تفسير الرازي ٨: ٨٠ (مسألة ٢ في تفسير آية المباهلة)، تفسير البيضاوي ٢: ٤٧ (في تفسير آية المباهلة).

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٢: ٣١٠ (في تفسير آية المباهلة)، بحار الأنوار ٢١: ٢٧٨.

القائد (ﷺ) بعد أن كانوا بالأمس القريب أعداءاً متنافرين، جُـهّالاً كـافرين.

واصطحب النبيّ(ﷺ) معه كل نسائه وابنته الصديقة فاطمة الزهراء، وتخلّف زوجها عليّ بن أبي طالب في مهمّة بعثه بها رسول الله(ﷺ)، واستعمل عـلى المدينة أبا دجانة الأنصاري.

وفي منطقة ذي الحليفة أحـرم النـبيّ (ﷺ) فـلبس قـطعتين مـن قـماش أبيض ولبّىٰ عند الإحرام قائلاً: **«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لبيك لا شريك لك لبيك»**.

وفي الرابع من شهر ذي الحجة الحرام شـارف النـبيّ (ﷺ) مكّـة وقـطع التلبية، ثم دخل المسجد الحرام وهو يكثر الثناء على الله ويـحمده ويشكـره فاستلم الحجر وطاف سبعاً وصلّى ركعتين عند مقام إبـراهـيم ثـمّ سعىٰ بـين الصفا والمروة والتفت الى الحجيج قائلاً: **«من لم يَسُق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عُمرة، ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه»**.

ولم يستجب بعض المسلمين لأمر الرسول هذا ظـناً مـنهم أنّ عـليهم أن يفعلوا كما يفعل الرسول القائد (ﷺ) من عدم التحلّل مـن الإحـرام، فـغضب النبيّ(ﷺ) لموقفهم وقال: **«لو كنت استقبلت مـن أمـري مـا استدبرت لفـعلت كـما أمرتكم»**.

وأقفل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) راجعاً من اليمن الى مكّة ليلتحق برسول الله(ﷺ) وقد ساق معه (٣٤) هدياً. وعلى مـقربة مـن مكّـة تـعجّل لدخـولها واستخلف أحد أفراد سريّته عليها. وسرّ النبيّ(ﷺ) بلقاء عليّ وما حقّقه مـن نجاح باهر فـي اليـمن وقـال له: **انـطلق فـطف بـالبيت وحِـلّ كـما حـلّ أصـحابك.**

فقال(عليه السلام): **يا رسول الله إني أهللت كما أهللت، ثم قال (عليه السلام): إني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهلّ بما أهلّ به عبدك ونبيك ورسولك محمّد(صلى الله عليه وآله)**. ثمّ أمره (صلى الله عليه وآله) أن يعود إلى سريته ويصحبها إلى مكّة، ولما قدموا على النبيّ (صلى الله عليه وآله) اشتكوا علياً (عليه السلام) لأنه كان قد رفض تصرّفاً خاطئاً فعلوه في غيابه، فأجابهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) قائلاً: **«أيها الناس لا تشكوا عليّاً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله من أن يشتكى»**[(١)].

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة توجه النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع جموع المسلمين نحو عرفات.

ومكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عرفات حتى غروب اليوم التاسع، ومع الظلام ركب ناقته وأفاض إلى المزدلفة وأمضىٰ فيها شطراً من الليل ولم يزل واقفاً من الفجر الى طلوع الشمس في المشعر الحرام. ثمّ توجّه في اليوم العاشر إلى «منى» وأدّىٰ مناسكها من رمي الجمرات والنحر والحلق ثمّ توجّه نحو مكّة لأداء بقية مناسك الحج[(٢)].

وقد سمّيت هذه الحجة بـ«حجة الوداع» لأنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) ودّع المسلمين في هذه الحجة التي أشار فيها الى دنوّ وفاته كما سُمّيت بـ«حجة البلاغ» لأنه (صلى الله عليه وآله) قد بلّغ فيها ما أُنزل إليه من ربّه في شأن الخلافة من بعده، ومنهم من سمّاها بـ«حجة الإسلام» لأنها الحجّة الأُولىٰ للنبيّ(صلى الله عليه وآله) والتي بيّن فيها أحكام الإسلام الثابتة في مناسك الحج[(٣)].

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٧١-١٧٣ (فصل في حجّة الوداع)، بحار الأنوار ٢١: ٣٨٤-٣٨٦/ ح ١٠ و فيهما تقديم و تأخير، وراجع السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٦٠١-٦٠٣(ذكر حجّة الوداع)، السيرة الحلبية ٣: ٢٥٧ و٢٦٣ - ٢٦٤ (باب حجّة الوداع).

(٢) امتاع الأسماع ٢: ١١١ (ذكر مسيره الى منىٰ وعرفة).

(٣) راجع امتاع الأسماع ٢: ١٠٢ (ذكر حجّة الوداع) ذكر التسميات.

خطبة النبيّ (ﷺ) في حجّة الوداع :

وروي أن النبيّ (ﷺ) خطب خطاباً جامعاً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: **«أيها الناس اسمعوا مني أُبين لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها وإنّ ربا الجاهلية موضوع، وإن أوّل رباً أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب. وإنّ دماء الجاهلية موضوعة، وإنّ أوّل دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.**

أيها الناس إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنه رضي أن يطاع فيما سوىٰ ذلك مما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس إنّما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يُحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله. وإن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيّها النّاس إنّ لنساءكم عليكم حقّاً وإنّ لكم عليهن حقّاً. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلّا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير

مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهنّ بالمعروف، وإنّما النساء عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيراً.

أيها الناس إنّما المؤمنون إخوة فلا يحلّ لامرئٍ مال أخيه إلّا عن طيب نفس. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجميّ فضل إلّا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال (صلى الله عليه وآله): فليبلّغ الشاهد منكم الغائب.

أيّها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادّعي إلى غير أبيه أو تولّىٰ غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً... والسلام عليكم ورحمة الله»[١].

٤ ـ تعيين الوصيّ[٢]:

أتمّ المسلمون حجّهم الأكبر وهم يحتفّون بالنبيّ(صلى الله عليه وآله) وقد أخذوا مناسكهم عنه، وقرّر الرسول(صلى الله عليه وآله) أن يعود إلى المدينة، ولما بلغ موكب

---

(١) تحف العقول: ٣٠-٣٤ (خطبته صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٦٠٣-٦٠٥ (خطبة الرسول صلى الله عليه وآله في حجة الوداع و فيه إختلاف يسير باللفظ). (وقد ورد النصّ في مصادر السيرة والتاريخ مع اختلاف بالزيادة والنقصان).

(٢) للمزيد من التفصيل راجع موسوعة الغدير للعلّامة الأميني الجزء الأوّل.

الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ» قرب «غدير خم» وقبل أن يتفرّق الحجيج ويرجعوا الى بلدانهم من هذه المنطقة نزل الوحي الإلهي بآية التبليغ الآمرة والمحذّرة: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(١).

لقد حمل هذا الخطاب الإلهي أمراً مهماً جدّاً فأيّ تبليغ مهمّ هذا قد طُلب من الرسول (ﷺ) إنجازه ولم يكن قد أنجزه إلى ذلك الحين؟ وقد أمضى النبيّ (ﷺ) ما يقارب ثلاثة وعشرين عاماً يبلّغ آيات الله وأحكامه ويدعو الناس إلى دين الله! وقد نال ما نال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كي يقال له: **«فما بلغت رسالته»**.

وهنا أصدر النبيّ (ﷺ) أوامره بأن تقف القوافل حتى يلحق آخرها بأوّلها في يوم قائظ يضطر المرء فيه أن يلفّ رأسه وقدميه من شدة حرّ الرمضاء ليتلو عليهم أمر السماء ويتمم تبليغ الرسالة الخاتمة. إنها الحكمة الإلهية أن يتم التبليغ في هذا المكان وفي هذا الظرف كي يبقىٰ عالقاً في وجدان الأُمة، حيّاً في ذاكرتها على مرّ الزمن حفاظاً على الرسالة والأُمة الإسلامية.

وجمعت الرحال وصنع منها منبر صعد عليه النبيّ(ﷺ) بعد أن صلّى في جموع المسلمين فحمد الله وأثنى عليه وقال بصوت رفيع يسمعه كل من حضر:

«أيها الناس يوشك أن أُدعىٰ فأجيب وإني مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟

(١) المائدة (٥) : ٦٧ .

قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً. قال (صلى الله عليه وآله): ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً عبده ورسوله وأنّ جنته حقّ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك قال(صلى الله عليه وآله): اللهم اشهد. ثم قال:(صلى الله عليه وآله) فإني فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض وإنّ عرضه مابين صنعاء وبُصرىٰ فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فناد‌ىٰ منادٍ وما الثقلان يا رسول الله؟ قال(صلى الله عليه وآله): الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلوا. والآخر الأصغر عترتي. وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت ذلك لهما ربّي فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا.

ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب حتى رؤي بياض إبطيهما وعرفه الناس أجمعون. فقال (صلى الله عليه وآله): **أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال (صلى الله عليه وآله): **إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه** ـ يقولها ثلاث مرات ـ.

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله): **اللهموال من والاه وعاد من عاداهوأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب».**

ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[1] فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضىٰ الرب برسالتي والولاية لعلي بعدي».**

ثمّ أمر (صلى الله عليه وآله) أن تنصب خيمة لعليّ (عليه السلام) وأن يدخل عليه المسلمون

(١) المائدة (٥): ٣.

فوجاً فوجاً ليسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ففعل الناس كلهم ذلك وأمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممن معه أن يفعلن ذلك.

وكان في مقدمة المهنّئين أبو بكر وعمر بن الخطاب، كلٌ يقول: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[(١)].

تفرّقت جموع الحجيج من منطقة غدير خم متّجهة نحو العراق والشام واليمن، واتّجه النبيّ(صلى الله عليه وآله) نحو المدينة. وحمل الجميع وصية الرسول(صلى الله عليه وآله) بالخلافة والقيادة من بعده لربيبه عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) لتستمر حركة الرسالة الإسلامية بنهج نبويّ وتجتاز العقبات بسلام بعد رحيل القائد الأوّل وذلك بعد أن أتمّ الحجّة على المسلمين بالتعريف بعليّ(عليه السلام) في ذلك اليوم التاريخي الخالد. فإنّه(صلى الله عليه وآله) كان يصرّح بموقع عليّ الرسالي منذ يوم الدار حيث وصفه في أكثر من موقف بالوزير الناصح والأخ المؤازر والعضد المدافع والخليفة الذي يجب على الناس من بعده أن يطيعوه ويتّبعوه ويتّخذوه لأنفسهم قائداً وزعيماً.

٥ ـ ظهور المتنبئين:

وبعد أن انبسط سلطان الدين وقويت مركزية القرار في المدينة بنصب الوصي الأمين والخليفة الهادي للحقّ بالحقّ لم يعد بأمر خطير ارتداد أفراد وإصحارهم بعدم التسليم لما جاء به النبيّ (صلى الله عليه وآله) أو وجود أفراد في الأطراف

---

(١) راجع الإرشاد للمفيد ١: ١٧٤-١٧٧ (ذكر غدير خم ونزول آية التبليغ)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦١ - ٢٦٣ (فصل في بيعة الغدير)، البداية و النهاية لابن كثير ٧: ٣٨٣-٣٨٦ (حديث الغدير) وموسوعة الغدير: ١/ ٤٣، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٢، والجزء: ١١/ ١٣١.

البعيدة عن المدينة يرون في عـنصر الديـن وسـيلة لتـحقيق بـعض مـآربهم الرخيصة .

من هنا أخذ مسيلمة يدّعي النبوّة كذباً وكتب إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله) كتاباً ذكر فيه أنّه بُعث نبيّاً ويطلب فيه من النبيّ(صلى الله عليه وآله) أن يشاركه في سلطان الأرض. ولمّا وقف النبيّ(صلى الله عليه وآله) على مضمون الرسالة التفت إلى من حملها إليه وقال:

«لولا أنّ الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما لأنكما أسلمتما من قبل وقبلتما برسالتي فلِمَ اتّبعتما هذا الأحمق وتركتما دينكما؟».

ثم ردّ على مسيلمة الكذّاب برسالة كتب فيها: **«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب. السلام على من اتّبع الهدى، أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»**[1].

وقد أفلح المسلمون في القضاء على حركات الارتداد التي قام بها بعض الدجّالين مثل الأسود العنسي ومسيلمة وطلحة.

٦ ـ التعبئة العامّة لغزو الروم* :

أبدىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) اهتماماً كبيراً للحدود الشمالية للدولة الإسلامية حيث تتواجد دولة الروم المنظمة وصاحبة الجيش القوي. ولم تكن دولة فارس ذات أثر مُقلق على الدولة الإسلامية لأنّ علامات الانـهيار كـانت قـد بـدت عليها، كما أنها لم تكن تملك عقيدة روحية تدافع عنها كالمسيحية لدىٰ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥٩٩-٦٠١ (ذكر الكذّابين)، تاريخ الطبري ٢: ٣٩٩-٤٠٠ (حوادث سنة ١٠ للهجرة).

(*) عقد النبيّ(صلى الله عليه وآله) اللواء لأُسامة في صفر عام (١١ هـ) .

الروم، فهي التي كانت تشكّل خطراً على الكيان الإسلامي الفتيّ، خاصة وأنّ بعض عناصر الشغب والنفاق قد أجليت عن الدولة الإسلامية فذهبت إلى الشام ولحق بها آخرون، وكان وجود نصارىٰ نجران عاملاً سياسياً يدفع الروم لنصرتهم.

ومع ذلك فإنّ كل هذه الأُمور لم تكن عوامل تستدعي الاهتمام الكبير الذي ظهر واضحاً من إعداد النبيّ (ﷺ) لجيش كبير ضمّ وجوه كبار الصحابة ما خلا علياً وبعض المخلصين معه فقد أراد النبيّ (ﷺ) أن يخلو الجو السياسي من اُمور قد تعيق عمليّة انتقال السلطة إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) للقيام بمهام الخلافة من بعده، بعد أن لمس النبيّ تحسّساً وانزعاجاً من بعض الأطراف لتأكيده المستمر على مرجعيّة عليّ (عليه السلام) وصلاحيّته لإتمام مسيرة النبيّ(ﷺ) وخصوصاً بعد بيعة الغدير، فأراد النبيّ(ﷺ) أن يخلو الظرف من التوتر السياسي في المدينة ليتم استلام عليّ(عليه السلام) لزمام الدولة من بعده دون صِدام وشجار؛ ولهذا عقد النبيّ (ﷺ) لواءً وسلّمه الى اُسامة بن زيد ـ القائد الشاب الذي نصبه الرسول(ﷺ) في إشارة بليغة إلى أهمية الكفاءة في القيادة ـ وجعل تحت إمرته شيوخ الأنصار والمهاجرين، وقال له: «**سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد ولّيتك هذا الجيش فاغزُ صباحاً على أهل اُبنى**».

ولكنّ روح التمرد والطمع في السلطان وقلّة الانضباط دفعت بعض العناصر إلى عدم التسليم التام لأمر النبيّ (ﷺ) ولعلّها كانت عارفة بالأهداف التي قصدها النبيّ(ﷺ) ومن هنا حاولت أن تؤخّر حركة الجيش المجتمع في معسكر «الجرف». وبلغ النبيّ (ﷺ) ذلك فغضب وخرج إلى المسجد ـ وهو

ملتحف قطيفة، وقد عصَّبَ جبهته بعصابة من ألم الحمّىٰ التي أصابته ـ فصعد المنبر ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: **«أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أُسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وأيم الله إن كان للإمارة لَخليقاً وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لِمَن أحبّ الناس إليّ وإنّهما لمخيلان لكل خير**[1]**، واستوصوا به خيراً فإنه من خياركم»**.

واشتدت الحمى برسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يُغفله ثقل المرض عن الاهتمام الكبير لخروج الجيش فكان يقول: **«أنفذوا جيش أُسامة»**[2] لكل من كان يعوده من أصحابه ويزيدهم إصراراً بقوله: **«جهّزوا جيش أُسامة لعن الله من تخلّف عنه»**[3]. وأوصل بعض المسلمين أنباء تدهور صحة النبيّ (صلى الله عليه وآله) الى معسكر المسلمين في الجرف فرجع أُسامة لِيعود النبيّ (صلى الله عليه وآله) فحثّه النبيّ على المضيّ نحو هدفه الذي رسمه له وقال له: **«أُغد على بركة الله»**.

فعاد أُسامة مسرعاً إلى جيشه يحثه على الرحيل والتوجه للقيام بالمهمة المخوّلة إليه ولكن المتقاعسين وذوي الأطماع في الخلافة تمكّنوا من عرقلة مسيرة الجيش زاعمين أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يُحتضر، بالرغم من تأكيد الرسول(صلى الله عليه وآله) بالتعجيل في المسير وعدم التردّد في المهمّة التي جعلها على عاتق جيش أُسامة.

* * *

---

(١) بمعنى أنهما ممن يتفرّس فيهما كل خير. والخوليّ: هو الراعي الحسن القيام على المال.

(٢) الطبقات الكبرىٰ: ٢ / ١٩٠، (سرية أُسامة)، تاريخ مدينة دمشق ٢: ٥٤-٥٦ (ذكر بعث النبيّ صلى الله عليه وآله أُسامة قبل موته)، امتاع الأسماع ٢: ١٢٣-١٢٥ (ذكر بعث أُسامة بن زيد).

(٣) الملل والنحل : ١ / ٢٣ (المقدّمة الرابعة).

الفصل الرابع

أيّام الرسول (صلى الله عليه وآله) الأخيرة

١ ـ الحيلولة دون كتابة الوصية :

ورغم ثقل الحمىٰ وألم المرض خرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) مستنداً على عليّ(عليه السلام) والفضل بن العباس ليصلي بالناس وليقطع بذلك الطريق على الذين خطّطوا لمصادرة الخلافة والزعامة التي كانوا يطمحون لها من قبل حيث تمرّدوا على أوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) بالخروج مع جيش أُسامة بكل بساطة والتفت النبيّ ـ بعد الصلاة ـ إلى الناس فقال: «**أيها الناس سُعّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون عليّ بشيء، إني لم أحلّ إلا ما أحلّ الله، ولم أُحرّم إلا ما حرّم الله**»[١] فأطلق بقوله هذا تحذيراً آخر أن لا يعصوه وإن لاحت في الأُفق النوايا السيئة التي ستجلب الويلات للأُمة حين يتزعّمها جهّالها.

واشتد مرض النبيّ(صلى الله عليه وآله) واجتمع الصحابة في داره ولحق بهم من تخلّف عن جيش أُسامة فلامهم النبيّ(صلى الله عليه وآله) على تخلّفهم واعتذروا بأعذار واهية. وحاول النبيّ(صلى الله عليه وآله) بطريقة أخرى أن يصون الأمة من التردّي والسقوط فقال لهم: **ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده**، فقال عمر ابن الخطاب:

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٦٥٣-٦٥٤ (ذكر اليوم الذي قبض فيه النبي)، الطبقات الكبرىٰ: ٢/ ٢١٥-٢١٦، (ذكر صلاة أبي بكر في الناس).

إنّ رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله[١]، وهكذا وقع التنازع والاختلاف وقالت النسوة من وراء الحجاب: إئتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحاجته. فقال عمر: اسكتن فإنكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتنّ أعينكن وإذا صحّ أخذتنّ بعنقه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **هنّ خير منكم**[٢].

ثم قال (صلى الله عليه وآله): **قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع.**

وكم كانت الاُمة بحاجة ماسّة الى كتاب الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا، حتى أن إبن عباس كان يأسف كلما يذكر ذلك ويقول: الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله[٣].

ولم يصرّ نبيّ الرحمة على كتابة الكتاب بعد اختلافهم عنده خوفاً من تماديهم في الإساءة وإنكارهم لما هو أكبر، فقد علم(صلى الله عليه وآله) من لحن قولهم بما في نفوسهم، وحين راجعوه ثانية بشأن الكتاب قال (صلى الله عليه وآله): «**أبعد الذي قلتم**[٤]**؟!**»وأوصاهم ثلاث وصايا، لكن كتب التاريخ لم تذكر سوى اثنتين منها وهما: إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد كما كان يجيزهم.

(١) مسند أحمد ١: ٣٢٥ و ٣٣٦ (ما أسند عن عبدالله بن عبّاس)، صحيح البخاري ٥: ١٣٧ (باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله) و ج ٧: ٩ (كتاب المرضىٰ والطب)، صحيح مسلم ٥: ٧٦ (كتاب النذر باب الأمر بقضاء النذر)، شرح نهج البلاغة ٢: ٥٥ (حديث السقيفة)، امتاع الأسماع ٢: ١٣٢ (خبر كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٢) الطبقات الكبرى٢ :٢٤٤ (باب الكتاب الذي أراد أن يكتبه صلى الله عليه وآله قبل موته)، المعجم الوسيط للطبراني ٥: ٢٨٨ (ما روي عن عليّ بن خلف العطاء)، مجمع الزوائد للبيهقي٩: ٣٤ (باب عن باب وداعه صلى الله عليه وآله)، كنز العمال ٥: ٦٤٤/ ح ١٤١٣٣ (ما أُسند عن عمر).

(٣) أمالي المفيد: ٣٦-٣٧ / ح ٣ (باب رجوع بعض الأُمّة)، الطرائف لابن طاووس: ٤٣٣ (منع عمر النبيّ صلى الله عليه وآله كتابة الوصية)، بحار الأنوار ٢٢: ٤٧٤ / ح ٢٢، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٢٤٤ (ذكر الكتاب الذي أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يكتبه)، صحيح البخاري ١: ٣٧كتاب العلم، باب كتابة العلم، امتاع الأسماع ١٤: ٤٤٥ (ذكر إرادة الرسول صلى الله عليه وآله أن يكتب كتاباً لأصحابه).

(٤) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦٥، بحار الأنوار ٢٢: ٤٦٩/ ح ١٩.

وعلّق السيد محسن الأمين العاملي على ذلك قائلاً: والمتأمل لا يكاد يشكّ في أن الثالثة سكت عنها المحدّثون عمداً لا نسياناً وأنّ السياسة قد اضطرتهم الى السكوت عنها وتناسيها وأ نّها هي التي من أجلها طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم[١].

٢ ـ الزهراء (عليها السلام) تزور أباها (صلى الله عليه وآله):

أقبلت الزهراء (عليها السلام) وهي تجر أذيال الحزن وتتطلع إلى أبيها وهو على وشك الالتحاق بربّه فجلست عنده منكسرة القلب دامعة العين وهي تردد:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالَ اليتامىٰ عصمة للأرامل

وفي هذه اللحظات فتح النبيّ(صلى الله عليه وآله) عينيه وقال بصوت خافت: يا بُنيّة هذا قول عمّك أبي طالب لا تقوليه ولكن قولي: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ** ﴾[٢].

وكأنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) كان يريد بذلك أن يهيّيء ابنته فاطمة(عليها السلام) لما سيجري من أحداث مؤسفة فإن ذلك كان هو الأنسب لتلك من قول أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ثمّ إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أومأ إلىٰ حبيبته الزهراء (عليها السلام) أن تدنو منه ليحدّثها فانحنت عليه فسارّها بشيء فبكت ثم سارّها ثانية فضحكت. وقد أثارت هذه الظاهرة فضول بعض الحاضرين فسألوها عن سرّ ذلك فقالت (عليها السلام): ما كنت لأُفشي سرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولكنّها سئلت بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) عن ذلك فقالت: **أخبرني رسول الله(صلى الله عليه وآله)**

---

(١) أعيان الشيعة ١: ٢٩٤ (باب ذكر وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله في ترجمته صلى الله عليه وآله)، وراجع الطبقات الكبرىٰ ٢: ٢٤٤.
(٢) آل عمران (٣): ١٤٤.

أنه قد حضر أجله وأنه يقبض في وجعه هذا، فبكيت ثم أخبرني أني أوّل أهله لحوقاً به فضحكت[1].

٣ ـ اللحظات الأخيرة من عمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

وكان عليّ(عليه السلام) ملازماً للرسول (صلى الله عليه وآله) ملازمة ذي الظل لظلّه حتى آخر لحظات حياته الشريفة وهو يوصيه ويعلّمه ويضع سرّه عنده. وفي الساعة الأخيرة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **ادعوا لي أخي** ـ وكان(صلى الله عليه وآله) قد بعثه في حاجة ـ فدعوا له بعض صحابته فلم يعبأ بهم الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى جاء عليّ (عليه السلام) فقال (صلى الله عليه وآله) له: **أُدن مني**. فدنا علي (عليه السلام) فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه حتى بدت عليه(صلى الله عليه وآله) علامات الاحتضار[2]، وتوفّي رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو في حجر عليّ(عليه السلام) .كما قد صرّح بذلك عليّ(عليه السلام) نفسه في إحدى خطبه[3] الشهيرة.

٤ ـ رحيل النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومراسم دفنه :

ولم يكن حول النبيّ (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيرة إلّا عليّ بن أبي طالب وبنو هاشم ونساؤه. وقد علم الناس بوفاته (صلى الله عليه وآله) من الضجيج والصراخ الذي

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٦-١٨٧ (فصل في حجّة الوداع)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦٧-٢٦٨ (فصل في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢٢: ٢٧٠/ح ١٩، الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٧ (ذكر ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة في مرضه صلى الله عليه وآله)، صحيح البخاري ٤: ١٨٣ (باب علامات النبوّة في الإسلام)، امتاع الأسماع ١٤: ٤٢١ (باب نعيه نفسه إبنته صلى الله عليه وآله)، وابن النجاري والمقريزي لم يذكرا صدر الرواية.

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٥ (فصل في حجة الوداع)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦٧ (فصل في وفاته صلى الله عليه وآله)، الطبقات الكبرى: ٢ / ٢٦٣، (ذكر من قال أنه صلى الله عليه وآله توفي في حجر علي عليه السلام).

(٣) نهج البلاغة: خطبة ١٩٧.

علا من بيت الرسول (ﷺ) حزناً على فراق الحبيب، وخفقت القلوب هلعة لرحيل أشرف خلق الله.

وانتشر خبر الوفاة في المدينة انتشار النار في الهشيم ودخل الناس في حزن وذهول رغم أنه (ﷺ) كان قد مهّد لذلك ونعىٰ نفسه الشريفة عدّة مرات وأوصى الأُمة بما يلزمها من طاعة وليّها وخليفته من بعده عليّ ابن أبي طالب.

لقد كانت وفاته صدمة عنيفة هزّت وجدان المسلمين، فهاجت المدينة بسكانها وازدادت حيرة المجتمعين حول دار الرسول(ﷺ) حينما تكلّم عمر بن الخطاب وهو يهدد بالسيف قائلاً: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله (ﷺ) قد مات، إنه والله ما مات ولكنّه قد ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران[١].

ورغم أ نّه لا تشابه بين غياب موسى(عليه السلام) ووفاة النبيّ محمّد(ﷺ) ، لكن مواقف عمر التالية لعلّها تكشف النقاب عن إصراره على هذه المقارنة.

نعم لم يهدأ عمر حتى قدم أبو بكر من «السنح» ودخل إلى بيت رسول الله (ﷺ) فكشف عن وجه النبيّ (ﷺ) وخرج مسرعاً وقال: أيها الناس من كان يعبد محمّداً فإن محمّداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت وتلا قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** ﴾[٢] وهنا هدأت فورة عمر وزعم أنه لم يلتفت الى وجود مثل هذه الآية في القرآن الكريم[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى : ٢ / ٢٦٦، (ذكر كلام الناس حين شكّوا في موته ﷺ)، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٢٣ (ذكر أحداث السنة الحادية عشرة للهجرة).

(٢) ال عمران (٣): ١٤٤.

(٣) الطبقات الكبرى٢: ٢٦٨ (ذكر مَن شك في موته ﷺ)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٤ (ذكر حوادث سنة الحادية عشرة للهجرة).

وأسرع أبو بكر وعمر بن الخطاب مع بعض أصحابهما إلى سقيفة بني ساعدة بعد أن عرفا أنّ اجتماعاً طارئاً قد حصل في السقيفة فيما يخصّ الخلافة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١]. متناسين تنصيب النبيّ لعليّ بن أبي طالب وكذا بيعتهم إيّاه بالخلافة وغير مدركين أنّ تصرفهم هذا يعدّ استخفافاً بحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجسده المسجّىٰ.

وأمّا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وأهل بيته فقد انشغلوا بتجهيز الرسول (صلى الله عليه وآله) ودفنه ، فقد غسّله عليّ من دون أن ينزع قميصه وأعانه على ذلك العباس بن عبد المطلب وابنه الفضل وكان يقول: **بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيّاً وميّتاً**[٢].

ثم وضعوا جسد الرسول (صلى الله عليه وآله) على سرير وقال عليّ(عليه السلام): **إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إمامنا حياً وميتاً فليدخل عليه فوج بعد فوج فيصلّون عليه بغير إمام وينصرفون.** وأوّل من صلّى على النبيّ(صلى الله عليه وآله) عليّ(عليه السلام) وبنو هاشم ثم صلّت الانصار من بعدهم[٣].

ووقف عليّ(عليه السلام) بحيال رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو يقول: **سلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته اللهم إنّا نشهد أنّ قد بلّغ ما أُنزل إليه ونصح لأُمته وجاهد في سبيل الله حتى أعزّ الله دينه وتمّت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتّبع ما أنزل الله إليه وثبّتنا بعده واجمع**

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣ (ذكر حوادث السنة الحادية عشر للهجرة خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥ (ذكر حوادث السنة الحادية عشرة للهجرة حديث السقيفة).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٢٨٠ (ذكر غسل رسول الله صلى الله عليه وآله)، تاريخ الطبري ٢: ٤٥١ (ذكر حوادث السنة الحادية عشرة حديث السقيفة).

(٣) الإرشاد للمفيد ١ : ١٨٧-١٨٨ (فصل في وفاته صلى الله عليه وآله)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦٩-٢٧٠ (فصل في وفاته صلى الله عليه وآله).

بيننا وبينه، فيقول الناس: آمين، حتى صلّى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان[١].

وحفر قبر للنبيّ(صلى الله عليه وآله) في الحجرة التي توفي فيها. وحين أراد عليّ(عليه السلام) أن ينزله في القبر نادت الأنصار من خلف الجدار: يا عليّ نذكّرك الله وحقّنا اليوم من رسول الله أن يذهب، أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظّ من مواراة رسول الله. فقال(عليه السلام) ليدخل أوس بن خولي، وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف.

ونزل عليّ (عليه السلام) الى القبر فكشف عن وجه رسول الله ووضع خدّه على التراب، ثم أهال عليه التراب.

ولم يحضر دفن النبيّ (صلى الله عليه وآله) والصلاة عليه أحد من الصحابة الذين ذهبوا الى السقيفة[٢].

فسلامٌ عليك يا رسول الله يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً.

* * *

---

(١) الطبقات الكبرى : ٢ / ٢٩١ (ذكر الصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٨-١٨٩ (فصل في تجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٧٠-٢٧١ (فصل في موته صلى الله عليه وآله).

الفصل الخامس

من معالم الرسالة الإسلامية الخاتمة

بماذا بعث النبيّ محمّد(ﷺ) [1] ؟

بعث الله تعالى نبيّه محمّداً(ﷺ) على حين فترة من الرسل خاتماً للنبيين وناسخاً لشرائع من كان قبله من المرسلين إلى الناس كافة أسودهم وأبيضهم عربيهم واعجميهم وقد ملئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات والسخافات والبدع والقبائح وعبادة الأوثان.

فقام (ﷺ) في وجه العالم كافة ودعا إلى الإيمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر، بيده النفع والضر، لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ولم يتخذ صاحبة، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

بعثه آمراً بعبادته وحده لا شريك له مبطلاً عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تدفع عن أنفسها ولا عن غيرها ضراً ولا ضيماً، متمماً لمكارم الأخلاق حاثاً على محاسن الصفات آمراً بكل حسن ناهياً عن كل قبيح.

---

(١) تجد هذا البحث في سيرة النبيّ (ﷺ) للسيد محسن الأمين العاملي في كتابه أعيان الشيعة ١: ٣٢٣، ط الخامسة، (١٤١٩هـ)، دار التعارف للمطبوعات بيروت.

سهولة الشريعة الإسلامية وسماحتها

واكتفى من الناس بأن يقولوا لا إله إلّا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويحجوا البيت ويلتزموا بأحكام الإسلام. وكان قول هاتين الكلمتين (**لا إله إلّا الله، محمد رسول الله**) يكفي لأن يكون لقائله ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

سمو التعاليم الإسلامية

وبعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، وأنّ أحداً ليس خيراً من أحد إلّا بالتقوى. وبالأُخوّة بين جميع المؤمنين وبالكفاءة بينهم: تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وبالعفو العام عمن دخل في الإسلام.

وسنّ النبيّ «صلى الله عليه وآله» شريعة باهرة وقانوناً عادلاً تلقّاه عن الله تعالى فكان هذا القانون جامعاً لأحكام عباداتهم ومعاملاتهم وما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم وكان عبادياً اجتماعياً سياسياً أخلاقياً لا يشذّ عنه شيء مما يمكن وقوعه في حياة البشر مستقبلاً ويحتاج إليه بنو آدم، فما من واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلّا ولها فى الشريعة الإسلامية أصل مسلّم عند المسلمين يرجعون اليه .

على أنّ العبادات في الدين الإسلامي لا تتمحض لمجرد العبادة ففيها منافع بدنية واجتماعية وسياسية، فالطهارة تفيد النظافة، وفي الصلاة رياضة روحية وبدنية، وفي صلاة الجماعة والحجّ فوائد اجتماعية وسياسية ظاهرة،

وفي الصوم فوائد صحية لا تنكر، والإحاطة بفوائد الأحكام الإسلامية الظاهرة فضلاً عن الخفية أمر متعذّر أو عسير.

ولما في هذا الدين من محاسن وموافقة أحكامه للعقول وسهولتها وسماحتها ورفع الحرج فيه والاكتفاء بإظهار الشهادتين ولما في تعاليمه من السمو والحزم والجد دخل الناس فيه أفواجاً وساد أهله على أعظم ممالك الأرض واخترق نوره شرق الأرض وغربها ودخل جميع أقاليمها وأقطارها تحت لوائه ودانت به الأُمم على اختلاف عناصرها ولغاتها.

ولم يمض زمن قليل حتى أصبح ذلك الرجل الذي خرج من مكّة مستخفياً وأصحابه يعذّبون ويُستذلّون ويُفتنون عن دينهم ، يعتصمون تارة بالخروج إلى الحبشة مستخفين وأُخرى بالخروج الى المدينة متسللين، يدخل مكّة بأصحابه هؤلاء في عمرة القضاء ظاهراً لا يستطيعون دفعه ولا منعه ولم تمض إلّا مدة قليلة حتى دخل مكّة فاتحاً لها وسيطر على أهلها من دون أن تراق محجمة دم بل ولا قطرة دم فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً وتوافدت عليه رؤساء العرب ملقيةً إليه عنان طاعتها وكان من قبل هذا الفتح بلغ من القوة أن بعث برسله وسفرائه إلى ملوك الأرض مثل كسرى وقيصر ومن دونهما ودعاهم إلى الإسلام وغزا بلاد قيصر مع بُعد الشقة وظهر دينه على الدين كله كما وعده ربه حسبما صرّح تعالى بذلك في سورة النصر، والفتح وغيرهما وكما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

ولم يقم هذا الدين بالسيف والقهر كما يصوّره من يريد الوقيعة فيه بل كما أمر الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ...﴾[1]. ولم يحارب أهل مكّة وسائر العرب حتى حاربوه وأرادوا قتله وأخرجوه، وأقر أهل الأديان التي نزلت بها الكتب السماوية على أديانهم ولم يجبرهم على الدخول في الإسلام.

القرآن الكريم

وأنزل الله تعالى على نبيّه حين بعثه بالنبوّة قرآناً عربيّاً مبيّناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أعجز النبيّ(صلى الله عليه وآله) به البلغاء وأخرس الفصحاء وتحدّاهم فيه فلم يستطيعوا معارضته وهم أفصح العرب بل وإليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة، وقد حوى هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين وأخبار الماضين وتهذيب الأخلاق والأمر بالعدل والنهي عن الظلم وتبيان كل شيء ما جعله يختلف عن كل الكتب حتّى المنزّلة منها وهو ما يزال يتلى على كرّ الدهور ومرّ الأيام وهو غض طري يحيّر ببيانه العقول ولا تملّه الطباع مهما تكررت تلاوته وتقادم عهده.

وقد كان القرآن الكريم معجزة فيما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء، وقد أرسى قواعد نهضته على منهج علمي قويم، فحثّ على العلم وجعله العامل الأوّل لتسامي الإنسان نحو الكمال اللائق به، وحثّ على التفكير والتعقّل والتجربة والبحث عن ظواهر الطبيعة والتعمق فيها لاكتشاف قوانينها وسننها وأوجب تعلّم كل علم تتوقف عليه الحياة الاجتماعية للإنسان واهتمّ بالعلوم النظرية من كلام وفلسفة وتاريخ وفقه

(١) النحل (١٦): ١٢٥.

وأخلاق، ونهى عن التقليد واتباع الظن وأرسى قواعد التمسك بالبرهان .

وحثّ القرآن على السعي والجد والتسابق في الخيرات ونهىٰ عن البطالة والكسل ودعا الى الوحدة ونبذ الفرقة . وشجب العنصرية والتعصبات القبلية الجاهلية .

وأقرّ الإسلام العدل كأساس في الخلق والتكوين والتشريع والمسؤولية وفي الجزاء والمكافاة ، وهو أوّل من نادى بحقّ المساواة بين أبناء الإنسان أمام قانون الله وشريعته وأدان الطبقية والتمييز العنصري وجعل ملاك التفاضل عند الله أمراً معنوياً هو التقوى والاستباق الى الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سبباً للتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشري .

وبالغ الإسلام في حفظ الأمن والمحافظة على الأموال والدماء والأعراض، وفرض العقوبات الشديدة على سلب الأمن بعد أن شيّد الأرضية اللازمة لاستقرار الأمن والعدل وجعل العقوبة آخر دواء لعلاج هذه الأمراض الاجتماعية بنحوٍ ينسجم مع الحرية التي شرّعها للإنسان . ومن هنا كان القضاء في الشريعة الإسلامية مرتكزاً علىٰ إقرار العدل والأمن وإحقاق الحقوق المشروعة مع كل الضمانات اللازمة لذلك .

واعتنى الإسلام بحفظ الصحة والسلامة البدنية والنفسية غاية الاعتناء وجعل تشريعاته كلها منسجمة مع هذا الأصل المهم في الحياة .

الواجبات والمحرمات في الشريعة الإسلامية :

وترتكز الواجبات والمحرّمات في الشريعة الإسلامية على أُسس فطرية

واقعية وأُمورٍ تستلزمها طبيعة الأهداف السامية للشريعة التي جاءت لإخراج هذا الإنسان من ظلمات الجاهلية وهدايته الى نور الحقّ والكمال، ولا تحتاج الإنسانية الى شيء يرتكز عليه الكمال البشري إلّا وأوجبته الشريعة الإسلامية على الإنسان وهيّأت له سبل الوصول إليه، وحرّمت كل شيء يعيق الإنسان عن السعادة الحقيقية المنشودة له وسدّت كل منافذ السقوط الى هوّة الشقاء.

وأباحت الطيبات ولذائذ الحياة الدنيا وزينتها ممّا لا يخلّ بأُصول الشريعة ومدارج الكمال البشري وحدّدت قنواتها حين حدّدت الأهداف السامية وحرّمت ما يضرّ وأوجبت ما ينبغي للإنسان امتثاله.

ومع ذلك كله فقد اعتبرت الشريعة مكارم الأخلاق أهدافاً أساسيّة ينبغي للإنسان الذكي اللبيب أن يحصل عليها في هذه الحياة الدنيا ليسعد بها في الدنيا ويحيا بها في الآخرة ذات الحياة الأبدية الدائمة.

واعتنى الإسلام بالمرأة اعتناءً بالغاً وجعلها ركن العائلة وأساس السعادة في الحياة الزوجية وشرّع لها من الحقوق والواجبات ما يضمن لها عزّتها وكرامتها وتحقيق سعادتها وسعادة أبنائها ومجتمعها الإنساني.

وصفوة القول: إنّ الإسلام لم يغفل عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشري في تكامله وارتقائه.

* * *

الفصل السادس

تراث خاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله)

قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴾[1].

لقد تجلّت لنا ـ من خلال دراسة التاريخ الإسلامي ـ الثمار العظيمة لهـذه البعثة الإلهية لخاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله) حيث أسفرت نبوته عن:

١ ـ رسالة إلهية شاملة قام بتبليغها الى البشرية عامّة.

٢ ـ أُمّة مسلمة تحمل مشعل الرسالة وعبير النبوة الى سائر الأُمم.

٣ ـ دولة إسلامية ذات كيان سياسي مستقل ونظام إلهي فريد.

٤ ـ قيادة معصومة تخلف الرسول القائد وتمثّله خير تمثيل.

وإذا قصرنا النظر على التراث المسموع أو المكتوب والمدوّن وكان تعريفنا لتراث الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) بأنه: كل ما قدّمه الى البشرية والأُمة الإسلامية من عطاء مقروء أو مسموع، فينبغي لنا أنّ نصنّف ما قدّمه إليهم الى:

١ ـ القرآن الكريم .

(١) الجمعة (٦٢): ٢ .

٢ ـ السنّة الشريفة.

ويشترك العطاءان بأنهما من فيض السماء على الإنسان بتوسط هذا الرسول الكريم. فهما وحي الله على قلب محمّد (صلى الله عليه وآله) الذي لم ينطق عن الهوى.

ويتميّز القرآن الحكيم أوّلاً بأن شكله ومحتواه (نصّه ومضمونه) معاً من الله تعالى، فالصياغة إلهية معجزة كما أنّ مضمونه كذلك. على أنّ جمعه وتدوينه ـ كما هو الصحيح والثابت تاريخياً ـ قد تمّ في عصر الرسول نفسه وقد تواتر إلينا نصّه بشكل كامل غير محرّف.

والوثائق التأريخية الدالّة على تدوين النصّ القرآني في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) غير قليلة، نكتفي بنصّ قرآني وآخر غير قرآني على ذلك.

فالأوّل: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[1].

والثاني: ما روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) حيث قال: **«...ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا لي بما دعا»**[2].

والمسلمون جميعاً متفقون على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بلّغ القرآن كاملاً، وأنّ

---

(١) الفرقان (٢٥): ٥.

(٢) الكافي ١: ٦٤/ ح ١ (باب إختلاف الحديث)، الخصال: ٢٥٧ / ١٣١ (أتى الناس الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله من أربعة ليس لهم خامس)، بحار الأنوار ٣٦: ٢٥٧ / ح ٧٥.

القرآن المتداول اليوم بين المسلمين هو الذي كان متداولاً في عهد النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يُزَد فيه شيء ولم ينقص منه شيء.

وأمّا السنة الشريفة والحديث النبوي، فهو بشريّ الصياغة إلهيّ المضمون، ويتميّز بالفصاحة الكاملة وتتجلى فيه عظمة الرسول وكماله وعصمته والتسديد الإلهي له.

ومن هنا كان القرآن الكريم هو المصدر الأوّل للتشريع والينبوع الأساس للمعرفة التي تحتاجها البشرية على مدى الحياة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١].

واعتبر القرآن الكريم السُنّة الشريفة ثاني مصدر للتشريع الربّاني حيث اعتبرت سنّة النبيّ الكريم مصدراً تشريعياً تالياً للقرآن باعتبار النبيّ (صلى الله عليه وآله) مفسّراً للذكر الحكيم وأُسوة حسنة يُقتدى بها، وعلى الناس أن يأخذوا بأوامره وينتهوا عن نواهيه[٢].

ولكن السنّة النبوية ـ وللأسف ـ لقيت بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) وبالذات عصر الخلفاء الأوائل وضعاً سيّئاً حيث أقدم الشيخان أبو بكر وعمر على منع تدوين حديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقاما بحرق ما دوّنه بعض الصحابة زاعمين أنّ ذلك النهي إنّما جاء منهما ـ ومن عمر بالذات ـ حرصاً منهما على القرآن الكريم؛ لأن تدوين السنّة والاهتمام بها يؤدي بالتدريج الى الغفلة عن

(١) البقرة (٢): ١٢٠.
(٢) النحل (١٦): ٤٤ والأحزاب (٣٣): ٢١ والحشر (٥٩): ٧.

القرآن، أو إلى ضياع القرآن من حيث التباسه بالحديث .

ولكن أهل البيت وأتباعهم وكثير من المسلمين قد تعاملوا مع سنّة الرسول(صلى الله عليه وآله) التعامل اللائق بها من الاحترام والتقديس مستلهمين ذلك من القرآن الكريم، ومن هنا أخذوا يتداولونها حفظاً وتحديثاً وتدويناً وتطبيقاً بالرغم من الحظر الرسمي للتدوين الذي كان لسبب آخر ـ كما يبدو ـ غير ما ذكر من الأسباب . وقد خالف العلماء والخلفاء فيما بعد وراحوا يحثّون على التدوين وهذه المخالفة خير شاهد على بطلان مزاعم أصحاب الخطر للتدوين.

وأول من بادر الى تدوين السنة الشريفة واعتنى بها أشدّ الاعتناء هو ربيب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ووصيّه الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). قال: **«وقد كنت أدخل على رسول الله(صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها، أدور معه حيثما دار. وقد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري... وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكتّ وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها... وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون منزلاً على أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً...»**[1].

وتمثّلت مدوّنات الإمام عليّ (عليه السلام) مما أملاه عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) في ما يسمّىٰ بكتاب عليّ وما يسمّى بالجامعة أو الصحيفة.

قال أبو العباس النجاشي المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) : أخبرنا محمد بن جعفر

---

(١) الكافي ١: ٦٤ / ح ١ (باب إختلاف الحديث)، الخصال: ٢٥٧ / ح ١٣١ (أتىٰ الناس الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله من أربعة لا خامس لهم)، البحار ٣٦: ٢٧٥/ ح ٩٢.

(النحوي التميمي وهو شيخه في الإجازة) مسنداً الى عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (عليه السلام) فجعل يسأله وكان أبو جعفر (عليه السلام) له مكرّماً فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر (عليه السلام): «**يا بني قم فاخرج كتاب عليّ(عليه السلام)**»، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة فقال أبوجعفر (عليه السلام): «**هذا خط عليّ(عليه السلام) وإملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله)** وأقبل على الحكم وقال: **يا أبا محمد اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل(عليه السلام)**»[1].

وعن إبراهيم بن هاشم مسنداً الى أبي جعفر (عليه السلام): «**في كتاب عليّ كلّ شيء يحتاج إليه حتى أرش الخدش**»[2].

وأما صحيفة عليّ (عليه السلام) أو الجامعة فهي مدوّنة أُخرى لعليّ(عليه السلام) علىٰ جلدٍ طوله سبعون ذراعاً فعن أبي بصير (عليه السلام): أنه قال له الإمام الصادق (عليه السلام) فيما قال له: «**وان عندنا الجامعة، صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله) واملائه من فلق فيه وخط عليّ(عليه السلام) بيمينه، فيهاكل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش**»[3].

هذا هو موقف أهل البيت(عليهم السلام) من السنّة الشريفة .

وأما الموقف الحكومي الرسمي في خلافة الشيخين فقد ترك آثاراً سلبية

---

(١) رجال النجاشي: ٩٦٦/٣٦٠ (ترجمة محمّد بن عذافر).

(٢) بصائر الدرجات: ١٦٨، ب ١٣، في أنّ الأئمة عندهم الصحيفة ، جمع أحاديث ج٣، ح ٦ و فيه السند عن أبي عبدالله عليه السلام، بدلاً (عن أبي جعفر عليه السلام).

(٣) بصائر الدرجات: ١٦٣، ب ١٢، جمع أحاديث ج ١٣، ح ٤.

كبيرة حيث استمرّ هذا الحظر إلىٰ ما لا يقلّ عن قرن واحد وأدّىٰ الى ضياع كثير منها، وفتح الباب أمام تسرّب الإسرائيليات الى مصادر الثقافة عند المسلمين،كما وأنتج انفتاح باب الرأي والاستحسان على مصراعيه حتى غدا الرأي مصدراً من مصادر التشريع بل قد قدّمه البعض حتى على نصوص السنّة النبوية الشريفة؛ إذ لم يصمد كثير من النصوص أمام النقد العلمي. وهذا قد أدّىٰ بدوره الى شحّة النصوص النبوية الصحيحة عند أهل السنّة وعدم وفائها بما تحتاجه الأُمة في عصورها المقبلة.

ولكن أهل البيت(عليهم السلام) قد وقفوا أمام هذا التيّار الجارف بكل حزم واستطاعوا أن يحفظوا السنّة الشريفة من الضياع عند المؤمنين من خلال توجيهاتهم وحسب ما تقتضيه إمامتهم وخلافتهم الشرعية فإنّ أُولى مهامّ الإمام والخليفة المنصوص هو حفظ الشريعة ونصوصها من الضياع.

ومن هنا لزم على الباحث عن السنّة النبوية الرجوع الى مصادر السنّة عند أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم فإنهم أدرىٰ بما في البيت.

والسنة الشريفة عند أهل البيت (عليهم السلام) تغطّي جميع أبواب العقيدة والفقه والأخلاق والتربية وكل ما تحتاجه البشرية في كل مجالات الحياة.

وقد صرّح الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) حفيد الرسول الأعظم بهذه الحقيقة فقال: **«ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سُنّةٌ»**[1].

(١) الكافي ١: ٥٩ / ح ٤ (باب الردّ الىٰ الكتاب والسنّة).

نماذج من تراث سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله)

١ ــ العقل والعلم :

لقد اهتمّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالعقل أشدّ الاهتمام، فعرّفه وبيّن وظيفته ودوره في الحياة: على مستوى التكليف والمسؤولية، وعلىٰ مستوى العمل والجزاء،كما بيّن عوامل رشده وتكامله، فقال:

«إنّ العقل عقالٌ من الجهل، والنفس مثل أخبث الدوابّ، فإن لم يعقل حارت، فالعقل عقالٌ من الجهل، وإنّ الله خلق العقل، فقال له: أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال له الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك، بك أُبدي وأُعيد، لك الثواب وعليك العقاب.

فتشعّب من العقل الحلم، ومن الحلم العلم، ومن العلم الرشد، ومن الرشد العفاف، ومن العفاف الصيّانة، ومن الصيّانة الحياء، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير، وكراهية الشر، ومن كراهية الشرّ طاعة الناصح.

فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير، ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع...»[1].

واهتم الرسول الرائد(صلى الله عليه وآله) بالعلم والمعرفة، مبيّناً دور العلم في الحياة وقيمته إذا ما قيس الى سائر أنواع الكمال، فقال:

(١) راجع تمام الحديث فيباب مواعظ النبيّ وحكمه. وروي أنّ شمعون بن لاوي المسيحي دخل على رسول الله وناقشه طويلا ثم اعتنق الإسلام فقال: أخبرني عن العقل ماهو؟ وكيف هو؟ وما يتشعب منه وما لا يتشعب، وصفه وصف لي طوائفه كلها، فقال الرسول: ... إنّ العقل عقال من الجهل، تحف العقول: ١٥-١٦.

«طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانّه، واقتبسوه من أهله، فإنّ تعليمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى؛ لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل الجنّة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السَّرَّاء والضرَّاء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلّاء. يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة، تُقتبس آثارهم، ويُهتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلّتهم. بأجنحتها تمسحهم ، وفي صلاتها تبارك عليهم. يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامّه، وسباع البر وأنعامه. إنّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظُّلمة، وقوة الأبدان من الضعف. يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العُلى في الدنيا والآخرة. الذكر فيه يُعدَل بالصيام، ومدارسته بالقيام. به يطاع الرب، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام. العلم إمام العمل والعمل تابعه. يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظّه.[١]

وصفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابق من فوقه في طلب البر. وإذا أراد أن يتكلم تدبّر، فإن كان خيراً تكلم فغنم، وإن كان شرّاً سكت فسلم، وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله، وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها. لا يفارقه الحياء، ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يُعرف بها العاقل.

وصفة الجاهل أن يظلم من خالطه، ويتعدّى على من هو دونه، ويتطاول على من هو فوقه. كلامه بغير تدبّر، إن تكلّم أثم، وإن سكت سها، وإن عرضت له فتنة سارع إليها فأردته، وإن رأى فضيلة أعرض عنها وأبطأ عنها. لا يخاف ذنوبه القديمة، ولا يرتدع فيما بقي من

(١) أمالي للطوسي: ٤٨٨/ ح ١٠٦٩، بحار الأنوار ١: ١٧١/ ح ٢٤.

عمره من الذنوب. يتوانى عن البرّ ويبطئ عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيّعه، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حُرِم العقل»[١].

٢ ـ مصادر التشريع :

لقد رسم خاتم الرسل (ﷺ) للناس جميعاً طريق السعادة الحقيقية وضمن لهم الوصول إليها فيما اذا التزموا بالتعليمات التي بيّنها لهم. ويتلخّص طريق السعادة عند الرسول (ﷺ) بالتمسك بأصلين أساسيين لاغنى بأحدهما عن الآخر وهما الثقلان، حيث قال:

«أيّها النّاس! إنّي فرطكم، وانتم واردون عليّ الحوض، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا: كيف تخلّفوني فيهما؟ فإن اللّطيف الخبير نبّأني: أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لا تسبقوهم فتفرّقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم، فإنهم أعلم منكم.

أيّها الناس! لا ألفينّكم بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كمجرّ السيل الجرّار.

ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله»[٢].

(١) تحف العقول: ٢٨-٢٩ (ذكر مواعظ النبيّ ﷺ في العلم والعقل)، بحار الأنوار ١: ١٢٩/ ح ١٢.
(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٠ (فصل في حجة الوداع)، بحار الأنوار ٢٢: ٤٦٥-٤٦٦ / ح ١٩.

القرآن ودوره المتميّز

وأفصح النبيّ(صلى الله عليه وآله) ببليغ بيانه عن عظمة القرآن الكريم مبيّناً دوره في الحياة وقيمة التمسك التامّ به حيث خاطب عامّة البشرية قائلاً:

«أيّها الناس! إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار، والشمس والقمر، يبليان كل جديد، ويقرّبان كلّ بعيد، ويأتيان بكل وعد ووعيد، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز. إنّها دار بلاء وابتلاء، وانقطاع وفناء، فإذا التبست عليكم الأُمور كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، وماحل مصدَّق. من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النّار، ومن جعله الدليل يدلّه على السبيل. وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل. هو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم الله، وباطنه علم الله تعالى، فظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليُجِلْ جالٍ بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلّص من نشب؛ فإن التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنّور، فعليكم بحسن التخلّص، وقلة التربص»[1].

أهل البيت (عليهم السلام) أركان الدين

وعرّف الرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله) الثقل الكبير ـ أي أهل بيت الرسالة: عليٌّ

---

(١) الكافي ٢: ٥٩٨-٥٩٩ / ح ٣ (باب في تمثل القرآن)، تفسير الصافي ١: ١٥ (المقدمة الأُولى) وأورد الخطبة الهندي بتفاوت في كنز العمال ٢: ٢٨٨-٢٨٩ / ح ٤٠٢٧ (باب في القرآن فصل فضائل القرآن).

وبنوه الأحد عشر ـ بأنواع التعريف، وكان مما قاله في آخر خطبة خطبها:

«يا معشر المهاجرين والأنصار! ومن حضرني في يومي هذا، وفي ساعتي هذه، من الجنّ والإنس فليبلّغ شاهدكم الغائب: ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله. فيه النّور، والهدى، والبيان، ما فرّط الله فيه من شيء، حجة الله لي عليكم. وخلّفت فيكم العلم الأكبر، علم الدين، ونور الهدى، وصيّي: عليّ بن أبي طالب، ألا وهو حبل الله، فاعتصموا به جميعاً، ولا تفرقوا عنه، ﴿وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾(١).

أيّها الناس! هذا عليّ بن أبي طالب، كنز الله، اليوم وما بعد اليوم، من أحبّه وتولّاه اليوم وما بعد اليوم، فقد أوفى بما عاهد عليه، وأدّى ما وجب عليه، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم، جاء يوم القيامة أعمى وأصمّ، لا حجّة له عند الله.

أيّها الناس! لا تأتوني غداً بالدنيا، تزفّونها زفّاً، ويأتي أهل بيتي شعثاء غبراء، مقهورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم، وبيعات الضلالة والشورى للجهالة في رقابكم. ألا وإنّ هذا الأمر له أصحاب وآيات، قد سمّاهم الله في كتابه، وعرّفتكم، وبلّغتكم ما أرسلت به إليكم، ولكنّي أراكم قوماً تجهلون. لا ترجعنّ بعدي كفّاراً مرتدّين، متأوّلين للكتاب على غير معرفة، وتبتدعون السّنّة بالهوى؛ لأنّ كل سنّة وحديث وكلام خالف القرآن فهو ردّ وباطل.

القرآن إمام هدى، وله قائد يهدي إليه، ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة. وهو وليّ الأمر بعدي، ووارث علمي وحكمتي، وسرّي وعلانيتي، وما ورّثه النبيّون من قبلي، وأنا وارث وموّرث، فلا يكذبنّكم أنفسكم.

---

(١) آل عمران (٣): ١٠٣.

أيّها الناس! الله الله في أهل بيتي؛ فإنّهم أركان الدين، ومصابيح الظلم، ومعدن العلم؛ عليّ أخي، ووارثي، ووزيري، وأميني، والقائم بأمري، والموفي بعهدي على سنّتي. أوّل النّاس بي إيماناً، وآخرهم عهداً عند الموت، وأوسطهم لي لقاءاً يوم القيامة، فليبلّغ شاهدكم غائبكم ألا ومن أمّ قوماً إمامة عمياء، وفي الأمة من هو أعلم، فقد كفر.

أيّها النّاس! ومن كانت له قبلي تبعةٌ فيما أنا، ومن كانت له عدة، فليأت فيها عليّ بن أبي طالب، فإنّه ضامن لذلك كلّه، حتى لا يبقى لأحد عليَّ تباعة»[1].

٣ ـ أُصول العقيدة الإسلامية

الخالق لا يوصف

«إنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به ؟ جلّ عمّا يصفه الواصفون، ناءٍ في قربه، وقريب في نأيه، كيّف الكيفيّة فلا يقال له، كيف؟ وأيّن الأين فلا يقال له، أين؟ هو منقطع الكيفوفيّة والأينونيّة، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[2].

شروط التوحيد

«إذا قال العبد: «لا إله إلّا الله» فينبغي أن يكون معه تصديق وتعظيم، وحلاوة وحرمة،

---

(١) خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضي: ٧٤-٧٥ (ذكر خطبته صلى الله عليه وآله بعد الصلاة)، بحار الأنوار ٢٢: ٢٨٦ - ٢٨٧ / ح ٣٠.

(٢) كفاية الأثر للخزاز القمي: ١٢ (ما جاء عن عبدالله بن عباس من النصوص)، بحار الأنوار ٣: ٣٠٣-٣٠٤ / ح ٤٠.

فإذا قال: «لا إله إلّا الله» ولم يكن معه تعظيم، فهو مبتدع. وإذا لم يكن معه حلاوة فهو مراءٍ. وإذا لم يكن معه حرمة فهو فاسق»[(١)].

رحمة الله

«إن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما مجتهد في العبادة والآخر مذنب، فجعل يقول المجتهد: أقصر عمّا أنت فيه، فيقول: خلّني وربي، حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، قال: خلّني وربي، أبُعثت عليّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة. فبعث الله إليهما ملكاً، فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: أُدخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي ؟ فقال: لا يا ربّ. قال: اذهبوا به إلى النّار»[(٢)].

لا جبر ولا اختيار

«إنّ الله لا يطاع جبراً، ولا يعصى مغلوباً، ولم يهمل العباد من المملكة، ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه، والمالك لما ملّكهم إياه؛ فإنّ العباد إن ائتمروا بطاعة الله لم يكن منها مانع، ولا عنها صادّ، وإن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل، وليس من شاء أن يحول بينك وبين شيء ولم يفعله، فأتاه الذي فعله كان هو الذي أدخله فيه»[(٣)].

الخاتمية

«فُضِّلتُ على الأنبياء بستّ: أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب من مسيرة شهر،

---

(١) كلمة الرسول الأعظم : ٣٠.

(٢) مسند أحمد ٢: ٣٢٣ (ما أُسند عن أبي هريرة)، تهذيب الكمال للمزّي ١٣: ٣٢٦ (ترجمة ضمضم بن جوس تحت رقم ٢٩٤١).

(٣) تحف العقول: ٣٧ (في قصار كلماته صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٧٤: ١٤٠/ ح ٢٢ .

وأُحلّت لي الغنائم. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وأُرسلت إلى الخلق كافّة. وخُتم بي النبيّون»[١].

إنّ الله اصطفاني

«إنّ الله اصطفى من وُلد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً. واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢]»[٣].

مثلي مثل الغيث

«إنّ مثل ما بعثني به ربّي من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، منها طائفة طيّبة، فقبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ الكبير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنّما هي قيعات، لا تمسك ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، وتفقّه فيما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به»[٤].

---

(١) مسند أحمد ٤١٢:٢ (ما أُسند عن أبي هريرة)، صحيح مسلم ٢: ٦٤ (كتاب الصلاة، باب المساجد)، امتاع الأسماع ٣: ٣١٧ (باب أنه بُعث صلى الله عليه وآله بجوامع الكلم).

(٢) التوبة (٩): ١٢٨.

(٣) أمالي المفيد: ٢١٦ / ٢٩ (إنّ الله إصطفىٰ محمّداً صلى الله عليه وآله)، أمالي الطوسي: ٢٤٦ / ح ٣٤٠، بحار الأنوار ١٦: ٣٢٣/ ح ١٠، مسند أحمد ٤: ١٠٧ (ما أسند عن رويفع بن ثابت)، صحيح مسلم٧: ٥٨ (كتاب الفضائل باب فضل نسب النبيّ صلى الله عليه وآله و لم يذكروا الآية في ذيل الرواية).

(٤) بحار الأنوار : ١٨٤/١،/ ح ١٠٠، مسند أحمد ٤: ٣٩٩ (حديث أبي موسىٰ الأشعري)، صحيح مسلم ٧: ٦٣ (كتاب الفضائل، باب شفقة النبيّ صلى الله عليه وآله).

الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

«يا عمّار! إنّه سيكون بعدي هنات، حتى يختلف السيف فيما بينهم، وحتى يقتل بعضهم بعضاً، وحتى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني: عليّ بن أبي طالب، فإن سلك الناس كلّهم وادياً، وسلك عليٌّ وادياً فاسلك وادي عليّ، وخلّ عن الناس.

يا عمّار! إن عليّاً لا يردّك عن هدى، ولا يدلّك على ردى.

يا عمّار! طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله»[١].

«من ظلم عليّاً مقعدي هذا بعد وفاتي، فكأنّما جحد نبوّتي، ونبوّة الأنبياء قبلي»[٢].

فضل عليّ (عليه السلام)

«لولا أنّني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً، لا تمرُّ بملأ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك»[٣].

الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

«الأئمة بعدي من عترتي بعدد نقباء بني إسرائيل، وحواريي عيسى، من أحبّهم فهو مؤمن ومن أبغضهم فهو منافق، هم حجج الله في خلقه وأعلامه في بريّته»[٤].

---

(١) مجمع البيان ٤:/ ٤٥٣ (في تفسير سورة الأنعام)، بحار الأنوار ٢٨: ٦٨/ ح ٢٧.

(٢) الطرائف لابن طاووس ٢: ٣٥/ ح ٢٤، الصراط المستقيم ٢: ٢٧، البحار ٢٧: ٦٠ / ح ٢١.

(٣) الإرشاد : ١ / ١٦٥ ، قاله لأمير المؤمنين، بعد ما فتح الله على يديه في غزوة ذات السلاسل.

(٤) كفاية الأثر للخزاز القمّي: ١٦٦، أبو المفضل الشيباني عن أحمد بن عامر بن سليمان الطائي عن محمد بن ←

أئمة الحق

«يا علي! أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذامضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه عليّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضىٰ عليّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمة الحقّ، وألسنة الصدق، منصورٌ من نصرهم، مخذول من خذلهم»[1].

النبيّ (صلى الله عليه وآله) يبشّر بالمهديّ (عليه السلام)

روى أحمد عن النبيّ (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً

← عمران الكوفي عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن صفوان بن يحيى عن إسحاق بن عمار عن جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أخيه الحسن بن علي(عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ...

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي : ١٩٥ ـ ١٩٦ (ما جاء عن فاطمة عليها السلام)، عن الحسين بن علي، عن هارون بن موسى عن محمد بن إسماعيل الفزاري، عن عبد الله بن الصالح كاتب الليث، عن رشد بن سعد، عن الحسين بن يوسف الأنصاري، عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سئلت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الأئمة فقالت: كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول لعلي: ... وروى نصّين آخرين عن جابر الأنصاري فراجع.

وعدواناً ثمّ يخرج من عترتي من يملأها قسطاً وعدلاً...»(١).

وجاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: دفع النبيّ (صلى الله عليه وآله) الراية يوم خيبر الى عليّ ففتح الله على يده ثمّ في غدير خم أعلم الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة. وساق الحديث وذكر شيئاً من فضائل عليّ وفاطمة والحسن والحسين الى أن قال: «**أخبرني جبرئيل أنهم يُظلمون بعدي وأنّ ذلك الظلم يبقى حتى إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم واجتمعت الأُمة على محبتهم وكان الشانئ لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً وكثر المادح لهم وذلك حين تغيّر البلاد وضعف العباد واليأس من الفرج فعند ذلك يظهر القائم المهدي من ولدي بقومٍ يظهر الله الحقّ بهم ويخمد الباطل بأسيافهم** ـ الى أن قال ـ: **معاشر الناس أبشروا بالفرج فإن وعد الله حقّ لا يخلف، وقضاءه لا يرد وهو الحكيم الخبير وأنّ فتح الله قريب**»(٢).

وعن أُم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»(٣).

وجاء عن حذيفة بن اليمان أنه قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذكر لنا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم قال: «**لو لم يبق من الدنيا الّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من ولدي اسمه اسمي**، فقام سلمان وقال: يا رسول الله إنه من أي ولدك؟ قال: **هو من ولدي هذا** وضرب بيده على الحسين»(٤).

---

(١) راجع مسند أحمد ٣: ٢٨ (ما أسند عن أبي سعيد).

(٢) أمالي الطوسي: ٣٥١-٣٥٢/ ح ٧٢٦، بحار الأنوار ٢٨: ٤٥-٤٦ / ح ٨.

(٣) الطرائف لابن طاووس: ١٧٥-١٧٦/ ح ٢٧٣، الصراط المستقيم ٢: ٢٤٢ (باب ١١)، العمدة لابن البطريق: ٤٣٣/ ح ٩٠٩ (فصل في ذكر ما جاء في المهدي (عج).

(٤) البيان في أخبار صاحب الزمان للحافظ أبي عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد النوفلي: ١٢٩.

٤ ـ أُصول التشريع الإسلامي في تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)(١)

الف ـ خصائص الإسلام

١ ـ الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه.

٢ ـ الإسلام يجُبّ ما قبله.

٣ ـ الناس في سعةٍ ما لم يعلموا.

٤ ـ رفع عن أُمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

٥ ـ رفع القلم عن ثلاثة: الصبي والمجنون والنائم.

ب ـ العلم ومسؤولية العلماء

١ ـ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة.

٢ ـ من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوّأ مقعده من النار.

٣ ـ من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجامٍ من نار.

٤ ـ من أفتىٰ بما لا يعلم لعنته ملائكة السماء والأرض.

٥ ـ كلّ مفتٍ ضامن.

٦ ـ كلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة سببها الى النار.

٧ ـ من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين.

٨ ـ تعلّموا الفرائض وعلّموها الناس فإنها نصف العلم.

٩ ـ إذا أتاكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه

---

(١) تراجع هذه النصوص وغيرها في أعيان الشيعة: ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٦ (ترجمة النبيّ صلى الله عليه وآله).

فاضربوا به عرض الحائط .

١٠ ـ إذا ظهرت البدعة فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله .

ج ـ قواعد عامة للسلوك الإسلامي

١ ـ لا رهبانية في الإسلام .

٢ ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٣ ـ لا دين لمن لا تقيّة له .

٤ ـ لا خير في النوافل إذا أضرّت بالفرائض .

٥ ـ في كل أمر مشكل القرعة .

٦ ـ إنّما الأعمال بالنّيات .

٧ ـ نيّة المرء أبلغ من عمله .

٨ ـ أفضل الأعمال أحمزها .

٩ ـ من دان بدين قوم لزمه حكمهم .

١٠ ـ من سنّ سُنّة حسنة كان له أجرها وأجر العامل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر العامل بها إلىٰ يوم القيامة .

د ـ خطوط عامة في القضاء والمحاكمات

١ ـ إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران .

٢ ـ إقرار العقلاء على أنفسهم جائز .

٣ ـ البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر .

٤ ـ لا يمين إلّا بالله .

٥ ـ ادرؤوا الحدود بالشبهات .

٦ـ من قتل دون ماله فهو شهيد.

٧ـ على اليد ما أخذت حتىٰ تؤدّي.

٨ـ جناية العجماوات جبار.

٩ـ لا يؤاخذ الرجل بجريرة ابنه، ولا ابن بجريرة أبيه.

١٠ـ الناس مسلّطون على أموالهم.

هـ ـ العبادات في خطوطها العريضة

١ـ إنّ عمود الدين الصلاة.

٢ـ خذوا عني مناسككم.

٣ـ صلّوا كما رأيتموني أُصلّي.

٤ـ زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم.

٥ـ زكاة الفطرة على كل ذكر وانثىٰ.

٦ـ جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

٧ـ جنّبوا مساجدكم بيعكم وشراءكم وخصوماتكم.

٨ـ سياحة أُمتي الصوم.

٩ـ كل معروف صدقة.

١٠ـ أفضل الجهاد كلمة حقٍ بين يدي سلطان جائر.

و ـ من أُصول النظام العائلي الإسلامي

١ـ النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

٢ـ تناكحوا تناسلوا فإني أُباهي بكم الأُمم يوم القيامة.

٣ـ تزوّجوا ولا تطلّقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه عرش الرحمٰن.

٤ ـ تخيّروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم.

٥ ـ الولد للفراش وللعاهر الحجر.

٦ ـ جهاد المرأة حسن التّبعّل لزوجها.

٧ ـ ليس على النساء جمعة ولا جماعة ولا أذان ولا إقامة ولا عيادة مريض ولا هرولة بين الصفا والمروة ولا جهاد ولا استلام الحجر ولا تولّي القضاء ولا الحلق.

٨ ـ المتلاعنان لا يجتمعان أبداً.

٩ ـ قذف المحصنة يحبط عمل مائة سخينة.

١٠ ـ الرضاع ما أنبت اللحم وشدّ العظم.

١١ ـ علّموا أولادكم السباحة والرمي.

١٢ ـ من كان عنده صبيّ فليتصابّ له.

ز ـ نقاط مضيئة من النظام الاقتصادي الإسلامي

١ ـ العبادة سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال.

٢ ـ الفقه ثم المتجر.

٣ ـ ملعون من ألقىٰ كلّه على الناس.

٤ ـ ابدأ بمن تعول.

٥ ـ اعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه.

٦ ـ على كلّ ذي كبد حرّىٰ أجر.

٧ ـ المسلمون عند شروطهم.

٨ ـ المسلم أحقّ بماله أينما وجده.

٩ ـ الوقوف على حسب ما يوقفها أهلها.

١٠ ـ لا يحلّ مال امرئ مسلمٍ إلّا عن طيب نفسه منه.

١١ ـ الكفن ثمّ الدَّيْن ثمّ الوصية ثم الميراث .

١٢ ـ الصلح جائز بين المسلمين إلّا ما أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً .

١٣ ـ مطل الموسر المسلم ظلم للمسلم .

١٤ ـ البيّعان بالخيار ما داما في المجلس .

١٥ ـ شرّ المكاسب الرّبا .

١٦ ـ لا ينتفع من الميتة بإهابٍ ولا عصب .

ح ـ من أُصول التعايش الاجتماعي

١ ـ قتال المؤمن كفر وأكل لحمه معصية .

٢ ـ حرمة المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً .

٣ ـ كرامة الميت تعجيله في التجهيز .

٤ ـ المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعىٰ بذمّتهم أدناهم وهم يد على مَن سواهم.

٥ ـ الولاء للعتق .

٦ ـ الولاء لحمة كلحمة النسب .

٧ ـ سباب المؤمن فسوق .

٨ ـ كلّ مسكر حرام .

٩ ـ ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام .

١٠ ـ عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب .

١١ ـ لا غيبة لفاسق .

١٢ ـ حرّم لباس الذهب على ذكور أُمّتي وحلّ لإناثهم .

٥ ـ من جوامع الكلم في تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)

١ ـ إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق .

٢ ـ أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها .

٣ ـ أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ .

٤ ـ إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن .

٥ ـ الإيمان نصفان: نصف في الصبر ونصف في الشكر .

٦ ـ استعينوا على أُموركم بالكتمان .

٧ ـ الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر .

٨ ـ الأيدي ثلاثة : سائلة ومنفقة وممسكة، فخير الأيادي المنفقة .

٩ ـ إذا ساد القوم فاسقهم وكان زعيم القوم أذلّهم وأكرم الرجل الفاسق فلينتظر البلاء .

١٠ ـ أعجل الشر عقوبة البغي .

١١ ـ ألا إنّ شرار أُمّتي الذين يكرمون مخافة شرّهم. ألا ومن أكرمه الناس اتّقاء شرّه فليس منيّ .

١٢ ـ بالبرّ يستعبد الحرّ .

١٣ ـ بشّروا ولا تنفّروا .

١٤ ـ بادر بأربع قبل أربع : شبابك قبل هرمك وصحّتك قبل سُقمك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك .

١٥ ـ ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة : أن تعفو عمّن ظلمك وتصل مَن قطعك وتحلم على مَن جهل عليك .

١٦ ـ ثلاث تخرق الحجب وتنتهي الى ما بين يدي الله : صرير أقلام العلماء ووطئ المجاهدين وصوت مغازل المحصنات .

١٧ ـ ثلاث تقسي القلب : استماع اللهو ، وطلب الصيد واتيان باب السلطان .

١٨ ـ جبلت القلوب على: حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها .

١٩ ـ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

٢٠ ـ حبّ الدنيا رأس كل خطيئة .

٢١ ـ الحكمة ضالّة المؤمن.

٢٢ ـ رأس الحكمة مخافة الله .

٢٣ ـ حُفت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات .

٢٤ ـ حسّنوا أخلاقكم والطفوا بجيرانكم واكرموا نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب.

٢٥ ـ داووا أمراضكم بالصدقة .

٢٦ ـ رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حقّ.

٢٧ ـ سادة الناس في الدنيا الأسخياء، سادة الناس في الآخرة الأتقياء.

٢٨ ـ السعيد من وُعظ بغيره .

٢٩ ـ شرّ الناس من باع آخرته بدنياه ، وشرٌّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره .

٣٠ ـ طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس .

٣١ ـ عليك بالجماعة فإن الذئب يأخذ القاصية .

٣٢ ـ عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا .

٣٣ ـ عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء ،كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار؟!

٣٤ ـ عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس .

٣٥ ـ عُد من لا يعودك، واهد لمن لم يهد إليك .

٣٦ ـ الغنيّ غنيّ النفس .

٣٧ ـ كن عالماً أو متعلّماً أو مستمعاً أو محبّاً، ولا تكن الخامس فتهلك .

٣٨ ـ لا مال أعود من العقل .

٣٩ ـ لا فقر أشدّ من الجهل .

٤٠ ـ لا عقل كالتدبير .

٤١ـ ليس منّا من غشّ مسلماً أو ضرّه أو ماكره .

٤٢ـ من المروءة إصلاح المال .

٤٣ـ من أحبّ عمل قوم أشرك معهم في عملهم .

٤٤ـ من أحبّ قوماً حشر معهم .

٤٥ـ من عمل بما علم ورّثه الله ما لم يعلم .

٤٦ـ من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه .

٤٧ـ من يصلح ما بينه وبين الله يصلح الله ما بينه وبين الناس .

٤٨ـ من لا يرحم لا يُرحَم .

٤٩ـ مَن غَشّ غُشّ .

٥٠ـ من تساوىٰ يوماه فهو مغبون .

٥١ـ ما عال من اقتصد

٥٢ـ المؤمن من أمن الناس من يده ولسانه .

٥٣ـ المسلم من سلم الناس من أذاه .

٥٤ـ المجالس بالأمانة .

٥٥ـ المسلم مرآة لأخيه المسلم .

٥٦ـ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .

٥٧ـ المستشار مؤتمن .

٥٨ـ ما هلك امرؤٌ عرف قدر نفسه .

٥٩ـ من تفاقر افتقر .

٦٠ـ من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

٦١ـ من أذاع فاحشةً كان كمبدئها .

٦٢ـ ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه .

٦٣ـ من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت .

٦٤ـ من أرضى سُلطاناً بما يسخط الله خرج من دين الله .

٦٥ـ مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش .

٦٦ـ يسّروا ولا تعسّروا .

٦٧ـ يطبع المؤمن على كل خصلة ولا يطبع على الكذب ولا على الخيانة .

٦ ـ نماذج من أدعيته الشريفة (صلى الله عليه وآله)

ألف ـ من دعائه في شهر رمضان بعد المكتوبة : **«اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كلّ فقير، اللهم أشبع كلّ جائع، اللهم اكس كلّ عريان، اللهم اقض دَيْن كلّ مدين، اللهم فرّج عن كلّ مكروب، اللهم ردكلّ غريب، اللهم فكّ كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من أُمور المسلمين، اللهم اشف كلّ مريض، اللهم سدّ فقرنا بغناك، اللهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقضِ عنّا الدين وأغننا من الفقر إنّك على كل شيء قدير».**

ب ـ دعاؤه (صلى الله عليه وآله) يوم بدر : **« اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمرٍ نزل بي ثقة وعُدّة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه القريب، ويشمت به العدو، وتعييني فيه الأُمور، أنزلته بك وشكوته إليك راغباً فيه إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته عني وكفيتنيه، فأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حاجة، ومنتهى كلّ رغبة، فلك الحمد كثيراً ولك المنّ فاضلاً ».**

ج ـ دعاؤه (صلى الله عليه وآله) يوم الأحزاب : **«يا صريخ المكروبين ويا مجيب دعوة المضطرين اكشف عني همّي وغمي وكربي فإنّك تعلم حالي وحال أصحابي فاكفني هول عدوي فإنه لا يكشف ذلك غيرك».**

د ـ دعاء علّمه (صلى الله عليه وآله) لبعض أصحابه يتّقي به شرّ العدو :

وذكر ابن طاووس في مهج الدعوات هذا الدعاء كما يلي:

«يا سامع كلّ صوت، يا محيي النفوس بعد الموت، يا من لا يعجل لأنه لا يخاف الفوت، يا دائم الثبات، يا مخرج النبات يا محيي العظام الرميم الدارسات. بسم الله، اعتصمت بالله وتوكلت على الحيّ الذي لا يموت، ورميت كل من يؤذيني بلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

هـ ـ دعاؤه (صلى الله عليه وآله) لقضاء الدين علّمه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام):

«اللهم اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمّن سواك».

و ـ دعاؤه (صلى الله عليه وآله) إذا وضعت المائدة بين يديه :

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا وضعت المائدة بين يديه قال:

«سبحانك اللهم ما أحسن ما تبتلينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعطينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعافينا، اللهم أوسع علينا وعلى فقراء المؤمنين والمسلمين»[١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

(١) أعيان الشيعة : ١ / ٣٠٦.

فهرس المصادر

ـ أ ـ

١ ـ **الاحتجاج،** أحمد بن عليّ بن أبي طالب (من أعلام القرن السادس الهجري)، انتشارات أُسوة، قم، ط الأُولى.

٢ ـ **إحقاق الحقّ وازهاق الباطل،** القاضي نور الله التستري المتوفى (١٠١٩ هـ)، مع تعليقات المرعشي النجفي من منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي، قم.

٣ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد،** أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (المفيد) المتوفى (٤١٣ هـ)، مؤسسة آل البيت، ط الأُولى، قم.

٤ ـ **الأدب المفرد،** محمّد بن إسماعيل البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ)، مؤسسة الكتاب الثقافية ط، ٣ (١٤٠٣ هـ).

٥ ـ **الأذكار النووية،** يحيى بن شرف الدمشقي المتوفى (٦٧٦ هـ).

٦ ـ **أسباب النزول،** أبو الحسن علىّ بن أحمد الواحدي المتوفى (٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي القاهرة (١٣٨٨ هـ).

٧ ـ **الاستيعاب في أسماء الأصحاب،** أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ القرطبي المتوفى (٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأُولى، بيروت.

٨ ـ **أُسد الغابة، في معرفة الصحابة**، عزّ الدين عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني (ابن الأثير الجزري) المتوفى (٦٣٠ هـ)، إسماعيليان، ط الأُولى، طهران.

٩ ـ **أسرار الصلاة (رسائل الشهيد الثاني)**، زين الدين الجبعي العاملي المتوفى (٩٦٥ هـ)، مكتبة بصيرتي، قم.

١٠ ـ **إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة آل البيت، ط الأُول، قم.

١١ ـ **أعيان الشيعة**، السيّد محسن الأمين العاملي المتوفى (١٣٧١ هـ)، دار التعارف بيروت.

١٢ ـ **إقبال الأعمال**، رضي الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي ط ١.

١٣ ـ **أمالي الصدوق**، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، مؤسسة البعثة، ط الأُولى، قم.

١٤ ـ **أمالي الطوسي**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، دار الثقافة، ط الأُولى، قم.

١٥ ـ **أمالي المفيد**، أبو عبدالله محمّد بن النعمان المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، دار المفيد بيروت، ط الثانية.

١٦ ـ **الإمامة والتبصرة**، عليّ بن بابويه القمّي (والد الصدوق) المتوفى (٣٢٩ هـ)، مؤسسة المهدي(عج)، ط الأُولى، قم.

١٧ ـ **إمتاع الأسماع**، تقي الدين أحمد بن عليّ بن عبدالقادر بن محمّد المقريزي المتوفى (٨٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى.
١٨ ـ **إنجيل يوحنا**.
١٩ ـ **أشعة البيت النبوي**.

ـ ب ـ

٢٠ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، العلامة محمّد باقر المجلسي المتوفى (١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، ط الثانية، بيروت.
٢١ ـ **البدء والتاريخ**، أحمد بن سهل البلخي المتوفى (٣٤٠ هـ).
٢٢ ـ **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط الأُولى، بيروت.
٢٣ ـ **بشارة المصطفى**، أبو جعفر محمّد بن عليّ الطبري الإمامي المتوفى (٥٢٥هـ).
٢٤ ـ **بصائر الدرجات**، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار القمي المتوفى (٢٩٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي، ط الأُولى، بيروت.
٢٥ ـ **البيان في أخبار صاحب الزمان**، محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي النوفلي الكنجي الشافعي المتوفى (٦٥٨ هـ).

ـ ت ـ

٢٦ ـ **تاج المواليد (مجموعة نفيسة)**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مكتبة آية الله المرعشي، ط الثانية، قم.

٢٧ ـ **تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك)**، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، ط الثانية، بيروت.

٢٨ ـ **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب المتوفى (٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأُولى، بيروت.

٢٩ ـ **التاريخ الكبير**، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ)، المكتبة الإسلامية ط الأُولى ديار بكر، تركيا.

٣٠ ـ **تاريخ مدينة دمشق**، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

٣١ ـ **تاريخ المدينة المنوّرة**، أبو زيد عمر بن شبّة النميري المتوفى (٢٦٢ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

٣٢ ـ **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى (٢٨٤ هـ)، مؤسسة الأعلمي ط الأُولى، بيروت.

٣٣ ـ **تاريخ المواليد (مجموعة نفيسة)**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ).

٣٤ ـ **التبيان في تفسير القرآن**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي ط الأُولى، قم.

٣٥ ـ **تحف العقول**، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من علماء القرن الرابع) مؤسسة النشر الإسلامي ط الثانية، قم، وط الرابعة.

٣٦ ـ **تفسير البيضاوي**، القاضي عبدالله بن عمر بن محمّد بن عليّ البيضاوي المتوفى (٩٧١ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٧ـ **تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)**، أبي إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي المتوفى (٤٢٧ أو ٤٣٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط الأُولى، بيروت.

٣٨ـ **تفسير الإمام العسكري**، المنسوب الى الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام المتوفى (٢٦٠ هـ)، مدرسة الإمام المهدي، ط الأُولى (١٤٠٩ هـ)، قم.

٣٩ـ **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (التفسير الكبير)**، محمّد بن عمر فخر الدين الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط الثانية، بيروت.

٤٠ـ **تفسير الصافي**، محسن الفيض الكاشاني المتوفى (١٠٩١ هـ)، مؤسسة الهادي ط الثانية، قم.

٤١ـ **تفسير العيّاشي**، أبو نضر محمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المتوفى (٣٢٠ هـ) المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٤٢ـ **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧٤ هـ)، دار المعرفة ط الأُولى، بيروت.

٤٣ـ **تفسير القمي**، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمي المتوفى (٣٢٩ هـ)، مؤسسة دار الكتاب ط الثالثة، قم.

٤٤ـ **تفسير نور الثقلين**، عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي المتوفى (١١١٢هـ)، مؤسسة إسماعيليان ط الأُول، قم.

٤٥ـ **تهذيب الأحكام**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلامية ط الرابعة.

٤٦ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، جمال الدين بن الحجاج بن يوسف المزّي المتوفى (٧٤٢ هـ)، مؤسسة الرسالة ط الرابعة، بيروت.

- ج -

٤٧ ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي المتوفى (٢٧٩ هـ)، دار الفكر ط الثانية (١٤٠٣ هـ)، بيروت.

٤٨ ـ الجامع الصغير، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى (٩١١ هـ) دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

- ح -

٤٩ ـ الحبل المتين (رسائل الشيخ البهائي)، محمّد بن الحسين بن عبدالصمد المتوفى (١٠٣١ هـ)، مكتبة بصيرتي ط حجري، قم.

٥٠ ـ حركة التاريخ عند الإمام عليّ عليه السلام، محمّد مهدي شمس الدين (معاصر)، بنياد نهج البلاغة، قم.

٥١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني المتوفى (٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربي ط الخامسة، بيروت.

٥٢ ـ حلية الأبرار، السيّد هاشم بن سليمان الكتكاني البحراني المتوفى (١١٠٧هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية ط الأُولى، قم.

- خ -

٥٣ ـ الخرائج والجرائح، أبو الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف بقطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٣ هـ)، مؤسسة الإمام المهدي(عـج) ط الأُولى، قم.

٥٤ ـ خصائص الأئمة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)، الشريف الرضي محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي المتوفى (٤٠٦ هـ)، مجمع البحوث الإسلامية

ط الثانية، مشهد.
٥٥ ـ **خصائص أميرالمؤمنين**عليه السلام، أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، مكتبة نينوى الحديثة ط الأُولى، طهران.
٥٦ ـ **الخصال**، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، انتشارات مدرسين ط الأُولى، قم.

ـ د ـ

٥٧ ـ **الدرّ المنثور في التفسير المأثور**، عبدالرحمٰن أبو بكر السيوطي المتوفى (٩١١هـ)، دار المعرفة ط الأُولى (١٣٦٥ هـ) جدّة.
٥٨ ـ **دعائم الإسلام**، أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي (٣٦٣ هـ)، دار التعارف، ط الأُولى، أوفست إيران.
٥٩ ـ **الدعوات**، قطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٢ هـ)، مدرسة الإمام المهدي(عج) ط الأُولى، قم.
٦٠ ـ **دلائل النبوّة**، أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى (٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.
٦١ ـ **دلائل الإمامة**، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري)، مؤسسة البعثة ط الأُولى، قم.

ـ ر ـ

٦٢ ـ **رجال النجاشي**، أبو العبّاس أحمد بن عليّ النجاشي الأسدي الكوفي المتوفى (٤٥٠ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي ط الخامسة، قم.
٦٣ ـ **روضة الواعظين**، محمّد بن الفتّال النيسابوري المتوفى (٥٠٨ هـ)،

منشورات شريف الرضي ط الثالثة، قم.

٦٤ ـ **رياض الصالحين**، محيي الدين يحيى بن شرف الشافعي النووي المتوفى (٦٧٦ هـ)، دار الفكر ط الثانية، بيروت.

ـ س ـ

٦٥ ـ **سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد**، محمّد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى (٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.

٦٦ ـ **سعد السعود للنفوس**، رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس المتوفى (٦٦٤هـ)، المكتبة الحيدرية ط الأُولى، النجف الأشرف.

٦٧ ـ **سمط النجوم العوالي**، عبدالملك بن حسين العصامي المكي الشافعي المتوفى (١١١ هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأُولى، بيروت.

٦٨ ـ **سنن ابن ماجة**، أبو عبدالله محمّد بن يزيد القزويني ابن ماجة، المتوفى (٢٧٣ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

٦٩ ـ **السنن الكبرىٰ**، أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي المتوفى (٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.

٧٠ ـ **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

٧١ ـ **السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون)**، علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى (١٠٤٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط حجرية، بيروت.

٧٢ ـ **سيرة رسول الله وأهل بيته**، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ طهران، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم.

٧٣ ـ **سيرة المصطفىٰ**، هاشم معروف الحسني المتوفى (١٤٠٤ هـ).

٧٤ـ **السيرة النبوية**، أبو محمّد عبدالملك بن هشام بن أيّوب الحميري المتوفى (٢١٨هـ)، دار الوفاق ط الثانية، بيروت.
٧٥ـ **السيرة النبوية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المتوفى (٧٧٤ هـ)، دار المعرفة ط الثانية، بيروت.
٧٦ـ **السيرة النبوية**، أحمد بن زيني دحلان المتوفى (١٣٠٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط حجرية، بيروت.
٧٧ـ **سيرة النبيّ (سيرة ابن هشام)**، أبوعبدالله محمّد بن إسحاق المطلبي المتوفى (١٥١ هـ)، تعليق وتحقيق محمّد محيي الدين، نشر مكتبة الصبيح أولاده، ط الأُولى ١٣٨٣ هـ، القاهرة.

ـ ش ـ

٧٨ـ **شرح نهج البلاغة**، أبو حامد هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي المتوفى (٦٥٦ هـ)، دار إحياء الكتب العربية ط الأُولى، بيروت.

ـ ص ـ

٧٩ـ **صحيح البخاري**، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة الجعفي المتوفى (٢٥٦ هـ)، دار الفكر سنة (١٤٠١ هـ) و دار القلم ط الأُولى (١٤٠٣ هـ)، بيروت.
٨٠ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن حجاج القشيري النيشابوري المتوفى (٣٦١هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

٨١ـ **الصحيح من سيرة النبيّ**، السيّد جعفر مرتضى العاملي (معاصر)، دار الهادي ط الرابعة، بيروت.
٨٢ـ**الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم**، عليّ بن يونس العاملي النباطي البيضاي المتوفى (٨٧٧ هـ).

ـ ط ـ

٨٣ـ**الطبقات الكبرىٰ**، ابن سعد محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري المتوفى (٢٣٠ هـ)، دار الفكر، بيروت.
٨٤ـ**الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، عليّ بن موسى ابن طاووس الحسني المتوفى (٦٦٤ هـ)، مطبعة الخيام ط الأُولى (١٣٧١ ش)، قم.

ـ ع ـ

٨٥ـ**عدّة الداعي ونجاح الساعي**، أحمد بن فهد الحلّي المتوفى (٨٤١ هـ)، مكتبة الوجدان ط الأُولى، بيروت.
٨٦ـ**علل الشرائع**، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، المكتبة الحيدرية ط الأُولى (١٣٨٦ هـ)، النجف الأشرف.
٨٧ـ**العلل الواردة في الأحاديث النبويّة**، أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني المتوفى (٣٨٥ هـ)، دار طيبة ط الأُولى، الرياض.
٨٨ـ **عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار**، يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي (ابن البطريق) المتوفى (٦٠٠ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي ط الأُولى، قم.
٨٩ـ**عيون الأثر**، ابن سيّد الناس محمّد بن محمّد أبو الفتح المتوفى (٧٣٤ هـ)، مؤسسة عزّ الدين ط الأُولى (١٤٠٦ هـ)، بيروت.

- غ -

٩٠ـ **الغدير في الكتاب والسنّة**، عبدالحسين أحمد الأميني النجفي التبريزي المتوفى (١٣٩١ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، والمحقّقة، تحقيق ونشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية ط الأُولى، قم.

٩١ـ **الغيبة**، محمّد إبراهيم النعماني المتوفى (٣٨٠ هـ)، مكتبة الصدوق، الأُولى، طهران.

- ف -

٩٢ـ **الفائق في غريب الحديث**، محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.

٩٣ـ **الفصول المهمّة في معرفة الأئمة**، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصبّاغ المتوفى (٨٥٥ هـ)، دار الأضواء ط الثانية، بيروت.

٩٤ـ **الفضائل**، شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمّي المتوفى (٦٦٠هـ)، المكتبة الحيدرية ط الأُولى (١٣٨١ هـ)، بيروت.

٩٥ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ)، دار المعرفة ط الأُولى، بيروت.

٩٦ـ **فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١ هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.

- ق -

٩٧ـ **قصص الأنبياء**، قطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٣ هـ).

ـ ك ـ

٩٨ ـ **الكافي**، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، دار الأضواء ط الأُولى، بيروت.

٩٩ ـ **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى (٦٣٠ هـ)، دار الفكر ط الثانية، بيروت.

١٠٠ ـ **كتاب العين**، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى (١٧٥هـ).

١٠١ ـ **كتاب السنّة (المسند الكبير)**، عمرو بن أبي عاصم الضحّاك المتوفى (٢٨٧هـ)، المكتب الإعلامي، ط الثالثة، بيروت.

١٠٢ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمة**، عليّ بن عيسى الإربلي المتوفى (٦٩٢ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

١٠٣ ـ **كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين**، الحسن بن يوسف بن عليّ المطهر الحلّي المتوفى (٧٢٦ هـ) وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ط الثانية، طهران.

١٠٤ ـ **كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر**، أبو القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزاز القمي الرازي (من أعلام القرن الرابع الهجري) المتوفى (٤٠٠ هـ)، انتشارات بيدار ط الأُولى، قم.

١٠٥ ـ **كلمة الرسول الأعظم** (صلى الله عليه وآله)، حسن بن مهدي الحسيني الشيرازي، ط بيروت.

١٠٦ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين الصدوق المتوفى (٤٨١ هـ).

١٠٧ ـ **كنز العمّال**، عليّ المتّقي بن حسان الدين الهندي المتوفى (٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة سنة (١٤١٣ هـ)، بيروت.

١٠٨ ـ **كنز الفوائد**، محمّد بن عليّ بن عثمان الكراچكي الطرابلسي المتوفى (٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي ط الثانية، قم.

ـ م ـ

١٠٩ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، أبو عليّ الفضيل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ أو ٥٦٠ ﻫ)، مؤسسة الأعلمي ط الأُولى، بيروت.

١١٠ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي المتوفى (٨٠٧ﻫ)، دار الكتب العلمية، ط الثانية (١٤٠٨ ﻫ)، بيروت.

١١١ـ **المحجة البيضاء**، محمّد بن مرتضى (الفيض الكاشاني) المتوفى (١٠٩١ﻫ)، مؤسسة النشر الإسلامي ط ٢، قم.

١١٢ ـ **محمّد في القرآن**، رضا الصدر، دار الأرقم ط الأُولى (١٤١١ ﻫ).

١١٣ ـ **مختصر تاريخ دمشق**، محمّد بن مكرّم ابن منظور المتوفى (٧١١ ﻫ)، دار الفكر ط الأُولى، دمشق.

١١٤ ـ **مسار الشيعة**، محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المتوفى (٤١٣ ﻫ)، دار المفيد، ط الثانية، بيروت.

١١٥ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبدالله محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ ﻫ)، دار المعرفة ط الأُولى، بيروت.

١١٦ ـ **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١ ﻫ)، دار صادر ط الأُولى، بيروت.

١١٧ ـ **مسند ابن الجعد**، عليّ بن الجعد الجوهري المتوفى (٢٣٠ ﻫ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.

١١٨ـ **المسند الكبير (كتاب السنّة)**، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحّاك ابن مخلّد الشيباني المتوفى (٢٨٧ ﻫ).

١١٩ ـ **مروج الذهب**، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي المتوفى (٣٤٦ﻫ)، دار الفكر، ط الأُولى، بيروت، ودار الهجرة ط الثانية، قم.

١٢٠ ـ **المصنّف لابن أبي شيبة**، عبدالله بن محمّد المتوفى (٢٣٥ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.
١٢١ ـ **المصنف**، أبو عبدالرزاق بن همام الصنعاني المتوفى (٢١١ هـ)، المجلس العلمي ط الأُولى.
١٢٢ ـ **مصباح المتهجّد**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة ط الأُولى، بيروت.
١٢٣ ـ **معجم البلدان**، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي المتوفى (٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط الثانية، بيروت.
١٢٤ ـ **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية ط الثاينة، بيروت.
١٢٥ ـ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط الثالثة، بيروت.
١٢٦ ـ **المعجم الأوسط (الوسيط)**، سليمان بن أحمد بن المطير اللخمي الشامي الطبراني المتوفى (٣٦٠ هـ)، دار الحرمين (١٤١٥ هـ)، السعودية.
١٢٧ ـ **المغازي**، محمّد بن عمر بن واقد أبو عبدالله الواقدي المتوفى (٢٠٧ هـ)، مكتبة الإعلام الإسلامي ط الأُولى، بيروت.
١٢٨ ـ **مقاتل الطالبيين**، أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد الإصفهاني الأُموي المتوفى (٣٥٦ هـ)، مؤسسة دار الكتاب ط الثانية، قم.
١٢٩ ـ **المقنعة**، الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المتوفى (٤١٣ هـ)، جامعة المدرسين ط الأُولى، قم.
١٣٠ ـ **مكاتيب الرسول** عليّ بن حسين عليّ الأحمدي الميانجي (معاصر).
١٣١ ـ **مكارم الأخلاق**، أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى (٥٤٨هـ)،

مؤسسة النشر الإسلامي ط الأُولى، قم.
١٣٢ ـ **الملل والنحل**، محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة ناصر للثقافة ط الأولى، ودار المعرفة، بيروت.
١٣٣ ـ **مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب**، محمّد بن سليمان الكوفي القاضي المتوفى (٣٠٠ هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ط الأُولى، قم.
١٣٤ ـ **المناقب**، الموفق بن أحمد بن محمد المكّي الخوارزمي المتوفى (٥٦٨هـ).
١٣٥ ـ **مناقب آل أبي طالب**، محمّد بن عليّ بن شهرآشوب السروي المازندراني المتوفى (٥٨٨ هـ)، دار الأضواء ط الأُولى، بيروت.
١٣٦ ـ **المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك**، عبدالرحمن بن عليّ أبو الفرج ابن الجوزي، المتوفى (٥٩٧ هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت .
١٣٧ ـ **من لا يحضره الفقيه**، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ)، دار الأضواء ط السادسة، بيرت.

- ن -

١٣٨ ـ **نظم درر السمطين في فضائل المصطفى صلى الله عليه وآله والمرتضىٰ والبتول والسبطين عليهم السلام**، محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني المتوفى (٧٥٠ هـ)، من مخطوط مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة (٣٧٧ هـ)، النجف الأشرف.
١٣٩ ـ **النهاية في غريب الحديث**، المبارك بن محمّد الشيباني ابن الأثير المتوفى (٦٠٦ هـ)، مؤسسة إسماعيليان ط الرابعة، قم.
١٤٠ ـ **نهج البلاغة**، الإمام عليّ عليه السلام، جمع وترتيب الشريف الرضي المتوفى (٤٠٦هـ) دار الثقلين ط الأُولى، قم.

- و -

١٤١ـ **وسائل الشيعة**، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى (٦٨١ هـ)، مؤسسة آل البيت ط ٢، قم.

١٤٢ـ **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين أبو الصفا خليل بن إيبك بن عبدالله الصفدي الشافعي المتوفى (٧٦٤ هـ)، دار النشر فراتز شتيايز، شتوتغات ط الثانية.

- ي -

١٤٣ـ **ينابيع المودّة لذوي القربىٰ**، سليمان بن إبراهيم القندوزي المتوفى (١٢٩٤هـ)، دار الأُسوة ط الأُولى، قم.

الفهرس التفصيلي

الباب الأوّل

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس